الناصية

مجلة فصلية تُعنى بقضايا الفكر والثقافة

العدد: (الثاني) □ ديسمبر 2022م □ السنة الأولى

تصدر مؤقتاً كل ستة أشهر عن مؤسسة (أمجد) الثقافية والحقوقية

المايسترو القحوم ومسار الموسيقى اليمنية

المخا: مدينة القهوة يطوف اسمها العالم

منظومة قيم المواطنة
عبدالله عوبل

المواطنة والديمقراطية وحقوق الإنسان
روزا الخامري

أزمة المواطنة وتنامي العنف... في اليمن
عيبان محمد

في كدح الموت
جمال الرموش

الشاعر والأديب اليمني والعربي
أ. د. عبد العزيز المقالح

في رحاب الخالدين

الناصية

مجلة فصلية، تُعنى بقضايا الفكر والثقافة "تصدر مؤقتاً كل ستة أشهر" عن مؤسسة أمجد الثقافية والحقوقية

العدد: (الثاني) - ديسمبر 2022م _ السنة الأولى

رئيس التحرير/
أ.د. يحيى قاسم سهل

مدير التحرير/
محمد عبد الرحمن سيف

سكرتير التحرير/
ماجد الشعيبي

المراجعة اللغوية/
د،عباس حسن الزامكي

الإخراج الفني
مراد محمد سعيد

مجلة الفكر والثقافة

تأسست في عدن عام 2021 م

عنوان المجلة : اليمن عدن- كريتر
009672260082
009677778087
00967713807501
الاشتراكات:
يتفق بشأنها مع هيئة التحرير

ثمن النسخة : 2000 ريال يمني
رقم الإيداع لدى المكتبة الوطنية عدن:
1273،2022
المطبعة : وكالة بكسل آرت للطباعة والإعلان،
تعز، ش، 26سبتمبر،جوار مركز المهبوب
هاتف: 04283113 - 772484094

امسح QR
وتابعنا على مدونة المجلة

ماينشر في المجلة من مواضيع تعبر عن آراء كتابها، ولا تعكس بالضرورة وجهة نظر هيئة تحرير ها أو المؤسسة الصادرة عنها..

03 إهداء
06 الافتتاحية

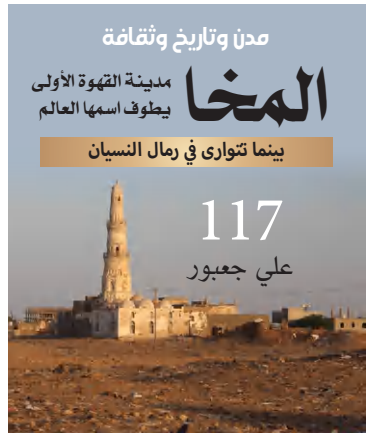

ملف العدد:

قضايا المواطنة والسلام في اليمن (ا)

08 ◀ المواطنة المتساوية : المفهوم المحددات، وشروط التحقق
توفيق مجاهد سالم

26 ◀ المواطنة والديمقراطية وحقوق الإنسان في الدولة المدنية
روزا جعفر محمد الخامري

45 ◀ منظومة القيم في ثقافة المواطنة
عبدالله عوبل

50 ◀ الهوية والمواطنة : معاً لمناهضة التميز، والهوية العقائدية بنشر ثقافة المواطنة في اليمن
محمد أحمد علي

56 ◀ جدلية العلاقة بين أزمة المواطنة وتنامي العنف السياسي في اليمن
عيبان محمد عبد الرحمن

فكر سياسي

الديمقراطية : حمالة أوجه

هشام السقاف
73

إشكالية مفهوم المواطنة في الثقافة السياسية العربية

سماح أبو الليل
76

مجتمع مدني

دور الشباب في بناء السلام في اليمن.(ا)

ماجد الخليدي وآخرون
126

133 اصدارات
137 محددات وقواعد النشر
138 تعريف مؤجز عن المؤسسة

ادب وفن

قضية المواطنة في قصيدة "أشاعر محمود درويش - فكر بغيرك."
عباس حسن الزامكي 90

_في كدح الموت
جمال الرموش 98

أين أنا؟!!
عائشة المحرابي 100

غنوا معي
عمرو الارياني 101

أوديب ثائراً
آدم عبد الوهاب الحسامي 102

انا من بلاد السكاران
فخر العزب 105

(رشا) قرأة نقدية
شهاب القاضي 106

إثبات هوية
مازن فاروق رفعت 111

المايسترو القحوم
عبدالرحمن أحمد عبده 113

إهداء ..

تقديـراً وعرفانـاً للأُدبـاء والكتـاب والمثقفـين اليمنيـين الذيـن كان لاسـهاماتهم ونتاجاتهـم الأدبيـة والثقافيـة والفكريـة في إثـراء الحركـة الأدبيـة والثقافيـة في اليمـن، وتأكيـداً مـن مجلـة "الناصيـة" عـلى اهتمامهـا وارتباطهـا بـالأدب والثقافـة تهـدى المجلَّـة هـذا العـدد – إلى أرواح ثلاثـة مـن اعـلام الحركـة الثقافيـة والأدبيـة اليمنيـة. - أ، د، عبـد العزيـز المقالـح، د، شـهاب القـاضي، أ، وليـد دمـاج _اسـهمت اعمالهـم ونتاجاتهـم الأدبيـة والثقافيـة في رفـد واغنـاء المشـهد الثقـافي والأدبي بأعمـال إبداعيـة وفكريـة أقـل ماتوصـف بهـا أنهـا أعمـال خالـدة. _ وواكـب إصـدار هـذا العـدد فاجعـة رحيلهـم عـن دنيانـا. . سـأئلين اللـه أن تغـشى رحمتـه أرواحهـم الطاهـرة.

[المقالح في سطور]

*الدكتـور/ عبدالعزيـز صالـح المقالـح - أديـب وشـاعر وناقـد يمـني.

ولـد عـام 1937 في قريـة المقالـح، بمحافظـة إب، ويُعـد في مقدمـة شـعراء اليمـن المعاصريـن، وأحـد أبـرز الشـعراء العـرب في العـصر الحديـث..

*حصـل عـلى الشـهادة الجامعيـة عـام 1970، وعـلى شـهادتي الماجسـتير عـام 1973، و الدكتـوراه عـام 1977 مـن جامعـة عـين شـمس القاهـرة وتـرقى إلى الأسـتاذية عـام 1987.

*تقلد العديد من المناصب أهمها:

- رئيس جامعة صنعاء من 1982 - 2001.
- رئيس مركز الدراسات والبحوث اليمني.
- عضو في مجمع اللغة العربية بالقاهرة.
- عضـو مؤسـس للأكاديميـة الدوليـة للشـعر في إيطاليـا.
- عضو في مجمع اللغة العربية بدمشق.
- عضـو مجلـس أمنـاء مركـز دراسـات الوحـدة العربيـة في بـيروت.
- المستشـار الثقـافي لرئيـس الجمهوريـة اليمنيـة منـذ عـام 2001.

*** الجوائزوالأوسمة.**

حصل على العديد من الأوسمة والجوائز أبرزها:

_وسام الفنون والآدب - عدن عام 1980
_وسام الفنون والآداب - صنعاء عام 1982
- جائزة لوتس للأدب عام 1986م.
- جائـزة الثقافـة العربيـة، اليونسـكو، باريـس 2002م.
- جائـزة الفـارس مـن الدرجـة الأولى في الآداب والفنـون مـن الحكومـة الفرنسـية، 2003م.
- جائـزة الثقافة العربيـة مـن المنظمـة العربيـة للتربيـة والثقافـة والعلـوم (أليكسـو)، 2004م.
- جائـزة الشـعر مـن مؤسسـة سـلطان بـن عـلي العويـس الثقافيـة 2010م.

***مؤلفاته.**

صـدرت للدكتـور المقالـح عـدة مؤلفـات شـعرية وأدبيـة وثقافيـة وفكريـة تصـل إلى حـوالي "34مؤلفـاً." منهـا :

(_ لابـد مـن صنعـا -1971مـأرب يتكلـم "بالإشـتراك مـع السـفير عبـده عثمـان" 1972_رسـالة إلى سـيف بن ذي يـزن، 1973،_ الكتابـة بسـيف الثائـر عـلى بـن الفضـل 1978_أبجديـة الـروح، 1998،_كتـاب صنعـاء، 1999،_كتـاب القريـة، 2000،_ بلقيـس وقصائـد لميـاه الأحـزان 2003م.)

_بالقرب من حدائق طاغور.
_الأبعـاد الموضوعيـة والفنيـة لحركـة الشـعر المعـاصر في اليمـن
_أصوات من الزمن الجديد
_أزمة القصيدة الجديدة.
_قراءة في فكر الزيدية والمعتزلة.)

*تـوفي يـوم. 28/فبرايـر 2022م بصنعـاء عـن عمـر ناهـز 84عامـاً بعـد معاناتـه مـرض ألـم بـه خـلال السـنوات الاخـيرة.

الفقيد/ د. شهاب القاضي

_مـن مواليـد مدينـة عـدن، فبرايـر 1956م.
_متزوج، وله ولدان.
_حاصـل عـلى شـهادة الدكتـورة. في مجـال العلـوم الزراعيـة ـــ المحاصيـل الحقليـة ـــ عـام 2013م.
_عمـل في مركـز الأبحـاث الزراعيـة "الكـود" وتقلَّـد عـدد مـن الوظائـف والمسـؤوليات.
_عضو اتحاد الأُدباء والكتاب اليمنيين
_عضـو جمعيـة علـوم الحيـاة اليمنيـة والجمعيـة الوطنيـة للبحـث العلمـي

_ناشط مدني ونقابي
_عضو المجلس التنفيذي لنقابة المهندسين اليمنيين فرع عدن.
_ سكرتير مجلة (المهندسون) وعضو هيئة تحرير مجلة "الباحث العلمي المحكمة"
_ كاتب وناقد، له العديد من الأعمال الأدبية والثقافية والصحفية.
_ نشر عددا من النصوص الأدبية "شعر، ونثر، ونقد أدبي" والدراسات والمقالات الصحفية والسياسية.
_له في هذا العدد من المجلة، دراسة نقدية عن الفيلم اليمني "عشرة أيام قبل الزفة." أرسلها إلى هيئة التحرير قبل وفاته بيوم واحد.
_توفي الكاتب والناقد اليمني الكبير د. شهاب، في مدينة عدن في 22/أغسطس 2022م.

الفقيد/ وليد أحمد ناجي دماج.

_ولد في محافظة إب، بتاريخ 10/مارس عام 1973م
_متزوج وله ثلاثة من البنين والبنات.
_ حاصل على شهادة البكالوريوس، في المحاسبة، من كلية التجارة. جامعة صنعاء.
_عمل موظفا في الجهاز المركزي للرقابة والمحاسبة، ومديرا تنفيذيا. "لصنعاء عاصمة الثقافة العربية." ومديرا تنفيذيا لصندوق التراث والتنمية الثقافية.

ومستشارا لرئيس جهاز الرقابة والمحاسبة، واخيرا مستشارا لوزير الاعلام والثقافة.
_عضو اتحاد الأُدباء والكتاب اليمنيين.
_كتب ونشر العديد من الأعمال الأدبية – في مجال الرواية، والقصة القصيرة، والشعر والنثر، وصدرت له أربع روايات أدبية هي: (رواية وقش هجرة الشمس، صدرت عام 2019، وظلال الجفر، وهم، وأبو مصعب العزي)، وله أعمال أخرى تحت الطبع.
_رشحت أعماله للعديد من الجوائز، وحاز على:
-درع الشعراء الشباب عام 2004
-جائزة دبي الثقافية لعام 2011، عن روايته "ظلال الجفر"
_ناشط مدني.
_توفي الأديب والروائي اليمني الكبير وليد دماج، في مدينة عدن، يوم 18/ اغسطس 2022م.

"هيئة التحرير"

الافتتاحية

رئيس التحرير

في البدء أود الاشارة إلى مسألتين كان لهما أثر كبير في الإصرار على إصدار العدد الثاني من مجلتنا "الناصية" قبل حلول العام الميلادي الجديد 2023م، الذي نتمنى أن يكون عام سلام على اليمن وأهله.

المسألة الأولى هي مصادرة العدد الأول من قبل سلطة الأمر الواقع في صنعاء، والقارئ يعلم ما جرى، وقد أكَّد ذلك على دور الكلمة وقوتها.

والثانية هي أصداء البهجة والسرور الذي قوبل به العدد الأول بعد إعادة اصداره وتوزيعه في البلاد عرضاً وطولا وبكافة الطرق، وذلك ما أفادت به تقارير المباع من العدد، ليس هذا فحسب بل يُضاف إلى ذلك سيل التهاني والتبريكات التي وصلت للمجلة بوسائل الاتصال كافة مباركة صدور المجلة بصفتها إضافة نوعية في ظروف صعبة على اليمنيين بمختلف مشاربهم الفكرية.

ولأن المجلة تُعنى بقضايا الفكر والثقافة، وتهدف إلى الاسهام في نشر ثقافة وقيم المواطنة والمدنية والسلام والتسامح، وحقوق الإنسان، والتأصيل الفكري لقضايا المواطنة والدولة المدنية، وتشجيع الأبداع الأدبي بنشر الإبداعات الأدبية والثقافية للأُدباء والمثقفين اليمنيين وغيرهم ... الخ.

فقد عملنا ومنذ البداية "منذ العدد الأول" على أن تكون المجلة في أبوابها ومحتوياتها شاملة ومجسدة لهذه القضايا.

لذلك فقد كانت أبواب هذا العدد شاملة لأبواب العدد الأول، مضافاً إليه بابين جديدين هما-"فكر سياسي، واصدارات .. وعُدِّل باب (أدب ونقد) ليصير (أدب وفن)

وقد كُرسنا وبصورة محددة ملف العدد: "لقضايا المواطنة والسلام في اليمن "حيث تضمن خمس دراسات حول: (مفهوم ومقومات المواطنة، والمواطنة والديمقراطية وحقوق الإنسان، ومنظومة قيم المواطنة، ومناهضة التميز بنشر

ثقافة المواطنة، وجدلية العلاقة بين أزمة المواطنة والعنف السياسي في اليمن)

_فكر سياسي، وخصص لنشر مادتين حول: الديمقراطية، واشكالية مفهوم المواطنة في الثقافة السياسية العربية.

_ادب وفن، واشتمل على تسعة نصوص أدبية "في الشعر، والقصة القصيرة، والنقد الأدبي، والفن والموسيقى."

_مدن وتاريخ وثقافة. وقد كرست مادة هذا الباب، لمدينة وميناء المخا.

_مجتمع مدني، وفيه دراسة هامة حول: دور الشباب في بناء السلام في اليمن.

_اصدارات، وخصص للتعريف بأربعة إصدارات، فكرية، وأدبية.

أخيراً نتمنى أن تنال محتويات هذا العدد رضا واهتمام القارئ، كما نتمنى مزيداً من التفاعل من قبل الأُدباء والمثقفين والأكاديميين والباحثين اليمنيين مع المجلة، ومدَّها بمساهماتهم، فبهذا التفاعل، والاهتمام تستمر المجلة في الصدور.

المواطنة المتساوية

المفهوم، المحددات، شروط التحقق

د. توفيق مجاهد سالم
استاذ الفلسفة المعاصرة
كلية الأداب جامعة عدن

نتناول في هذه الدراسة، ثلاث مشكلات أساسية، مترابطة ومتداخلة ومكملة بعضها للأخر. تتعلق المشكلة الأولى بمفهوم المواطنة، في معناه الاصطلاحي والمعجمي، وفي دلالته الفكرية والفلسفية، وفي علاقاته بمنظومة المفاهيم الأخرى المحددة والمؤسسة لمفهوم المواطنة المتساوية.

المشكلة الثانية. وهي مرتبطة بالأولى ومكملة لها، تتعلق بظهور وتطور مفهوم المواطنة في الفكر الحديث والمعاصر، من خلال الوقوف على الشروط التاريخية العامة، بما فيها الفكرية والفلسفية، التي تبلور في سياقها مفهوم المواطنة، بوصفه أحد الركائز لقيام الدولة الحديثة التي تتجسد فيها قيم الحرية والمساواة والعدالة الاجتماعية، بوصفها حقوق إنسانية وقانونية يتمتع بها كل المواطنين الذين ينتمون للدولة بصورة متساوية، غير قابلة للتجزئة أو التمييز بأي صورة من الصور.

وفي ضوء المعطيات المعرفية التي يقدمها البحث في الموضوعين السابقين، ننتقل لتناول بعض القضايا المتصلة بمشكلة ومفهوم المواطنة في المجتمع اليمني، بوصفها واحدة من المشكلات التي تشغل اهتمام المجتمع اليمني، بتكويناته الاجتماعية والسياسية والدينية والثقافية كافة.

ومن نافل القول، أن تناول مشكلة المواطنة في أبعادها الفكرية والفلسفية،

وفي مستويات وشروط تحققها التاريخي، يُعد السبيل الأمثل لتحقيق الأهداف التي نسعى من خلال هذه الدراسة الوصول إليها. ومنها:

ـ المساهمة في بلورة ونشر وعي ثقافي تنويري حول مفهوم المواطنة بدلالاته ومضامينه السياسية الاجتماعية الاقتصادية والحقوقية، بين أفراد المجتمع بصورة عامة، ونخبه السياسية والثقافية بصورة خاصة.

ـ طرح ومناقشة، مشكلة المواطنة المتساوية من خلال الإشارة لبعض صور وأشكال الممارسة السائدة في الدولة والمجتمع، التي تتعارض مع مفهوم المواطنة، كونه يقوم على تأكيد مبادئ المساواة والعدالة ونبذ كل شكل من أشكال التمييز والاستبعاد على المستويات كافة.

ولا شك في أن تنامي الوعي الجمعي بمفهوم المواطنة، بوصفه مدخلاً مهمًا لتنمية الوعي السياسي، هو ما جعل منها مطلبًا مشروعًا وعادلاً من أجل بناء دولة مدنية ديموقراطية حديثة تؤسس لمشروع تاريخي حضاري جديد، يرتكز على مبادئ العدالة وقيم الحرية، والمساواة.

مفهوم المواطنة وتعريفه:

ماذا نعني بمفهوم المواطنة؟ وكيف يستقيم هذا المفهوم ويلتقي في دلالاته السياسية والمعرفية مع مفاهيم الحرية المساواة والعدالة؟ ثم ماهي الشروط التاريخية ـــ الاجتماعية والسياسية والمعرفية ـــ التي تأسس في سياقها مفهوم المواطنة، وتظافر مع منظومة واسعة من المفاهيم الأخرى، السياسية والفلسفية والسوسيولوجية، وشكلت معا أحد الأسس المعرفية المهمة لقيام ما يعرف في الفكر السياسي المعاصر بالدولة الحديثة، التي بدأت مسيرتها التاريخية منذ نهاية القرن الثامن عشر في أوروبا، وطورت أشكالاً من الممارسات الديمقراطية في أنظمة الحكم، وبناء المؤسسات المدنية في مختلف ميادين تنظيم العمل والإدارة، والتعليم ...إلخ.

يشير مصطلح المواطنة في استخدامه اليومي، إلى الكلام الذي ينحصر عادة في حدود الدولة، وفي توصيف الانتساب لها. لكنه أيضا يعني العلاقة بين دولة ما والمواطن الفرد، وكذلك العلاقات السياسية بين المواطنين أنفسهم. كما يشير من ناحية أخرى إلى الحقوق وإلى الواجبات وإلى الفعاليات التي تنتج من

هـذه العلاقـات". وعـادة مـا ترمـي التعريفـات القاموسـية لكلمـة "المواطنـة" القاعدتـين الأساسـيتين لمفهومهـا المتكامـل؛ فالمواطنـة وفقـا لهـذه التعريفـات هـي:

أ ـ الحالة التي يكون فيها الفرد مواطنا.

ب ـ الحالـة الـتي يكـون فيهـا الفـرد عضـوا في الجماعـة، أي صفـة موائمتـه مـع جماعتـه ومسـئوليته حيالهـا.

والمواطنـة في إطارهـا القانـوني: تمثـل العلاقـة بـين الفـرد والدولـة الـتي يقيـم فيهـا، حيـث يتقـرر لـكل منهمـا الحقـوق والواجبـات الملحوظـة قانونـا". وهنـاك الكثـير مـن المعاجـم والموسـوعات الـتي تقـدم أنـواع أخـرى، مـن التعريفـات المعجميـة للمواطنـة، وهـي تعريفـات تتفـق في كثـير مـن الجوانـب، لكنهـا تختلـف أحيانـا في جوانـب أخـرى، ربمـا بسـبب اختـلاف المنطلقـات الـتي تعـبُر مـن بوابتهـا هـذه المعاجـم والموسـوعات لفهـم وتحديـد معـنى مفهـوم المواطنـة. إذ نجـد بعـض الموسـوعات كمـا هـو الحـال مثـلاً، مـع "دائـرة المعـارف البريطانيـة" تركـز عـلى مسـألة المقابلـة بـين الحقـوق والواجبـات، وتجـد في دسـاتير الـدول الموطـن المثـالي لمعرفـة معـنى المواطنـة والوضعيـة الـتي يحتلهـا هـذا المفهـوم. فالمواطنـة بحسـب نصـوص الدسـتور الـذي تتحـدد فيـه حقـوق وواجبـات المواطنـين تتضـح كيـف تضيـق أو تتسـع طبيعـة العلاقـة الـتي تنشـأ بـين الفـرد والدولـة، ومـا تفرضـه تلـك العلاقـة مـن واجبـات عـلى المواطـن ومـا تقـدم لـه مـن حقـوق. ويشـير مفهـوم المواطنـة إلى قـدر الحريـة الـتي يتمتـع بهـا المواطـن، بالإضافـة إلى مـا يـلازم تلـك الحريـة مـن مسـئوليات تقـع عـلى عاتـق المواطـن تجـاه الدولـة".

ويتخـذ (همفـري مارشـال) وهـو أحـد الممثلـين المهمـين، للنظريـة الليبراليـة الاجتماعيـة في مجـال المواطنـة، مـن التفسـيرات القانونيـة لحقـوق المواطنـة، وهـي الحقـوق السياسـية والحقـوق الاجتماعيـة والحقـوق المدنيـة، منطلقـاً لـه في تفسـير المعايـير الأساسـية لتحقيـق المواطنـة الكاملـة فهـو يـرى ذلـك يتحقـق مـن خـلال حـق المشـاركة بالتصويـت، والحـق في حريـة التعبـير، والحـق في تلقـي المعونـات .. إلـخ تتحقـق المواطنـة السياسـية. في حـين تتحقـق المواطنـة الاجتماعيـة مـن خـلال الحقـوق الاجتماعيـة، مثـل حـق الحيـاة الكريمـة وحـق التعليـم والرعايـة الصحيـة... إلـخ. أمـا الحقـوق المدنيـة فتشـمل الحقـوق الـتي يتمتـع بهـا الفـرد بوصفـه مواطنًـا، مثـل الحقـوق الشـخصية وحـق الملكيـة، وحـق الحيـاة، والكرامـة، والحريـة الفرديـة،

والمساواة، والتكافؤ في الفرص بصورة عامة، وغيرها من الحقوق التي تكفلها الدساتير وتؤكد عليها المواثيق والمعاهدات الخاصة بحقوق الإنسان، وتصونها عدالة القانون. كما يتضمن تفسير (مارشال) أيضا الالتزامات القانونية التي ينطوي عليها مصطلح المواطنة مثل "الالتزام بدفع الضرائب، والخدمة في الجيش، والالتزام بالتقدم للوظائف. ..إلخ".

تعريف المواطنة:

استنادًا إلى ما سبق، واعتمادًا عليه، يمكن تعريف المواطنة بالقول: "إنها في معناها العام والشامل هي: الانتماء إلى الوطن. وعملية الانتماء هنا تشير: إلى علاقة المواطن بالوطن، في حدوده الجغرافية وتاريخه الثقافي والحضاري، وينتج عنها انتماء المواطن لوطنه. كما تشير إلى علاقته بالمواطنين الآخرين الذين يشاركونه العيش في الوطن، والتي تقوم على مبدأ المساواة الكاملة في الحقوق والواجبات، والمساواة أمام القانون دون تمييز بين الناس أو الجماعات، على أساس اللون، أو الدين، أو العرق أو الجنس أو الفكر أو الوضع الطبقي، أو الانتماء السياسي، أو المذهبي، وينتج عنها احترام المواطنين لبعضهم البعض وإشاعة روح التسامح بينهم، بغض النظر عن مظاهر التنوع والاختلاف، وهي أخيرًا، تعني علاقة المواطن بالدولة التي ترعى شؤونه وتحمي مصالحه.

نشؤ وتطور مفهوم المواطنة:

إن مفهوم المواطنة الذي يعد التأطير المعرفي لمجمل الآراء والأفكار السياسية والاجتماعية والتاريخية حول المبادئ والأسس التي ستقوم عليها فكرة المواطنة، بصفة عامة، والمواطنة المتساوية، بصفة خاصة، والتي تشكل مع مجموعة من المبادئ الأخرى، الشروط التاريخية/ الاجتماعية والسياسية والثقافية/ لقيام الدولة الحديثة، قد ظهرت وتبلورت في معانيها الأصيلة تلك، في سياق الفكر السياسي والفلسفة السياسية لعصر التنوير. وكما هو معروف، هذه العملية تزامنت مع قيام وتطور الدولة القومية، أو الدولة الأمة، بوصفها أحد نواتج عقلانية عصر الأنوار.

فعلى المستوى المعرفي: كان لفلاسفة التنوير ومنهم فلاسفة العقد الاجتماعي

" هوبس " و " جون لوك" مروراً بمفكري الثورة الفرنسية "مونتسيكو" "جان جاك روسو" " وفولتير " وصولاً إلى الفيلسوف الألماني " إيمانويل كانط " دورًا مهمًا في بلورة الأسس والمبادئ الفكرية والفلسفية لمفهوم المواطنة، وما يتصل معه من مفاهيم أخرى، كالحرية والمساواة، والعدالة، ومفهوم الديمقراطية، والدولة الدستورية، حيث يكون الدستور فيها هو من ينظم حقوق وواجبات المواطنين ويحدد علاقتهم بالدولة وعلاقاتهم ببعض ..إلخ. (ومن دون الدخول في تفاصيل ما قدمه فلاسفة التنوير والعقد الاجتماعي، من أفكار كان لها عظيم الأثر في تشكيل وعي سياسي وثقافي جديد، يقوم على مفاهيم جديدة حول الدولة والسياسة والدين والأخلاق وحقوق المواطنة، كون هذه التفاصيل متاحة في كثير من الدراسات الأخرى) سوف نكتفي بالإشارة إلى بعض ما قدمه الفكر السياسي والفلسفي عند الفيلسوف الألماني (إمانويل كانط) كونه يقدم مثالاً مهمًا على دور فكر الأنوار في نشأة وتطور مفهوم المواطنة وإشاعته في الفكر الغربي الحديث والمعاصر. ففي مقالتيه" جواب عن سؤال: ما الأنوار؟ و"مشروع للسلام الدائم" يطرح "كانط" مفاهيم "المواطنة/ الشعب/ الجمهور" مقابل مفهوم "الرعية" وهو ما يعد مؤشراً لنهاية مرحلة تاريخية من العلاقة بين المواطنين وسلطة الدولة التي تحكمهم. حيث تتأسس منذ الآن مرحلة جديدة تقوم على مبادئ ومفاهيم وشروط اجتماعية ومعرفية جديدة، ومنها مبادئ العدالة والمساواة والحقوق السياسية وممارستها، في سياق عقد اجتماعي جديد، ينظم العلاقات بين المواطنين من جهة وعلاقتهم بالدولة ومؤسساتها المختلفة، من جهة أخرى، فضلاً عن تحديد الحقوق والواجبات الخاصة بالطرفين. حيث يؤكد "كانط" في مقالته حول التنوير بأن هذه المبادئ والأسس التي يقوم عليها التنوير والتي تؤسس لهذه المرحلة الجديدة في الحياة العامة، بأبعادها السياسية والاجتماعية والثقافية لا يمكنها أن تتحقق إلا بشرط أساسي وجوهري، وهو "شرط الحرية والتفكير النقدي الحر وممارسة هذا الحق في جميع المجالات". وهذا يعني أن المواطنة أخذت تفترض تحولاً في شكل العلاقة بين المواطنين والسلطة، يقودها من التبعية إلى المواطنة، وينقل مفهوم السلطة، من السلطة الملكية المطلقة، إلى السلطة الجمهورية، بوصفها الراعية للمجال العام، حيث تتجلى المبادئ الحقوقية للمواطنة بالممارسة اليومية للفكر النقدي الحر.

والمعروف أن مفهوم "المجال العمومي" الذي يبلوره لأول مرة " إيمانويل كانط" سوف يشكل في سياق التطور التاريخي اللاحق أحد المداخل المهمة لبناء وتأصيل مفهوم المواطنة، وهو ما ساعد بعض المجتمعات على تخطي مشكلات التعددية السياسية والطائفية والعرقية .. إلخ. ولا شك في أن هذا التحول في المجال العمومي، بتحوله إلى فضاء عام ديمقراطي لممارسة النشاط السياسي، والتفكير النقدي الحر، قد ساهم في ترسيخ مبادئ الديمقراطية وتعميق الثقافة الحقوقية وثقافة المشاركة، والتسامح، فضلاً عن، تعزيز الاندماج الاجتماعي بين الأفراد والجماعات المتعددة.

وعلى المستوى السياسي: كان للثورتين الأمريكية والفرنسية، وقبليهما الثورة الإنجليزية دوراً مهماً في تطور مفهوم المواطنة" إذ مثل إعلان الدستور الأمريكي 1787م والثورة الفرنسية 1849م بداية مهمة لعملية الانتقال بفكرة المواطنة من المجال النظري إلى بعض مجالات الممارسة العملية، من خلال التأكيد على حقوق المواطنة في الدساتير الجديدة لهذه الدول. علماً أن عملية التطور لمفهوم المواطنة وتحقيق المساواة في الواقع المعاش، بقت محدودة، كونها حرمت قطاعات كبيرة من السكان من نيل الحقوق السياسية والاجتماعية. إذ أستبعد الدستور الأمريكي الهنود الحمر وجنس السود، والنساء من حقوق المواطنة. ولم تتمكن الثورة الفرنسية أن تترجم المبادئ والشعارات الكبرى التي رفعتها في "الحرية والعدالة والمساواة " إلى واقع متجسد على أرض الواقع يشمل جميع مكونات المجتمع. فهي على سبيل المثال، لم تضع حدًا نهائيًا للعبودية، حيث استمرت قائمة في المجتمع الفرنسي، ولم تمنح المرأة حقوقها السياسية، أو تساعدها على الخروج من دائرة الاستبعاد والتمييز والقهر المتعدد الوجوه، حيث ظلت المرأة تعاني من عمليات التمييز والإقصاء والحرمان من ممارسة حقوقها السياسية، ومنها الحق في التصويت الذي لم تنله إلا بعد الإعلان العالمي لحقوق الإنسان سنة 1948م.

وبمقدورنا القول " نظرياً على الأقل " إن الإعلان العالمي لحقوق الإنسان " قد شكل نقلة نوعية تطورية مهمة "في مفهوم "المواطنة المتساوية" إذ مارس العهد الدولي الجديد الخاص بحقوق الإنسان، دورًا مهمًا في إدخال تعديلات مهمة على دساتير الدول المتقدمة وبعض بلدان العالم الثالث، نتج عنها ظهور نصوص دستورية تؤكد على المساواة وعلى ضمان الحقوق السياسية لجميع المواطنين

في إطار الدولة الواحدة، وللحد من أشكال العنف والتمييز بين المواطنين على أساس اللون أو العرق أو الجنس أو الدين ...إلخ.

الدولة الحديثة ومفهوم المواطنة:

لا شك في أن تطور مفهوم المواطنة، قد سار جنبًا إلى جنب، مع تطور سلطة الدولة الحديثة القائمة على مبدأ المشاركة في صنع القرار السياسي، وممارسة السلطة. ذلك أن السلطة الحديثة كما يعرفها " ميشيل فوكو" هي "علاقة قوى". والسلطة بتعريفها البسيط هذا تعني برأي فوكو" أنها لا تمارس إلا على ذوات أحرار. أي أن الأفراد والجماعات، فهنا يتاح لهم إمكانات للقيام بعدة تصرفات وعدة استجابات وأنماط سلوكية مختلفة، ولهذا السبب فهو لا يرى في الرق علاقات سلطوية كونها تقوم على علاقات إكراه جسدية، أي ليست موجهة إلى ذوات أحرار". فعندما نتحدث عن ممارسة السلطة كصيغة فعل في أفعال الأخرين، ونصفها بأنها حكم بعض الناس لبعضهم بالمعنى الأوسع لكلمة الديمقراطية، فإننا ندخل في السلطة الحديثة عنصراً مهماً وهو عنصر الحرية.

هو ما يعني أن هناك علاقة جدلية بين نشؤ السلطة الحديثة وتلك المفاهيم المؤسسة لمبادئ ومكونات المواطنة مثل " الحرية، والديمقراطية والمساواة" وغيرها من مكونات المواطنة، التي لم يكن لها أن تتحقق في الحياة العملية، إلا بوجود دولة مؤسساتية حديثة ضامنة وراعية لهذه الحقوق على مستوى التفكير النظري والممارسة العملية.

وهذه العملية التاريخية تبدأ كما هو معروف عندما قلبت عقلانية التنوير معادلة العلاقة بين المواطنين والسلطة، ونقلت مجال ممارستها إلى المجال العمومي، أو "الميدان العام" حيث أسقطت شعار " أطيعوا ولا تفكروا، بل نفذوا" واستبدلته بشعار " فكروا وانتقدوا ثم طيعوا". حيث أصبحت الحرية بموجب ذلك، شرطًا لممارسة التفكير النقدي الحر في كل ما يتصل بالمجال العمومي، وأخذت تتجسد من خلاله قدرات الناس على ممارسة الحقوق وتأدية الواجبات المفروضة عليهم. هذه التحولات الجديدة التي حدث بموجبها الانفصال التاريخي مع العصور الوسطى وشمل مستويات متعددة من المعرفة والوجود والفكر السياسي والفلسفي الحديث، حيث ظهرت وتجلت فيه فلسفة التعاقد الاجتماعي، فشكلت

مع جملة التحولات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، الشروط التاريخية لقيام الدولة المدنية الحديثة، التي ظهرت وفق العرض السابق لميشيل فوكو بموجب آليات جديدة تعمل بها، إذ تقوم على ضوابط قانونية جديدة تحكم توجهاتها وتحدد مساراتها، مستندة إلى تشريعات الفقه الدستوري الذي تبلور في سياق تطور الفكر السياسي الحديث وفلسفة التعاقد الاجتماعي.

وهنا يمكن الإشارة إلى ثلاثة صور مختلفة لتطور مفهوم المواطنة في سياق هذا الفكر الذي صاحب تطور العملية التاريخية للدولة القومية في الديمقراطيات الغربية وهي:

الجمهورية المدنية، والليبرالية، ثم الليبرالية الاجتماعية. حيث تُظهر صورة المواطنة في الجمهورية المدنية، بوصفها المشاركة السياسية وهي تعود إلى (كانط) و (ميكافيلي) ويمكن اقتفاء أثرها البعيد في فلسفة (أرسطو) ومن منظريها المحدثين نذكر (حنا أرندت) و (بنيامين باربر). أما الصورة الليبرالية فتظهر المواطنة بوصفها وضعية قانونية تركز على منح الفرد أكبر قدر ممكن من الحرية، وعلى حرية السوق، وتنظر الليبرالية الجديدة إلى المواطنين كمستهلكين عقلاء للبضائع. أما الصورة الثالثة للمواطنة وهي النظرية الليبرالية الاجتماعية، فهي تنظر إلى "مفهوم المواطنة" من زاوية حقوق المواطنة وواجباتها، وتتجلى نماذج المواطنة الليبرالية الاجتماعية في الواقع العملي في دولة الرفاه الاجتماعي التي ظهرت في أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية، وعلى المستوى النظري نجد في فلسفة (جون روالز) الأخلاقية أحد ممثليها المهمين بالإضافة إلى همنفري مارشال". وطبقاً لمنظور الليبرالية الاجتماعية، يجب أن تكون المواطنة شاملة وقائمة على المساواة، أي يجب أن تشمل جميع المواطنين ضمن نطاق الدولة، ويجب أن تضمن المساواة في الحقوق المدنية والسياسية الاجتماعية، كمقابل للمساواة في الواجبات.

في ضوء كل ما سبق، يمكن أن نص بعض عوامل وشروط تطور مفهوم المواطنة في الفكر الغربي وتطوره في نطاق الدولة الحديثة وهي:

ـ عوامل معرفية: وضعت أسسها ومبادئها الكبرى، عقلانية التنوير ومثله الفكرية والفلسفية حول الحرية والمساواة، والتسامح وحقوق المواطنة. حيث كان التأسيس المعرفي بشقيه الأبستمولوجي والعملي، الأرضية التي نماء على تربتها الخصبة مفهوم المواطنة في شكله الحداثي الأكثر تطوراً. ذلك أن هذا الفكر انطلق

في تصوره للإنسان، بوصفه نقطة البدء في المعرفة والعمل. فهو بالمعنى الديكارتي " الذات المفكرة " وهو بالمعنى الكانطي " العقل الخالص" وفي المنظور "الهيجلي " هو "العقل الكلي" وهو الإرادة الحرة "كما أنه بالمعنى الماركسي " الذات الفاعلة في العمل والصانع للتاريخ". وكما نلحظ، فإن تصورات عقلانية التنوير والحداثة للإنسان تكشف عن درجة التمجيد العالية للذات الإنسانية وفاعليتها في عملية التطور التاريخي للحياة.

ولا شك في أن الحداثة قد جعلت بموجب ذلك، من مفهوم "المواطنة المتساوية" معادلاً جوهريًا من حيث أهميته الابستمولوجية وضرورته الوجودية لمفاهيم، الديمقراطية ونظام العدالة الاجتماعية والحرية والمساواة في الحقوق والواجبات .. إلخ

ـ عوامل سياسية: تمثلت بنشؤ وتطور الدولة المدنية الحديثة، بوصفها التجسيد المباشر لهذه التطورات في ميادين الفكر الفلسفي والفلسفة السياسية والاجتماعية، فضلاً عن كونها نتاجًا مهمًا للثورات الاجتماعية والسياسية، التي قادتها الطبقة البرجوازية الناشئة، وما شهدته بعض المجتمعات من تطورات على مستوى التشريعات المنظمة لحياة مواطنيها القائمة على تحديد وضبط العلاقة بين الحقوق والواجبات بنصوص الدستور وأحكام القانون، المدعوم بسلطة قضائية مستقلة.

ولا شك في أن "الإعلان العالمي لحقوق الإنسان" الصادر سنة 1948م، سوف يشكل علامة فارقة في عملية التحول التدريجي في مفهوم "المواطنة" وفي تسريع انتقاله إلى مرحلة جديدة، أخذت فيها كثير من الدول تحرص بأن تكون دساتيرها موائمة مع المبادئ الأساسية للإعلان العالمي لحقوق الإنسان ولكافة المواثيق والمعاهدات الدولية الأخرى الخاصة بحقوق الإنسان. إذ أخذت دساتير هذه الدول تتضمن مختلف المبادئ والأسس التي يقوم عليها مفهوم المواطنة المتساوية. هذا التحول الذي شهده مفهوم "المواطنة" بعد الإعلان العالمي لحقوق الإنسان" واقتران كلمة "المواطنة" بكلمة "المساواة" ساهم في ظهور القراءات المتعددة لمفهوم المواطنة، كما ساهم في تناول مشكلات جديدة تتصل بمشكلة المواطنة المتساوية وطرق فهمها وأساليب المعالجة لمشكلاتها الكثيرة والمعقدة.

ـ عوامل اقتصادية: تمثلت بظهور وتطور الاقتصاد الليبرالي بمرحلتيه الكلاسيكية والحديثة، حيث ساهم التطور الاقتصادي في بلورة الأفكار والمفاهيم الجديدة حول العمل الحر والملكية الخاصة والحرية الفردية وغيرها من المفاهيم الليبرالية، التي أثرت على حقوق المواطنة في المجتمعات الغربية، مثل المساواة والعدالة والديمقراطية والحرية.

إن جملة العوامل التي أتينا عليها فيما سبق وأخرى كثيرة لم نذكرها، مارست أدوارًا مختلفة في ظهور وتطور مفهوم المواطنة المتساوية، وانتقالها من الأطر النظرية والمعرفية الضيقة في مجال الفلسفة السياسية والفكر السياسي الليبرالي، إلى ميادين الفعل السياسي، والاجتماعي، والاقتصادي، ويمكن القول بأن أهم إنجازاته تجلت بقيام مؤسسات سياسية راسخة، مؤسسة تأسيسًا ديمقراطيًا، وأنظمة من حقوق المواطنة الإنسانية، محمية ومدعومة، بوجود مجتمع مدني حيوي، وحر، ونظام عدالة، توفرت فيه أحد الشروط التاريخية لعملية الانتقال التدريجي الناجح، صوب تحقيق المواطنة الكاملة في الدولة الديمقراطية الحديثة.

المواطنة وتجليات تحققها في اليمن:

لقد جرت في السنوات الثلاثين الأخيرة مناقشات ثرية، اشترك فيها جمع كبير من الناس في معظم الأقطار العربية، وشملت كثير من القضايا والمشكلات المرتبطة بالتغيرات والتحولات التاريخية التي شهدها العالم في العقد الأخير من القرن العشرين، حيث اصبح بموجب هذه المناقشات، لفظ "المواطنة" و "المجتمع المدني" و "الديمقراطية" و "الدولة المدنية" من الألفاظ الشائعة والمشهورة، في اليمن والأقطار العربية، وأمكنة أخرى كثيرة في العالم، والسبب أن هذه المناقشات التي شاعت في العلوم الاجتماعية والسياسية وبين المثقفين والسياسيين والأكاديميين والمجتمع المدني، أكدت بصورة أو بأخرى، على أن نشر وتأطير وتعميم هذه المفاهيم يوفر الشروط الأولية المهمة لانتقال ناجح إلى الديمقراطية، وعلى التأكيد بأن وجود مجتمع مدني حيوي شرط ضروري لقيام دولة مدنية ديمقراطية، تتحقق فيها المواطنة المتساوية.

والحق إن هذه المناقشات التي كانت حقوق المواطنة وما يترتب عليها من تحولات تشمل مختلف ميادين الفعل السياسي ومؤسسة العدالة، جاءت

إلى حد كبير نتاح خطاب وافد حملته رياح العولمة وثورة الاتصالات والإعلام والمعلوماتية، التي فتحت الحدود وجعلت من العوالم الكثيرة والمتعددة قرية كونية صغيرة يلتقي فيها الناس عبر نوافد أجهزة الاتصالات الرقمية وشبكات التواصل الاجتماعية، يتبادلون فيها على اختلاف مكوناتهم الثقافية واللغوية، الدينية والاجتماعية والسياسية، الأفكار والتصورات والآراء والخبرات والتجارب، بطرق وأشكال متباينة. وهو ما يعني أن مناقشة قضايا المواطنة والحرية والمساواة والديمقراطية والدولة المدنية ...إلخ جاءت في ضوء محفزات خارجية، تحركت بفعلها المياه الراكدة في بحيرة الداخل العربي التي تتسم بالرتابة والسكون منذ وقت طويل.

ومن نافل القول إن العديد من الأقطار العربية شهدت في السنوات الماضية تزايد ملحوظ في أعداد الأصوات المطالبة بالمواطنة المتساوية في الحقوق والواجبات. وقد تعددت المصادر التي انبعثت منها هذه المطالب كما تعددت اتجاهاتها، واختلفت في سقف مطالبها، وكان من الطبيعي أن تظهر مثل هذه الاختلافات بسبب اختلاف الأوضاع الخاصة بهذا البلد أو ذاك، فهناك أقطار عربية تتسم تكويناتها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية بقدر كبير من التعدد القائم على الاختلافات الطائفية والعرقية والدينية، فضلاً عن التنوع الثقافي والاجتماعي الناجم عن هذه التعددية التي غالبًا ما يتم تجاهلها من طرف الأنظمة السياسية القائمة، بوصفه محفز للتطور والتقدم، ولا يختلف الأمر بالنسبة للبلدان الأخرى، التي لا تعاني من مشكلات التعدد الطائفي أو الديني أو العشائري والقبلي، لكنها تمتاز بالتنوع والاختلاف في الجغرافية الاجتماعية والسياسية والثقافية والأيكولوجية للبلد الواحد.

ولأن عوامل التغيير التي فرضها منطق العصر الراهن قد هبت وبدأ تأثيرها يتجلى على أكثر من مستوى، منذ نهاية القرن الماضي، ووصلت عبر تراكم معرفي تنويري واسع، ساهم مع عوامل أخرى على قيام مظاهر متنوعة من الحركات الاحتجاجية الشعبية العربية، ضد أنظمة تسلطية واستبدادية، في أكثر من بلد عربي، حيث عبر الناس عبر مختلف وسائل الاحتجاج عن مطالبهم بالتغيير الشامل في السلطة، ومراكز صنع القرار فيها، والدولة بمختلف مؤسساتها البنيوية، وجعلت من مبدأ المواطنة المتساوية في الحقوق، والمطالبة بوجود

سلطة قضاء مستقلة، وبأن يكون للمعارضة والمجتمع المدني دورًا رقابيًا على السلطة التنفيذية...إلخ مطلبًا عامًا تلتقي حوله مختلف القوى الاجتماعية والسياسية، المنخرطة في الحراك الشعبي المطالب بالتغيير.

لكن ونحن نتحدث عن المواطنة في اليمن، ومعرفة تجليات مفهوم المواطنة في الوعي الثقافي والسياسي بخاصة، والوعي المجتمعي بعامة، ومستويات تحققه العملي في الواقع اليمني الراهن.

يمكننا القول: قياسًا إلى جملة ما آتينا عليه سابقًا، بدءاً من تحديد معنى مفهوم المواطنة وتعريفه، مرورًا بالسياق التاريخي المعرفي والسياسي والاجتماعي الذي تبلور فيه مفهوم المواطنة مع غيره من المفاهيم الفلسفية والسياسية والسوسيولجية التي أسست لقيام دولة مدنية ديمقراطية حديثة تقوم على مبادئ العدالة والمساواة في حقوق المواطنة وعلى الحرية في القول والتفكير والنقد والممارسة في مختلف مجالات الفعل، السياسي والاجتماعي والإبداعي ..إلخ. لن يكون الحديث عن المواطنة في اليمن بالسهولة التي قد يتوقعها البعض، على الضد من ذلك تمامًا، مشكلة المواطنة في اليمن هي مشكلة تتسم بقدر كبير من التعقيد المركب، وهو ما يتطلب من الباحث في هذا الشأن قدر كبير من الجهد والعناء إذا ما أراد الإحاطة بهذه المشكلة وتقديم قراءة موضوعية لها، تستجيب لمتطلبات الواقع المعاش، وتقدم الحلول الكفيلة بالخروج من مأزقها المعقد.

بكيفية أخرى: إن الحديث عن المواطنة والمساواة في الواقع اليمني، ومحاولة معرفة الحيز الذي تشغله في المجال الثقافي ومستويات التحقق لتلك التطورات النظرية لمفهوم المواطنة، على مستوى الوعي الجمعي، في واقع الحياة اليومية للمواطنين باختلاف انتماءاتهم السياسية أو الاجتماعية، أو الثقافية، أو المكانية، يتطلب من الباحث القاصد معرفة حقيقة أوضاع المواطنة، أن يضع في اعتباره جملة من المسائل المعقدة، التي تشكل العناصر المكونة لمشهد المواطنة والمساواة في اليمن، وفي هذا السياق نعتقد انه من المناسب لنا الدخول لمناقشة مشكلة المواطنة في اليمن منذ مطلع التسعينيات من القرن الماضي حتى الوقت الراهن، أي منذ أن بدأت المناقشات حولها في السياق الثقافي العربي والعالمي. وسوف نقسمها إلى ثلاث فترات رئيسة، شهد خلالها مفهوم المواطنة المتساوية في اليمن صعودًا ثم تراجعًا، فانحدارًا إلى مستوى أكثر عمقًا وتعقيدًا.

تبدأ المرحلة الأولى في بداية عقد التسعينيات، حيث تزامنت تلك المناقشات التي سبق الحديث عنها وشملت مشكلة المواطنة المتساوية، مع تحقيق الوحدة بين شطري اليمن وقيام الدولة اليمنية الموحدة، عام 1990م، ومع هذا الحدث التاريخي المهم شهدت الجمهورية اليمنية، جملة من التطورات الاجتماعية والسياسية والثقافية، وقد مثلت العملية الديمقراطية العلامة البارزة في جملة هذه التحولات، حيث نجد في المشهد الديمقراطي في اليمن، على سبيل المثال وليس الحصر: التعددية السياسية والحزبية. حرية الصحافة والمطبوعات. حرية القول والرأي، وإن في حدوده الدنيا. ظهور مؤسسات المجتمع المدني، بوصفها أحد المكونات الأساسية الفاعلة في المجال العمومي. مبدأ التداول السلمي للسلطة بوصفه المبدأ الرئيس الذي تقوم عليها الحياة السياسية في البلاد، تُرجم في الواقع العملي بالانتخابات الدورية- البرلمانية والرئاسية والمحلية- إلى جانب العديد من الإجراءات القانونية الأخرى المتصلة بقضايا الحقوق والحريات، والتأكيد عليها في دستور الدولة الجديدة، وقوانينها النافذة، التي جاءت في عديد منها موائمة للكثير من المعاهدات والاتفاقيات التي تضمنتها التشريعات الدولية حول الحقوق والحريات بصورة عامة، أو المتعلقة بحقوق فئات وشرائح اجتماعية معينة مثل حقوق المرأة والطفل، فضلاً عن المواثيق والاتفاقيات الدولية، التي تؤكد على صون كرامة الإنسان، وحماية حقوقه السياسية والإنسانية.

ولا شك أن هذا الواقع بمعطياته النظرية على الأقل، كان موجودًا، ولا قبل لأحد على إنكاره، وكان حاضرًا ومتجليًا بأنصع صوره له، في سياق خطاب إعلامي وسياسي، رنان "رسمي في الغالب" عندما كان يتحدث حول المكاسب التي تحققت في مجال حقوق المواطنة، علمًا أن هذا الخطاب لم يكن خاص بالعقد الأول من عمر الدولة الموحدة، بل كان سائدًا، على مدى العشرين السنة الأولى من عمر الجمهورية اليمنية.

لكن ماذا عن واقع المواطنة والمساواة في الواقع العملي؟ ماذا عن وضع الدولة بوصفها الراعية لهذه الحقوق؟ هل هناك مؤسسات تحمي وتصون هذه الحقوق وتكفل تحقيق مبدأ المساواة بين مواطنيها، وتنظر إليهم جميعًا بدون تمييز أو انتقاء أو تحيز على أساس الموطن أو المستوى الاجتماعي أو الانتماء القبلي أو الطائفي أو السياسي أو الديني؟

إن إلقاء نظرة سريعة من الخارج لمشهد الحياة اليومية وما صاحبها من خطاب سياسي وإعلامي رسمي تكفي لتكوين صورة مثالية حول تطور حقوق المواطنة المتساوية في اليمن خلال فترة العقد الأول من عمر الجمهورية اليمنية. غير أن هذه الصورة التي قد تنخدع بخطاب إعلامي وسياسي متضخم، سوف تنطوي على حكم متسرع عند تقييم هذه المشكلة، ومن ثمة، سوف تفقد مصداقيتها تمامًا، عندما يأتي أخرون لدراسة مشكلة المواطنة والمساواة في اليمن من خلال البحث والتحليل النقدي، والغور في أعماق الواقع، والنظر عن قرب في تفاصيل عالم الحياة اليومية، التي ستكشف عن واقع مغاير تماماً لما تقدمه الصورة الأولى حول حقوق المواطنة المتساوية في اليمن، ذلك أن المفارقة بين ما يقال نظريًا عن تطورات كبيرة ومهمة شهدتها العملية السياسية والديمقراطية، والمكاسب الاجتماعية والسياسية، التي تحققت لقوى المجتمع المختلفة ومنها تلك المتعلقة بحقوق المواطنة المتساوية في اليمن، لا شك بأنها سوف تكون مفارقة مدهشة ومؤلمة في أنٍ معًا. والحق إن قضايا الحقوق والحريات والمساواة والعدالة والديمقراطية، وغيرها من المبادئ والأسس المكونة لمفهوم المواطنة، بمعانيه النظرية ومستويات تحققها في الواقع العملي، كانت تتجه في مسيرتها على مدى العشرين السنة الأولى من عمر دولة الوحدة اليمنية، بعد البداية المهمة نظريًا وتطبيقيًا، نحو الانحدار والتقهقر وليس التطور والتقدم.

فإذا ما قارنا مشكلة المواطنة، بين عقد التسعينيات من القرن الماضي والعقد الأول من القرن الجديد، أي بين المرحلة الأولى والثانية (لأننا سوف نرجئ الحديث عن مشكلة المواطنة في العقد الثالث من عمر دولة الوحدة لأسباب سنأتي عليها فيما بعد)، فإننا سوف نلاحظ أن المشكلة سوف تبدأ مسيرتها التنازلية منذ منتصف التسعينيات، حيث يبدأ عمليًا تقليص فضاء الحرية المتاحة أمام المواطنين في ممارسة الحقوق السياسية بصورة لا تتفق مع مبادئ العدالة وروح المساواة المجتمعية، مروراً بعملية تقليص مساحة المشاركة الشعبية الحقيقة في العملية الديمقراطية بفعل الاستمرار بسياسة الانفراد بالسلطة، وإلغاء دور مؤسسات الدولة بعد أن اختزلت هذه المؤسسات بشخص الزعيم والقائد وصاحب الفخامة، وانتهاء بتراجع روح الانتماء إلى الوطن وتزايد مشاعر الاغتراب الثقافي والنفسي لدى المواطن وما نجم عنها من مشاعر الكراهية والنفور وعدم

القبول للآخر. علماً أن هذه المظاهر السلبية السائدة في الراهن المعاش آنذاك، لم تكن ملحوظة في بداية التسعينيات من القرن الماضي، أي في السنوات الأولى من قيام دولة الوحدة، إلا بعد أن تحولت العديد من الممارسات اليومية من أطراف النظام السياسي الذي بدأ ينقلب على دستور الدولة وعلى الحياة الديمقراطية وعلى مبادئ العدالة وروح القوانين، بسياسية مغايرة هي سياسية الأزمات والحروب وما ينجم عنها من تبعات إقصائية لفئات واسعة من السكان وانضمامها لطوائف اجتماعية أخرى لم تكن يوماً خارج دوائر العزل والاستبعاد.

إن ما يدفعنا للقول إن مشكلة المواطنة في اليمن لم تكن في أحسن أحوالها كما يعتقد البعض، حتى في تلك الفترة من تطور الدولة الموحدة، لأنها على الضد من ذلك، كانت في أسوء حالاتها، ولا يمكن لذلك الخطاب السياسي وما ينطوي عليه من مظاهر الزيف الأيديولوجي أن يخفي حجم المشاكل المرتبطة بحقوق المواطنة في اليمن، وما قادت إليه من نتائج سلبية متعددة شملت تقريبًا مختلف مستويات الوجود الاجتماعي السائد، وتجلت في العديد من المظاهر ومنها ـ على سبيل التمثيل وليس الحصر ـ

ـ تدهور كبير وغير مشهود في شعور فئات مختلفة من السكان، الشباب بصورة خاصة، بالانتماء للوطن، بسبب وضعهم الاقتصادي، وفقدان الشعور بالأمان الناجم عن انسداد الأمل بالمستقبل، مع فقدان الأمل بالتغيير وخيبة الأمل بالنخب السياسية القابضة على السلطة والثروة، في ظل تفشي الفساد بأشكاله المختلفة، المالي والإداري، والسياسي، مع تراجع شديد في الخدمات الاجتماعية، في التعليم والصحة، بشكل خاص، وانهيار الخدمات الأساسية مياه، كهرباء، مواصلات، طرق ... الخ.

ـ شعور عام بالظلم، وغياب العدالة بمستوياتها المختلفة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، بسبب التمييز، وانحياز العدالة ممثلة بالسلطة القضائية غير المستقلة، ضدًا تجاه المواطنين الذين ينتمون إلى جهات أو مناطق أخرى. وقد تجلت مظاهر غياب العدالة وتحيزها في الوضع القائم بعد حرب صيف 1994م في عديد من المناطق اليمنية وأولها مناطق الجنوب، حيث أخذ أبناء المناطق الجنوبية عامة، يشعرون بأنهم قد جردوا من حقوق المواطنة، بأبعادها ومستوياتها الوجودية والمعرفية، والإنسانية كافة. كما شمل ذلك أبناء مناطق

أخرى جرى التعامل معهم من طرف القوى المهيمنة على السلطة السياسية على أنهم مواطنين من الدرجة الثانية، فشملت حالة التمييز والاستبعاد، أبناء محافظات كثيرة في اليمن. وقد أخذ هذا النوع من التمييز على أساس الانتماء الجغرافي، حيث صُنف مواطنيها على أنهم مواطنين من الدرجة الثالثة أو الرابعة (أبناء "تهامة" مثلاً الذين يشكلون غالبية سكان محافظة الحديدة، وأجزاء من محافظات أخرى مجاورة).

إن مشكلة المواطنة والمساواة في اليمن لا تنحصر تجلياتها عند هذه المظاهر التي أشرنا إليها فحسب، إذ نجد العديد من الظواهر المؤكدة على غياب المواطنة المتساوية، فضلاً عن غياب مقدمات وشروط تحقق مفهوم المواطنة في ميادين الحياة العملية، ومنها:

ـ ما تزال "المرأة" في اليمن تعاني من عمليات القهر والتمييز وعدم التمكين من حقوقها هو الغالب في الحياة العملية. حيث تبين العديد من الدراسات الحديثة العديد من المؤشرات التي تؤكد، ليس فقط، على تزايد عمليات التمييز والاستبعاد الاجتماعي والسياسي والاقتصادي للمرأة في المرحلة الأخيرة، فضلاً عن تعرضها لضغوطات ثقافية ونفسية ودينية من أطراف القوى التقليدية التي تزايد حجم نفوذها الاجتماعي والسياسي مؤخراً، بهدف الضغط على المرأة وإجبارها على الصمت وملازمة الدار وعدم التحدث والمشاركة في قضايا الشأن العام. فضلاً عن ذلك، ما تزال العديد من القوى والحركات الاجتماعية والسياسية والدينية عرضة للاضطهاد والقهر السياسي والاجتماعي، والحرمان من ممارسة حقوقها في التعبير عن رؤاها الفكرية أو السياسية أو الدينية، كما يعاني المواطنين المنتمين لهذه الجماعات أو الحركات الاجتماعية من عمليات تمييز وإقصاء من الفرص المتساوية مع غيرهم من المواطنين.

والحال إذا ما انتقلنا للمرحلة الثالثة، التي تمثل العقد الثالث من عمر الجمهورية اليمنية، لكي نتحدث عن مشكلة المواطنة في الحالة الراهنة التي يعيشها المواطن اليمني، وإذا ما استندنا في ذلك إلى تعريف مصطلح المواطنة، الذي قلنا بأنه يشير في استخدامه اليومي، إلى الكلام الذي ينحصر عادة في حدود الدولة، وفي توصيف الانتساب لها، كما يشير إلى الحقوق وإلى الواجبات وإلى الفعاليات التي تنتج من هذه العلاقات" وإذا ما انتقلنا بعد هذا للعودة لتعريف الدولة

الـتي ينحـصر فيهـا اسـتخدام مصطلـح "المواطنـة" كمـا تقدمـه أدبيـات الفلسـفة السياسـية وعلـم السياسـة بالقـول: إن الدولـة هـي جماعـة المواطنـين الذيـن يشـغلون إقليمًـا محـدد المعالـم، ومسـتقلاً عـن أي سـلطان خارجـي، ويقـوم عليـه نظـام سـياسي لـه حـق الطاعـة والـولاء مـن هـذه الجماعـة مـن المواطنـين أو عـلى الأقـل مـن أغلبهـم". وهـو مـا يعـني أن تعريـف الدولـة يقـوم عـلى أربعـة عنـاصر أساسـية، يشـكل فيـه المواطنـون العنـصر الأول، في حـين تـأتي بـاقي العنـاصر الأخـرى، وهـي الأرض، والاسـتقلال، والحكومـة. فـإن الحديـث عـن المواطنـة المتسـاوية في اليمـن، اسـتنادًا لهـذه الأسـس المعرفيـة والسياسـية، يصطـدم بواقـع مغايـر كليًـا لـكل هـذه الـشروط الـتي يمكـن تحديـد معـنى المواطنـة مـن خلالهـا. قـد يقـول البعـض أن اليمـن يمـر بحالـة طارئـة في تاريخـه السـياسي والاجتماعـي، ولا ينبغـي لنـا تقديـم أحـكام تبـنى عـلى معطيـات هـذه المرحلـة الطارئـة. لكـن ونحـن نتحـدث عـن حقـوق المواطنـة فليـس أمامنـا مـن سـبيل أخـر غـير قـراءة الواقـع والتعـرف عـلى معطياتـه، وهـو مـن يقـدم لنـا حقيقـة أن الدولـة في الوقـت الراهـن، لا تمتلـك مقومـات وجودهـا، فجماعـة المواطنـين لا يشـكلون كتلـة واحـدة ولا يدينـون لحكومـة واحـدة، ومسـألة السـيادة في اتخـاذ القـرارات السـيادية مشـكوكاً فيهـا. ... إلـخ كل هـذا يجعـل مـن الحديـث عـن المواطنـة المتسـاوية وشروط تحققهـا في ظـروف الواقـع الراهـن، يتراجـع نحـو البحـث عـن مـا يسـاعد عـلى حيـاة الإنسـان عـلى البقـاء، وصـون كرامتـه كإنسـان لـه حقـوق مثبتـه في الدسـتور والقوانـين النافـذة حـتى مـع غيـاب العمـل بهـا أو انتهاكهـا مـن كل أطـراف الـنزاع ومـا أكثرهـم.

خلاصـة القـول: إن مـا يحتـاج إليـه المواطـن اليمـني والعـربي عمومـاً، هـو إلى جانـب توفـر تلـك الـشروط التاريخيـة- الاجتماعية والسياسـية والاقتصاديـة والثقافيـة- الـتي أتينا عليهـا بوصفهـا أسـس ضروريـة لقيـام مواطنـة كاملـة تقـوم عـلى مبـادئ وأسـس هـي الأخـرى ضرورة ولازمـة وفي مقدمتهـا شرط الحريـة والمسـاواة والعدالـة ووجـود عقـد اجتماعـي جديـد ينظـم الحقـوق والواجبـات الكفيلـة بتنظيـم تلـك العلاقـات الـتي ذُكـرت في سـياق هـذا البحـث، ومنهـا علاقـة المواطـن بوطنـه انتمـاءً وثقافـة وتاريـخ، وعلاقتـه مـع مواطنيـه الذيـن يشـاركهم العيـش والانتمـاء للوطـن، فضـلاً عـن علاقتـه بدولتـه الـتي تقـوم عـلى مبـدأ احـترام الحقـوق وأداء الواجبـات المفروضـة عليـه.

وإن مـا يحتـاج إليـه المواطـن، هـو خلـق مثـل هـذه الـشروط الـتي تحـول المواطنـة

إلى إحساس وثقافة وشعور ناضج بالانتماء من طرف كل فرد في المجتمع، وهذا لا يتم إلا عندما تتحول المواطنة إلى قيمة ثقافية وأخلاقية وسياسية في التكوين الشخصي للمواطن.

المصادر والمراجع المثبتة في الدراسة:

١_ ريان فوت ، النسوية والمواطنة ، ترجمة : أيمن بكر وسمر الشيشكلي . مصر ، ٢٠٠٤ م ص ٣٢ .
٢_ شفيق المصري ، المواطنة في ضوابطها الدستورية ، مجلة تسامح ، العدد ٢٠ خريف ٢٠٠٧ م .
٣_ محمد عثمان الخشب ، تطور مفهوم المواطنة في الفكر السياسي الغربي ، مجلة التسامح ، العدد ٢٠ خريف ٢٠٠٧ .
٤_ ينظر : ريان فوت ، النسوية والمواطنة ، المرجع السابق ، ص ٣٣
٥_ إيمانويل كانط ، جواب عن سؤال : ما الأنوار؟ ترجمة : رشيد بو طيب ، مجلة عيون ، العدد ١٢ السنة السادسة ٢٠٠١ ، ص ٣٣ .
٦_ ميشل فوكو . بحثان حول الفرد والحرية ، ص ١٩٤ .
٧_ ميشل فوكو . المرجع نفسه ، ص ١٩٧ .
٨_ إيمانويل كانط . جواب عن سؤال : ما الأنوار؟ المرجع السابق ، ص٣٢ .
٩_ ينظر : ريان فوت ، النسوية والمواطنة ، مرجع سابق ، ص ٣٣، ٣٤ .

المواطنة والدِّيمقراطيَّة وحقوق الإنسان
في الدولة المدنية الحديثة

د. روزا جعفر محمد الخامري
استاذ القانون المساعد
جامعة عدن

لا يمكن للدولة أن تنتج وتحقق أسس نهضتها دون مبدأ المواطنة، إذ إنَّ المواطنة جوهر التفاعلات التي ينتجها المجتمع ومكونا أساسيا من مكونات الدولة بصيغتها المدنية المعبِّرة عن تفاعل جميع المكونات الداخلية. وانطلاقا من ذلك يندرج تحت هذا المفهوم الحرية وما يصاحبها من حقوق وواجبات، فالمواطنة تسبغ على المواطن حقوقا سياسية وأخرى قانونية واجتماعية واقتصادية وثقافية ... الخ؛ وحيث إنَّ الدولة المدنية هي دولة تعاقدية يتوافق الناس على مبادئها ودستورها وشكل مؤسساتها، وهي دولة النظام والقانون ويحاسب فيها من ينتهك القانون ولا تتركز السلطة فيها بيد جماعة أو فرد وإنما يكون معيار التنوع قائم على أساس النظام الديمقراطي، تبنى على أساس توزيع السلطات وتوازنها والرقابة المتبادلة بين السلطات قائمة على بنية مؤسسية فيها برلمان مستقل غير خاضع للسلطة التنفيذية.

كما أنَّ الدولة المدنية تقوم على عدد من المبادئ تستند اليها وتتشكل من وحي ثقافة المجتمع ومرجعية العلاقات المجتمعية من أهم هذه المبادئ أنَّ الشعب مالك السلطة ومصدرها الوحيد، المساواة والعدالة وعدم التميز، العدالة الاجتماعية، دولة القانون، احترام حق الاختيار والاختلاف، الحرية، الامن والتنمية، التغيير السلمي والتنافس المشروع، تكافؤ الفرص، المشاركة.

وهنـاك عـدة مقومـات ينبغـي توافرهـا كأسـس في الدولـة المدنيـة الحديثـة ـــ وأهمها وجـود المواطنـة ـــ فـلا تتحقـق شروط بنـاء الدولـة المدنيـة إلا بوجودهـا وهي:

1ـ الدستور:(1)

إن أهـم مقومـات الدولـة المدنيـة الحديثـة هـو وجـود دسـتور مـدني، ينظـم العلاقـة بـين فـروع الحكومـة ببعضهـا وعلاقـة الحكومـة بالمجتمـع، وينـص عـلى تفويـض الشـعب للحكومـة بـإدارة شـئون البـلاد وفـق شروط، يسـحب هـذا التفويـض إذا حـدث إخـلال بالالتزامـات الدسـتورية، ويمثـل هـذا الدسـتور تأكيـداً عـلى أنَّ الشـعب هـو مالـك السـلطة ومصدرهـا، وأهـم مـا يجـب أن يتضمنـه الدسـتور في الدولـة المدنيـة السـيادة الشـعبية، ومبـدأ التـداول السـلمي للسـلطة، ويتضمـن تحديد شـكل وطبيعـة نظـام الحكـم، ونظـام الانتخابـات، الفـترة الرئاسـية، اسـتقلال وفصـل السـلطات الثـلاث، وضمـان للحقـوق والحريـات العامـة وسـيادة القانـون تأكيـداً لمبـدأ المواطنـة المتسـاوية، ودولـة المؤسسـات والاعـتراف والتطبيـق والحمايـة للحقـوق ولحريـات العامـة، وحقـوق الإنسـان كافـة، وإعـلام حـر ومتعـدد، بمـا يكفـل حريـة تكويـن الأحـزاب السياسـية، والمنظمـات النقابيـة، وحريـة الـرأي والمعتقـد، والاجتمـاع، والاعتمـاد عـلى مبـدأ الانتخـاب العـام لعنـاصر السـلطة التشريعيـة والتنفيذيـة، كأسـاس لتـداول السـلطة، مـن خـلال انتخابـات دوريـة حـرة ونزيهـة وشـفافة، تجسـد نتائجهـا بصـدق عـن إرادة الناخبـين، والاعـتراف بالتعدديـة السياسـية والحزبيـة. ويجـب أن يضمـن الدسـتور التنـوع والمشـاركة الشـعبية الواسـعة والمبـاشرة عـبر إيجـاد حكـم محـلي ديمقراطـي كامـل الصلاحيـات يقـوم عـلى انتخـاب المجالـس المحليـة، وتكويـن مؤسسـات مجتمـع مـدني. أمـا بالنسـبة لحكـم القانـون فهـو يتحقـق مـن خـلال صياغـة دسـتور وقوانـين مدنيـة تحمـي حريـة المواطنـين مـن التدخـل التعسـفي للسـلطة، كمـا تحمـي حقوقهـم المدنيـة عنـد التعامـل مـع بعضهـم بعضـا عـلى أن تمنـح السـلطة القضائيـة والهيئـات التنفيذيـة السـلطة المناسـبة لتنفيـذ القوانـين دون تعسَّـفٍ في تنفيذهـا.

1) دليل المواطن إلى الدولة المدنية الحديثة، مؤسسة تمكين للتنمية، ص12.

2ـ الديمقراطية:

تعـرف الديمقراطيـة بأنهـا: (نظـام حكـم سـياسي واجتماعـي لإدارة الدولـة والمجتمـع)، كمـا يعرِّفهـا بعـض الكُتَّـاب: بأنهـا نمـط وأسـلوب حيـاة وطريقـة في التفكيـر تقـوم عـلى إتاحـة الفرصـة الكاملـة لـكل أفـراد المجتمـع بالمشـاركة في كل مـا يخـص شـئون حياتهـم العامـة، وهـي أيضـاً سـلوك متكـرر مـن الأفـراد يقـوم عـلى احـترام الآخـر، وإتاحـة الفرصـة الكاملـة لـه للتعبـير عـن ذاتـه، وتقديـر آراءه، بـل والأخـذ بهـا إذا كانـت صائبـة. إنهـا نمـط وسـلوك متكـرر لـكل أفـراد المجتمـع يقـوم عـلى الموضعيـة، ومواءمـة مصلحـة الجماعـة والمجتمـع مـع مصلحـة الفـرد، نمـط يقـوم عـلى احـترام المعايـير، والضوابـط الاجتماعيـة، بمـا يـؤدي في النهايـة إلى وجـود منـاخ وبيئـة داعمـة ومحفـزة عـلى التقـدم والرفاهيـة.

إن الدولـة المدنيـة هـي الـتي تقـوم عـلى أسـس ديمقراطيـة واعتمادهـا كأسـس لنظامهـا السـياسي، ومفـردات النظـام الديمقراطـي تقـوم عـلى فصـل السـلطات والانتقـال السـلمي للسـلطة، والوصـول إلى الحكـم عـن طريـق انتخابـات حـرة ونزيهـة، أي إنَّ بنـاء الدولـة المدنيـة الديمقراطيـة يشـترط أن تكـون السـلطة مفتوحـة للتنافـس الحـر عـن طريـق الانتخابـات الـتي تقـام في فـترات يحددهـا الدسـتور، بحيـث لا تظـل السـلطة رهينـة بيـد فـرد أو جماعـة أو حـزب. وتقـوم ديمقراطيـة الدولـة المدنيـة عـلى الفصـل بـين السـلطات والتـوازن بينهـا في الوقـت ذاتـه، وعـلى اسـتقلال القضـاء، وعـلى التـداول السـلمي الـدوري للسـلطة بـين قـوى سياسـية منظمـة، تطـرح برامجهـا لنيـل ثقـة المواطنـين في عمليـات انتخابيـة حـرة ونزيهـة؛ لأنهـا تقـوم عـلى مجموعـة مـن المبـادئ أهمهـا التـداول السـلمي للسـلطة، وحريـة الاختيـار والشـفافية والمصداقيـة وتـداول المعلومـات ومبـدأ المسـاواة واعتمـاد مبـدأ المحاسـبة والرقابـة والمسـاءلة، والتنظيـم المؤسـسي للمجتمـع، كمـا أن الديمقراطيـة تعتمـد عـلى دعامتـين أساسـيتين، همـا حكـم الأغلبيـة وحكـم القانـون، ويتحقـق حكـم الأغلبيـة مـن خـلال انتخابـات حـرة مبـاشرة تضمـن انتخـاب حكومـة تمثـل الشـعب، عـلى أن يتـم الفصـل التـام بـين السـلطات المختلفـة واسـتقلال كل منهـا عـن الأخـرى في إطـار مـن التـوازن، مـع وجـود رقابـة متبادلـة بينهـا والقـدرة عـلى محاسـبة المؤسسـات الحكوميـة، هـذا إضافـة إلى التـداول السـلمي للسـلطة في البلـد الديمقراطـي بشـكل سـلس لفـترة زمنيـة كافيـة، لأن الديمقراطيـة هـي في جوهرهـا طريقـة في الحيـاة وأسـلوب لتسـيير المجتمـع

وإدارة صراعاته بوسائل سلمية، وهي بهذا المفهوم تتطلب سيادة قيم معينة ومؤسسات وآليات تضع الديمقراطية بهذا المفهوم موضع التطبيق، فلا يمكن بناء الديمقراطية في أي مجتمع بدون إشاعة ثقافة تعمِّق القيم الموجهة لسلوك المواطنين في هذا الاتجاه.

إن الانتقال من الاستبداد إلى الديمقراطية يتطلب أولاً وفي الأساس تحرير الإنسان وإطلاق طاقاته ليصبح القوة الأساس في التنمية، ولا يمكن الحديث عن تحرير الإنسان طالما بقيت رواسب الاستبداد قائمة في المجتمع على شكل نظم حكم سلطوية وثقافة غير ديمقراطية، وما لم يشمل التحول الديمقراطي كافة مجالات المجتمع فإنه لا مجال للحديث عن تحرير الإنسان. كما لا يمكن التحول إلى الديمقراطية بدون بناء المؤسسات التي تمارس من خلالها هذه الطريقة في الحياة، أو بدون توافر الآليات التي يتم من خلالها وضع هذه القيم الديمقراطية موضع التطبيق وشمولها المجتمع كله؛ لذلك فإن من المهم أن نسعى إلى بناء مؤسسات مجتمع ديمقراطي ونشر ثقافة ومبادئ وقيم الديمقراطية من أجل تحقيق دوله مدنية دوله النظام والقانون، لذا ينبغي الخروج من (الجدال المشكوك في براءة مقاصده حول الدولة الدينية والدولة المدنية الذي يؤدي إلى تبديد طاقاتنا ويضيع وقتنا، ويشغلنا عن إقامة الدولة الديمقراطية، التي هي المشكلة وهي الحل).

3ـ المواطنة:

تعرف المواطنة بأنها: (عضوية الفرد التامة والمسئولة في الدولة، وينتج عن هذه العضوية مجموعة من العلاقات المتبادلة بين الطرفين نسميها الحقوق والواجبات)؛ وتشير دائرة المعارف البريطانية إلى إنَّ (المواطنة هي علاقة بين فرد ودولة كما يحددها قانون تلك الدولة، وبما تتضمنَّه تلك العلاقة من واجبات وحقوق في تلك الدولة). كما إنها العلاقة بين الفرد والدولة بحيث تقدم الدولة لمواطنيها الحماية ويردون بدورهم بالولاء كما تؤطر المواطنة العلاقة بين الفرد والدولة في الحقوق والواجبات بحيث تضمن للمواطنين حرياتهم وحقوقهم وتفرض عليهم الواجبات والمسؤوليات تجاه الدولة. (وذلك ما سنتناوله بشكل أوسع عند الحديث عن المواطنة والحقوق فيما يلي من البحث)

4ـ حقوق الإنسان:

كان أبرز أشكال التعاون الإنساني بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية في أعقاب ما ارتكب من فظاعة وجرائم أثناء الحرب العالمية، والتي كان من أهم دوافعها إلغاء التمايز العنصري والعرقي لجنس على الأجناس الأخرى، هو التعاون الإنساني في إصدار الأمم المتحدة الوليدة النشأة (1945) في ذلك الوقت الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في عام (1948)، الذي أكَّد في ديباجته على إن الحقوق التي وردت في هذا الإعلان، هي مجموعة الحقوق التي يتمتع بها الإنسان بوصفه إنساناً، حيث يولد الناس أحراراً متساويين في الكرامة والحقوق، وقد وهبوا العقل والوجدان، وعليهم أن يعاملوا بعضهم بعضا بروح الإخاء.

وقد أكَّد الإعلان أيضاً أن لكل إنسان حق التمتع بكل الحقوق والحريات المذكورة في هذا الإعلان واعتبارها حقوقاً غير قابلة التنازل عنها، وغير مشروعة الانتهاك لأي سبب من الأسباب، وأساس هذه الحقوق هو تحريم الاعتداء على الحياة الإنسانية (الإنسان كإنسان)، ولا يجوز تقييدها إلا لأسباب يحددها القانون، وذلك استناداً إلى الحق في الحياة والأمن، حيث تنقسم هذه الحقوق إلى مجموعة من الحقوق المدنية، والسياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، على حقوق فردية وأخرى جماعية.

أمَّا لماذا حقوق الإنسان؟ ليس هناك أسباب لهذه الحقوق غير أننا نولد أحراراً متساويين في هذا الكوكب، علينا أن نسعى فيه نحو تحقيق حياة كريمة، وهي حق أصيل لا يجوز التنازل عنه، أو انتهاكه، ويجب أن تحميه القوانين، وهي حقوق لصيقة بالشخصية الإنسانية، لا يتم الحصول عليها من منطق أنها منحة أو مكافأة أو مؤشر أو دلالة على التميز، ولكن يتم الحصول عليها نتيجة الصفة الإنسانية.

من جهة أخرى بالإضافة إلى التزامات الدولة تجاه حقوق الإنسان فإنه يتطلب أيضاً التزام الفرد والمجتمع كلٍّ تجاه الآخر، ويؤكد ذلك ما ورد في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان (1948) في المادة 29 من إشارة واضحة للواجبات، حددت في جوانب أساسية هي:

- على كل فرد واجبات نحو المجتمع الذي يوجد فيه، وأن تنمو شخصيته نمواً حراً كاملاً.
- يخضع الفرد في ممارسة حقوقه وحرياته لتلك القيود التي يقررها القانون

فقـط لضمـان حقـوق الغـير وحرياتهـم، واحترامهـا، ولتحقيـق المقتضيـات العادلـة للنظـام العـام والمصلحـة العامـة والأخـلاق في مجتمـع ديمقراطـي.

مفهوم المواطنة والحقوق

لمحة تاريخية عن المواطنة:

عـرف الإغريقيـون المواطنـة وحـبَّ الوطـن، فدولـة اسـبارطة كانـت تتميـز بنظـام عسـكري صـارم في تربيـة أبنائهـا فالدولـة هي الـتي تتولى تدريبهـم على الأمـور الرياضية العنيفـة، تهتـم بتقويـة أبدانهـم حـتى يبلغـوا أقـصى درجـات القـوة الجسـمية، ثـم يتـولى الذكـور تدريبـات عسـكرية شـاقة ليبلغـوا أقـصى درجـات الخـبرة العسـكرية، أما الإنـاث فكـن يتلقـين مـن الوسـائل التربويـة مـا يُعينهُـنَّ عـلى إنجـاب ذريـة قويـة، ومـن ثـم فنجـد التربيـة البدنيـة فينشـغل الاسـبرطيون بالشـئون العسـكرية، ثـم يتولـون بعـد ذلـك شـئون الحكـم والخدمـة العامـة، وكان هنـاك شـعور عسـكري قـوي وسـائد بـين الأفـراد بالانتمـاء إلى الدولـة أقـوى مـن العائلـة، ومـن ثـم حققـت انتصـارات عسـكرية ضخمـة بفضـل تعبئـة أفرادهـا نحـو الدفـاع والأمـن كهـدف وضعتـه نصـب عينيهـا (2).

مفهوم المواطنة:

توجـد رابطـة قانونيـة بـين الدولـة والمواطـن يترتـب بموجبهـا حقـوق معينـة للفـرد نحـو الدولـة وفي المقابـل توجـد واجبـات معينـة للدولـة تجـاه الفـرد.

إلا إنَّ المفهـوم الواسـع للمواطنـة يعـني أكـثر مـن الرابطـة بـين الفـرد والدولـة فهـو يمتـد ليشـمل العضويـة الكاملـة والمتسـاوية في المجتمـع بمـا يترتب عليهـا من حقـوق وواجبـات، وهـو مـا يعـني أن أبنـاء الشـعب الذيـن يعيشـون فـوق تـراب الوطـن كافـة سواسـية دون أدنى تميـز قائـم علـى أي معايـير تحكـمية مثـل الديـن أو الجنـس أو اللـون أو المسـتوى الاقتصـادي أو الإنتمـاء السـياسي والموقـف الفكـري. كمـا إنَّهـا تعـبر عـن علاقـة تاريخيـة وانتمائيـة بـين الإنسـان وموطنـه، وهـي صفـة تـلازم المواطـن ولا

(2) د. عبد الخالق يوسف سعد، المواطنة وتنميتها لدى طلاب التعليم قبل الجامعي ـ رؤية مقارنة ـ المركز القومي للبحوث التربوي والتنمية، القاهرة، 2004م، ص13.

تـزول عنـه حـتى لـو أُكْـرِه عـلى الخـروج مـن بلـده.

وتُعـرَّف المواطنـة بأنهـا (عضويـة الفـرد التامـة والمسـؤولة في الدولـة، وينتـج عـن هـذه العضويـة مجموعـة مـن العلاقـات المتبادلـة بـين الطرفـين نسـميها الحقـوق والواجبـات).

وتشـير دائـرة المعـارف البريطانيـة الى إنَّ (المواطنـة هـي علاقـة بـين الفـرد ودولـة كمـا يحددهـا قانـون تلـك الدولـة، وبمـا تضمنتـه تلـك العلاقـة مـن واجبـات وحقـوق في تلـك الدولـة).

وهنـاك علاقـة وطيـدة بـين مفهومـي الدولـة المدنيـة والمواطنـة إذ لا مواطنـة دون دولـة مدنيـة تسـنُّ القوانـين الـتي تحمـي مواطنيهـا وحقـوق المواطنـة وتكفـل المسـاواة وتكافـؤ الفـرص ومتطلبـات العيـش الكريـم.

ولقـد أشـارت المنظمـة العربيـة لمناهضـة التميـز (AAD) في العـدد (11) لعـام 2005م, حـول تطـور المفهـوم الحديـث للمواطنـة قبـل نحـو ثلاثـة قـرون مـع تشـكيل الدولـة القوميـة الـتي تحتكـر لنفسـها السـيادة المطلقـة داخـل حدودهـا، فمـن أجـل منـع اسـتبداد الدولـة وسـلطاتها نشـأت فكـرة المواطـن الـذي يمتلـك حقوقـاً غـير قابلـة للسـلب أو الاعتـداء عليهـا مـن قبـل الدولـة، حقـوق مدنيـة تتعلـق بالمشـاركة في اتخـاذ القـرار السـياسي وحقـوق جماعيـة ترتبـط بالشـئون الاقتصاديـة والاجتماعيـة والثقافيـة ولـذا تعـرف الدولـة القوميـة باسـم دولـة القانـون والمؤسسـات المسـتندة إلى الإرادة الشـعبية؛ فهـذه العنـاصر القوميـة باسـم دولـة القانـون والمؤسسـات المسـندة إلى الإرادة الشـعبية فهـذه العنـاصر الثـلاث (السـيادة، القانـون، والمؤسسـات الديمقراطيـة) هـي مـا يعطـي لمفهـوم المواطنـة معنـاه.

هـذا ويعـدُّ مفهـوم (المواطنـة citizenship) مـن المفاهيـم الغربيـة الـذي أرتبـط ظهـوره بكتابـات المفكريـن والفلاسـفة الغربيـين لاسـيما المدينـة الفاضلـة لأفلاطـون. ثـم مـا لبـث أن أصبـح مفهـوم المواطنـة مفهومـاً محوريـاً في إطـار الدراسـات القانونيـة ليصـف الوضعيـة القانونيـة الـتي يحـق للشـخص بمقتضاهـا التَّمتـع بمـا تمنحـه الدولـة مـن امتيـازات لمواطنيهـا وتحملـه واجبـات المواطنـة كافـة مـن دفـعٍ للضرائـب وأداء الخدمـة العسـكرية وغيرهـا (3).

(3) رضا عطية إبراهيم، المواطنة والانتماء وأثرها على الدولة والمجتمع والأسرة، مكتبة الأسرة مصر، 2006، ص18

ورغم أن مفهوم المواطنة يشير إلى حمل جنسية دولة ما وعضوية الفرد التامة والمسؤولة في تلك الدولة، إلا أنها باتت غير كافية للدلالة على مفهوم المواطنة فكثيراً ما تكون صلة الدم أو واقعة الميلاد - وفقاً للقانون - أساساً لمنح الجنسية لذلك فإنها دون شكٍّ ليست كافية (للمواطنة) فمفهوم المواطنة أوسع نطاقاً وأكثر شمولاً من مجرد حمل جنسية دولة ما رغم أنه يرتب حقوقاً والتزامات في آن واحد، إلا أنه يتضمن رابطاً معنوياً لا تحدده الدساتير والقوانين.. فمفهوم المواطنة يتضمن الشعور بالانتماء والوحدة الوطنية، والرغبة في المبادرة والمشاركة في الحياة العامة والحرص على ممارسة الحقوق السياسية انطلاقاً من كونها ليست فقط حق ولكن واجباً وطنياً يتعيَّن أدائه. كما إن المواطنة ترتب منظومة من الحقوق الأساسية أهمها الحق في المساواة والملكية الخاصة والتعليم والرعاية الصحية والعمل والضمان الاجتماعي والتفكير والعقدية والانتخاب والتمثيل السياسي وتكوين الأحزاب السياسية، وتكوين النقابات والجمعيات، والعدالة وتداول المعلومات، والتنقل، والحياة الكريمة والقبول من الآخرين والإنصاف... الخ.(4).

ليس من السهل أن تُحيط بمصطلح كالمواطنة، يتصف بتعددية الرؤى، وشموليته لجوانب مختلفة من الحياة، لاختلاطه بمفاهيم أخرى كالوطن والجنسية والدولة والديمقراطية وارتباطه بإشكاليات الهوية القومية، وتعرضه مع مفاهيم مناوئة له كالاستبداد والظلم والإرهاب والدولة الدينية، إن المواطنة في الأخير موضوع (يلتمس بأسئلة صعبة ما زالت تواجه الدولة)(5).

ولقد شهد هذا المفهوم تغيرات عديدة في مضمونه واستخدامه ودلالاته، فلم يعد فقط يصف العلاقة بين الفرد والدولة في شقها السياسي القانوني كما ساد سابقاً، بل القراءة في الدراسات السياسية الحديثة يؤكد على عودة الاهتمام بمفهوم الدولة مع نهاية الثمانينات، ويرجع ذلك لعدة عوامل أبرزها الأزمة التي تتعرض لها فكرة الدولة القومية التي مثلت ركيزة الفكر الليبرالي لفترة طويلة نتيجة عدة تحولات شهدتها نهاية القرن العشرين(6):

(4) المرجع نفسه ص18.

(5) فالديا بموت، مقال « المواطنة في الفكر السياسي الإسلامي، مجلة الكلمة، تصدر عن الكلمة للدراسات والبحوث، العدد (54) السنة الرابعة عشر، 2007، ص141.

(6) رضا عطية إبراهيم، المواطنة والانتماء وأثرهما على الدولة والمجتمع والأسرة، مرجع سابق، ص2.

أولهـا: تزايـد المشـكلات العرقيـة والدينيـة في أقطـار كثـيرة مـن العالـم وتفجـر العنـف بـل الإبـادة الدمويـة، ليـس فقـط في بلـدان لـم تنتـشر فيهـا عقيـدة الحداثـة مـن بلـدان العالـم الثالـث بـل أيضـاً في قلـب العالـم الغـربي وعـلى يـد قـواه الكـبرى، بـدءاً مـن الإبـادة النازيـة لليهـود، ومـروراً بالإبـادة الفوريـة في هيروشـيما، والإبـادة الصربيـة للمسـلمين في البوسـنة والهرسـك والإبـادة الأمريكيـة للعراقيـين والأفغـان، والإبـادة الصهيونيـة للفلسـطينيين واللبنانيـين عـلى يـد الصهيونيـة المتطرفـة الـتي مـا زالـت جاريـة حـتى يومنـا هـذا.

وثانيهـا: بـروز فكـرة (العولمـة) الـتي تأسسـت على التوسـع الرأسـمالي العابـر للحدود وثـورة الاتصـالات والتكنولوجيـا مـن ناحيـة أخـرى، والحاجـة لمراجعـة المفهـوم الـذي قـام عـلى تصـور (الحـدود الإقليميـة للوطـن والجماعـة السياسـية وسـيادة الدولـة القوميـة، وكلهـا مسـتويات شـهدت تحـولاً نوعيـاً).

لقـد تعـددت التعريفـات لمفهـوم المواطنـة (Citizenship) حيـث اسـتمد المفهـوم معنـاه في اللغـة مـن مفهـوم الوطـن محـل الإقامـة والحمايـة، بينمـا نظـر قامـوس علـم الاجتمـاع إلى المواطنـة باعتبارهـا مكانـة أو علاقـة اجتماعيـة تقـوم بـين فـرد طبيعـي ومجتمـع سياسي (دولـة) يقـدم مـن خلالهـا الطرف الثـاني الحمايـة وهذه العلاقـة تتحدد مـن خـلال طـرق أنظمـة الحكـم القائمـة، وبنـاءً عـلى مـا تقـدم يمكـن تعريـف المواطنـة مـن منظـور نفـسي باعتبارهـا الشـعور بالانتمـاء والـولاء للوطـن للقيـادة السياسـية الـتي تُعـدُّ مصـدر الإشـباع للحاجـات الأساسـية وحمايـة الـذات مـن الإخطـار المصيريـة.

ومـن ثـم تشـير المواطنـة إلى العلاقـة بـين الأرض والبلـد. (7) فالمواطنـة لـدى فاديـه الفقـير(8) هـي الانتمـاء (membership) إلى تجمـع سـكاني أو تجمـع محـلي ويقـوم الانتمـاء بتنظيـم العلاقـة بـين الأفـراد والدولـة مـن جهـة، وبـين أفـراد المجتمـع مـن جهـة أخـرى ويشـير عـلي خليفـة الكـواري إلى أن عبـد الكريـم غـلاب في كتابـه (أزمـة المفاهيـم وانحـراف التفكـير) ربـط بـين الوطنيـة والمواطنـة، (كـون الوطنيـة تعـني أن يكـون المواطـن مـع وطنـه في الـسراء والـضراء، وأن يراعـي مسـيرة الوطـن داخـل وخـارج الوطـن بـل أن غـلاب يعتـبر الوطنيـة بمثابـة طـوق النجـاة للفـرد عندمـا تحيـط

(7) نقلاً عن: رضا عطية إبراهيم، المواطنة والانتماء وأثرهما على الدولة والمجتمع والأسرة، مرجع سابق، ص23 – 24.

(8) فاديه أحمد الفقير، مقال النساء الديمقراطيات بدون ديمقراطية، المواطنة والديمقراطية في البلدان العربية، مركز دراسات الوحدة العربية ـ بيروت، ط1، 2001م، ص182.

بـه الأزمـات، وعليـه فـإن غـلاب يشـترط التـوازن بـين الوطنيـة والمواطنـة فالأخـيرة في نظـره (لا تسـتقيم في مجتمـع مختـل التـوازن) (9)، وفي دراسـة نـشرت عـن المواطنـة المتسـاوية (اليمـن أنموذجـاً)(10) وقـد ارتكـزت هـذه الدراسـة عـلى اختبـار فرضيـة أساسـية هـي إن ضعـف دولـة النظـام والقانـون، وتدهـور الحيـاة المعيشـية، وغيـاب الثقافـة الديمقراطيـة، والبنيـة التقليديـة اليمنيـة الـتي تقـوم عـلى القبليـة والعشـائرية والأسريـة، فضـلاً عـن اسـتشراء الفسـاد، هـي أبـرز معوقـات المواطنـة المتسـاوية في اليمـن. ولاختبـار هـذه الفرضيـات تناقـش الدراسـة ثـلاث قضايـا، هـي: مفهـوم المسـاواة، والمواطنـة المتسـاوية في النصـوص الدسـتورية، ومعوقـات المواطنـة المتسـاوية.

المواطنـة المتسـاوية في النصـوص الدسـتورية: لـم تـأتِ الديمقراطيـة وحقـوق الإنسـان والمواطنـة المتسـاوية في اليمـن نتيجـة لنضـال المجتمـع المـدني، وإنمـا بقـرار سـلطوي، وذلـك مـا نتـج عنـه سـيطرة شـبه مطلقـة للنخـب عـلى السـاحة الديمقراطية، عـلى الرغـم مـن النصـوص الدسـتورية العديـدة الـتي تتحـدث عـن المسـاواة بـين المواطنـين لكنهـا لا تجـد مـن يطبقهـا في الواقـع ولا مـن لديـه القـدرة عـلى حمايتهـا.

معوقـات تطبيـق المواطنـة المتسـاوية: إنَّ معوقـات ممارسـة الديمقراطيـة والمواطنـة المتسـاوية في الجمهوريـة اليمنيـة هـي الأميـة وتخلـف المجتمـع وضعـف القاعـدة الماديـة وسـيادة العـادات والتقاليـد الموروثـة بطابعهـا السـلبي، والـتراث الشـمولي، وسـيادة مبـدأ الغلبـة في الحيـاة اليوميـة، وضعـف الثقافـة الديمقراطيـة، وضعـف المعارضـة ومؤسسـات المجتمـع المـدني ومؤسسـات الدولـة. وهـو مـا يمكـن إجمالـه في النقـاط الأربـع التاليـة: غيـاب دولـة النظـام والقانـون، وهيمنـة الثقافـة الشـمولية، والبنيـة الاجتماعيـة التقليديـة، والفسـاد.

وتوصلـت الدراسـة إلى إنـه لتعميـق مفهـوم المواطنـة المتسـاوية وتحويـل النصـوص الدسـتورية إلى واقـع لا بـد مـن توافـر عـدة شروط، هـي: النيـات الحسـنة، والثقافـة الديمقراطيـة، والمؤسسـات الديمقراطيـة، ومؤسسـات المجتمـع المـدني، وتطويـر

(9) علي خليفة الكواري وآخرون، المواطنة والديمقراطية في البلدان العربية، مركز دراسات الوحدة العربية – بيروت، ط2، 2004

(10) علي خليفة الكواري، مرجع سابق، ص36.

البنيـة الاجتماعيـة التقليديـة، ومحاربـة الفسـاد، ورفـع المسـتوى المعيـشي.

المواطنة في السياق الغربي

عرَّفـت موسـوعة دائـرة المعـارف البريطانيـة المواطنـة بأنَّهـا (علاقـة بـين فـرد ودولة كمـا يحددهـا قانـون تلـك الدولـة، ومـا تتضمنـه تلـك العلاقـة مـن حقـوق وواجبـات في تلـك الدولـة) وتؤكـد الموسـوعة عـلى إن المواطنـة (تـدل حتمـاً عـلى مرتبـة مـن الحريـة) مـع مـا يصاحبهـا مـن مسـؤوليات وتُبـيِّنُ الموسـوعة أن الجنسـية والحمايـة في الخـارج مـن أهـم اشـتراطات المواطنـة، وتتبـع الموسـوعة عـلى المواطنـة (حقـوق سياسـية مثـل حـق الاقـتراع وتـولى المناصـب) (11).

وجـاء مفهـوم المواطنـة في معجـم المصطلحـات السياسـية للإشـارة إلى الوضـع أو المركـز القانـوني الـذي يحـق للشـخص بمقتضـاه أن يتمتـع بامتيـازات وواجبـات المواطنـة الكاملـة في الدولـة حيـث يمكـن أن يكتسـب وضـع المواطـن مـن خـلال عـدة طـرق: عنـد الـولادة (واقعـة أو مـكان الميـلاد) صلـة الـدم (نتيجـة الانحـدار مـن أصـل أو نسـب معـين، أو عـن طـرق منـح الجنسـية) التحويـل الرسـمي (للانتمـاء أو التجنيس) وتمنـح المواطنـة للشـخص الحمايـة الـتي تكفلهـا لـه قوانـين الدولـة وتشريعاتهـا فضـلاً عـن بعـض الحقـوق والامتيـازات بحـق المشـاركة في الحكـم والتمتـع برعايـة البعثـات الدبلوماسـية والقنصليـة الدوليـة في الخـارج، وفي المقابـل يـؤدي المواطـن واجبـات معينـة كدفـع الضرائـب والخدمـة في صفـوف الجيـش(12).

وقـد قَـرُبَ المسـلمون الأوائـل أيضـاً مـن مفهـوم المواطنـة، وذلـك بفضـل مـا يحملـه الإسـلام مـن منظـور إنسـاني للوحـدة الإنسـانية والمسـاواة في الحقـوق والواجبـات ومبـادئ العـدل والقسـط والإنصـاف مبـدأ الشـورى ويعـود تاريـخ إبـداع مبـدأ المواطنـة في أوروبـا إلى بدايـة عـصر النهضـة وظهـور الفكـر السـياسي العقـلاني التجريـبي، وحـركات الإصـلاح الديـني ومـا تلاهـا مـن حـركات نهضـة وتنويـر في الحيـاة السياسـية، مسـتفيداً في ذلـك مـن الفكـر السـياسي الإغريقـي والرومـاني، ومبـادئ

(11) المرجع نفسه، ص30.

(12) المرجع نفسه ص15.

الإسلام وذلك بعد أن اندثرت التجارب الديمقراطية المحدودة في دائرتي الحضارتين الإغريقية والرومانية من جهة، ومن جهة أخرى بسبب توجه الحضارات السائدة طوال العصور الوسطى 300 – 1300، بما فيها الحضارة العربية الإسلامية الصاعدة إلى إقامة أنظمة حكم ملكية مطلق غير مقيدة على الرغم من البدايات الواعدة للممارسات الإسلامية في صدر الإسلام والمستندة إلى مبادئ الشورى والمساواة بين جميع البشر، وإقرار غير المسلمين على عقائدهم وحفظ عهودهم.(13)

فالمفهوم الإسلامي للمواطنة ينطلق من خلال القواعد والأسس التي تُبنَى عليها الرؤية الإسلامية لعنصري المواطنة، وهما الوطن والمواطن وبالتالي فإن الشريعة الإسلامية ترى أن المواطنة هي تعبير عن الصلة التي تربط بين المسلم كفرد وعناصر الأمة وهي الأفراد المسلمين، والحاكم والإمام، وتتوج هذه الصلات جميعاً الصلة التي تجمع بين المسلمين وحكامهم من جهة، وبين الأرض التي يقيمون عليها من جهة أخرى، وبمعنى أخر بأن المواطنة هي تعبير عن طبيعة جوهر الصلات القائمة بين دار الإسلام وهي(وطن الإسلام) وبين من يقيمون على هذا الوطن أو هذا الدار من المسلمين وغيرهم ويؤكد بعضهم ذلك بقوله: إن مفهوم المواطنة من المنظور الإسلامي هي (مجموعة العلاقات والروابط والصلات التي تنشأ بين دار الإسلام وكل من يقطن هذا الدار سواء كانوا مسلمين أم ذميين أم مستأمنين)(14).

وهناك مرتكزات للمواطنة، مثل حرية المعتقد وذلك باعتبار الحرية هي الفطرة الإلهية التي منحها الله للإنسان، وحرية التفكير والتبصير وهي تأتي مفتوحة لا حاجز لها في ظل مقاصد الشريعة الإسلامية، حيث دعا القرآن الكريم العقل وطالب المذكورين بعدم اعتناق العقيدة إلا بعد الاقتناع التام.

وكذلك حرية الانتماء وهو سنة الله في خلقه والآية التي تدل على المواطنة في القرآن الكريم يقول تعالى: (يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلنَكُم شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكرَمَكُم عِندَ اللهِ أتقَاكُم إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)(14). وكذلك الحريات العامة.

(13) المرجع نفسه ص25.

(14) سورة الحجرات، آية13.

المواطنة وحقوق الانسان: تظهر العلاقة بين المواطنة وحقوق الانسان من حيث الاهتمام الذي توليه (منظمات حقوق الانسان) بالفرد كإنسان (بَشَر)؛ بينما المواطنة تهتم بالفرد بوصفه مواطنا يحمل جنسية تلك الدولة وأحد أعضاء المجتمع السياسي فيها. وهناك أوجه خلاف بين المواطنة وحقوق الانسان نذكر منها: غن حقوق الانسان حقوق معنوية وقانونية لكل البشر على حدٍّ سواء، في حين أن المواطنة تجسد دلالات سياسية بحثة ترتبط بجنسية الشخص وانتمائه لدولة ما، وتُعدُّ حقوق الانسان بمثابة حقوق ذات أهمية وقائية، بينما المواطنة تُعدُّ مجموعة استحقاقات يمكن ممارستها بشكل عملي، وينظر لحقوق الانسان على إنها حقوق عالمية في حين ينظر للمواطنة بشكل أكثر خصوصية؛ فالحقوق والامتيازات الممنوحة تظلُّ محصورة داخل دولة معينة.

المواطنة في الاتفاقيات والمواثيق الدولية

لقد جاءت كافة الاتفاقيات والمواثيق الدولية للتأكيد على المساواة بين البشر وعدم جواز التمييز فيما بينهم بسبب العرق واللون أو الجنس بين البشر. ووفقاً لذلك صاغت منظمة الأمم المتحدة مفهوم المواطنة. حيث نصت المادة (13) من وثيقة الإعلان العالمية لحقوق الإنسان لعام 1948م على إنَّه (يحق لكل فرد أن يغادر أي بلاد بما في ذلك بلده كما يحق له العودة إليه) وقد أكدت المادة (15) من الإعلان أن (لكل فرد حق التمتع بجنسية ما. وأنه لا يجوز حرمان شخص من جنسيته تعسفاً أو إنكار حق في تغييرها).

وقد أكد العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية لعام 1966م عدم جواز التمييز بين مواطني الدولة الواحدة لأي من الأسباب، حيث نصت المادة (25) منه على أن تتاح لكل مواطن دون أي وجه من وجوه التمييز " بسبب العرق، أو اللون، أو الجنس، أو اللغة أو الدين أو الرأي، أو الأصل القومي أو الاجتماعي، أو الثروة أو النسب، أو غيره فرصة التمتع بمجموعة من الحقوق دون قيود غير معقولة.

ووفقاً لما تقدَّم فإنَّ المواطنة شرط لتطبيق الديمقراطية، والمواطنة الحقَّة هي متن الديمقراطية، والممارسة الديمقراطية تحتاج لثقافة المواطنة والمواطنة هي السبيل الوحيد لإرساء النظام الديمقراطي، وتكريس سيادة القانون والمساواة

ولـن تترسـخ مبـادئ المواطنـة إلا مـن خـلال المواطـن لا الدعـوى أو التابـع، فالفـرد الـذي يتوقـع حقوقـاً سياسـياً هـو مواطـن بينمـا الدعـوي لا يتوقـع أيـة حقـوق إلا مـا تعطـى لـه، و يظـل يتعامـل معهـا أو مـع انتهـاك حقوقـه بالحسـن والتسـامح، إن غيـاب المواطنـة يقـوض العلاقـة بـين المواطـن والمجتمـع المـدني والدولـة الديمقراطيـة. (15).

جوهر المواطنة:

يكمـن جوهـر المواطنـة في تحقيـق قيـم المشـاركة والمسـاواة، الحريـة والمسـئولية الاجتماعيـة في المجتمـع.

المشـاركة: تكمـن المشـاركة في تمكـين المواطنـين مـن التعبـير عـن اراداتهـم في التفكـير والتعبـير والاختيـار والمشـاركة مـن خـلال العمليـة الديمقراطيـة وذلـك انطلاقـا مـن القاعـدة فالشـعب مصـدر السـلطات. تحقيقـا لرغبـات الشـعب وطموحاتـه، وعليـه فإنـه مـن حـق المواطنـين (وفقـا للأهليـة القانونيـة) الـتي يحددهـا الدسـتور الترشُّـح للمناصـب والتصويـت، وانتخـاب ممثلـين في الهيئـات كافـة ويمكنهـم المشـاركة في صنـع السياسـة العامـة أمَّـا بطريقـة مبـاشرة أو مـن خـلال ممثليهـم أو مـن خـلال دورهـم في الرقابـة والمسـاءلة وتشـكيل الاحـزاب. أو مـن خـلال منظمـات المجتمـع المـدني ودورهـا في المشـاركة والرقابـة عـلى تنفيـذ السياسـة العامـة للدولـة.

الحـــريـــة: وتتجسَّـدُ في العديـد مـن الحقـوق مثـل حريـة الاعتقـاد وممارسـة الشـعائر الدينيـة، وحريـة التنقـل داخـل الوطـن، وحـق الحديـث والمناقشـة بحريـة مـع الآخريـن حـول مشـكلات المجتمـع ومسـتقبله، وحريـة تأييـد أو الاحتجـاج عـلى قضيـة أو موقـف أو سياسـة مـا، حـتى لـو كان هـذا الاحتجـاج موجهـا ضـد الحكومـة، وحريـة المشـاركة في المؤتمـرات أو اللقـاءات ذات الطابـع الاجتماعـي أو السـياسي.

المســـــاواة: هـي عـدم التميـز بـين المواطنـين في المجتمـع سـواء في الديـن أو العـرق أو الجنـس أو العقيـدة أو اللون...الـخ وتوفـير كل سـبل تكافـؤ الفـرص بـين المواطنـين وقـد كفـل الدسـتور ذلـك في الحيـاة العامـة والحيـاة السياسـية والاجتماعيـة

(15) محمد اللطيفي، المواطنة المتساوية في الإسلام، مرجع سابق، ص17.

والاقتصادية من خلال القوانين التي جسد فيها ذلك والتي تصدرها السلطة التشريعية.

المسئولية الاجتماعية: وهي تتضمَّنُ عددا من الواجبات مثل واجب دفع الضرائب، وتأدية الخدمة العسكرية للوطن، واحترام القانون، واحترم حرية وخصوصية الآخرين.

الحقوق والواجبات: وتتمثَّلُ في علاقة الفرد بالدولة وعلاقة الدولة بالمواطن من خلال الالتزام بالحقوق والواجبات الملقاة على عاتق كل منهما في احترام القانون وسيادته وفي احترام حقوق الاخرين في المجتمع واحترام حقوق الانسان من خلال منظومة الحقوق المدنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وكذا الحقوق التنموية. وأبرز هذه الحقوق كالتالي:

أبرز الحقوق المدنية والسياسية	
المساواة وعدم التميز على أساس الدين اللغة اللون والراي والجنس....الخ	الحق في اللجوء الى المحاكم عند أي انتهاك
الحق في الحياة والحرية والامان الشخصي	حظر الاعتقال أو الحجز أو النفي التعسفي
حظر الاسترقاق والاستعباد والاتجار بالرقيق	الحق في المحاكمة العادلة والمستقلة
حضر التعذيب والمعاملة والعقوبة القاسية واللا انسانيه والحطُّ من الكرامة	براءة المتهم الى أن تثبت ادانته ومحاكمته بشكل علني مع توفر الدفاع
الحق بالاعتراف بالشخصية القانونية	الحق في الجنسية وعدم الحرمان منها
المساواة أمام القانون وحمايته دون تمييز	عدم التعرض للحياة الخاصة للأفراد أو في شؤون أسرهم
الحق في حريه الحركة والتنقل داخل الدولة	الحق في الحرية الرأي والتعبير
الحق في مغادرة أي بلد والعودة إليه في أي وقت شاء	الحق في الاشتراك في الجمعيات السلمية
الحق في الزواج وتأسيس أسرة	الحق في الانتخابات الدورية وفي ادارة الشؤون العامة
حق التملك وعدم تجريد الأفراد من ممتلكاتهم بشكل تعسفي	الحق في تقلد الوظائف العامة بالتساوي مع الاخرين

الحقوق المدنية السياسية:

(متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً) هكذا قالها عمر وجاءت المادة الأولى للإعلان العالمي لحقوق الإنسان " يولد جميع الناس أحراراً "، فالحرية يكسبها الإنسان فطرياً قبل أن تكون حقاً من حقوق الإنسان الطبيعية، والمواطن في الدولة المدنية الحديثة يتمتع بكافة الحقوق والحريات السياسية والمدنية، مثل حرية تشكيل الأحزاب والتنظيمات السياسية وحرية التعبير عن الرأي والانتخاب : الترشح والترشيح واختيار الحاكم، وتحديد شكل الحكومة والمشاركة فيها وحرية التظاهر والتجمع وتشكيل النقابات والإعلان عن أفكاره وأراءه بحرية تامة، وحرية المواطن في استخدام كافة الوسائل التي تمكنه من إيصال صوته للآخرين والتأثير على أصحاب القرار والحكم.

تتجسد الحريات السياسية والمدنية من خلال بناء مجتمع مدني يساهم فيه المواطن في صياغة التشريعات والقوانين من خلال المؤسسات المدنية والأحزاب والصحافة وغيره، بما يمكنه من تجسيد حريته على مستوى الممارسة والعمل والحرية هنا تعتبر أكثر من كونها مجرد حق للإنسان، فهي بجانب كونها حق، هي فضيلة من الفضائل الأخلاقية السامية، بل هي على رأس الفضائل، ورغبة الإنسان في الحرية قوية، وهي أقوى من الرغبة الموازية لها في الأمن والاطمئنان. لهذا فإن الحرية، هي الرابح دائماً في نهاية المطاف، والمستقبل لحرية الشعوب، وليس لاستبداد الأنظمة.

حرية الرأي والتعبير:

نصت المادة (19) من الاعلان العالمي لحقوق الانسان على أن (لكل شخص حق التمتع بحرية الرأي والتعبير، ويشمل هذا الحق حريته في اعتناق الآراء دون مضايقه)؛ فحرية الرأي والتعبير هي حق أصيل لكل انسان ومن أهم الحقوق المدنية والسياسية، ويقصد بها حرية اعتناق الافكار والآراء والتعبير عنها عن طريق القول أو الكتاب أو عمل فني بدون رقابه أو قيود أو مضايقه، على أن لا تكون طريقة ومضمون الافكار أو الآراء ما يمكن اعتباره اعتداء على حرية الاخرين، ويرتبط الحق في حرية الرأي والتعبير بكثير من الحقوق كالحق في حرية الفكر والمعتقد والحريات الصحفية وحرية الإعلام وتعدده والحق في حرية التجمع

والتظاهـر السـلمي، وحريـة تكويـن المؤسسـات والنقابـات والمنظمـات، فضـلاً عـن ارتباطـه بمبـدأ الشـفافية وحريـة المعلومـات.

حرية الفكر والمعتقد:

نصـت المـادة (18) مـن الاعـلان العالمـي لحقـوق الانسـان عـلى أن (لـكل شـخص الحـق في حريـة تفكـير الضمـير والديـن)، وهـذا مـا توافقـت عليـه كافـة المواثيـق وأقرتـه كل الكتـب السـماوية وأجمعـت عليـه كل التكوينـات الانسـانية.

فالدولـة المدنيـة ليسـت نقيضـاً للديـن ولا تسـتبعده، ولكنهـا تضـم المؤسسـات الدينيـة وغـير الدينيـة، وتفتـح ذراعيهـا للإنسـان، ذلـك إن اللـه خلـق الانسـان وزوده بالعقـل والقـدرة عـلى التميـيز بـين الاشـياء، وأبـان لـه السـبيل ثـم تـرك لـه حريـة الاختيـار. يقـول تعـالى: (إنَّـا خَلقْنَـا الإنسَـانَ مِـن نُطفَـهٍ أمْشَـاجٍ نَبتَلِيـهِ فَجَعلنَـاهُ سَـمِيْعَاً بَصِـيراً. إنَّـا هَديْنَـاهُ السَّـبِيلَ إمَّـا شَـاكِراً وَإمَّـا كَفُـورَا)(16)؛ وبعـد أن يحـث القـران في هـذه السـورة عـلى الإيمـان واتبـاع سـبيل الاسـلام، يقـول في خاتمتهـا: (إنَّ هَـذِهِ تَذْكِـرةٌ فَمَـنْ شَـاءَ أتَّخَـذَ إلى رّبِّـهِ سَـبِيْلا. وَمَـا تَشَـاءُونَ إلَّا أنْ يّشَـاءَ اللـه إنَّ اللـهَ كَانَ عَلِيمَـاً حَكِيمَـاً)(17) ويؤكـد القـران هـذا المعـنى في سـوره أخـرى، فيقـول: (لا إكْـرَاه فِيْ الدِّيْـنِ قَـد تَبَـيَّنَ الرُّشْـدُ مِـنَ الغَـيِّ)(18).

وترتبـط الحريـة في الفكـر والمعتقـد بحريـة الاختـلاف؛ فينبغـي أن يكفـل القانـون حريـة التعايـش في المذهـب والفكـر والديـن والاتجـاه السـياسي والعقائـدي.

الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية

إن الحقـوق والحريـات لا يمكـن لهـا أن تقـوم إلا في ظـل دولـة قانونيـة تكفـل هـذه الحقـوق وتحميهـا وتعـتزم بنـاء مؤسسـات دسـتورية أساسـها مشـاركة كل الأفـراد في تسـيير الشـؤون العامـة والقـدرة عـلى تحقيـق العدالـة الاجتماعيـة والمسـاواة وضمـان الحريـة لـكل فـرد.

(16) سورة الإنسان، الآية2.
(17) سورة الإنسان، الآية29/30.
(18) سورة البقرة، الآية256.

صـدر في العـام 1966م عـن الأمـم المتحـدة العهـد الـدولي الخـاص بالحقـوق الاقتصاديـة والاجتماعيـة والثقافيـة الـذي تضمَّـن تفصيـلا لتلـك الحقـوق الـتي تمثلـت في حـق العيـش برفاهيـة، وحـق التعليـم، وحـق التمتـع بمنتجـات العلـم والثقافـة، والرعايـة الصحيـة، والمسـكن الملائـم، والحـق في سـلامة الجسـم، والحـق في الحيـاة الكريمـة اللائقـة، والحـق في حريـة الانتقـال، والحـق في تكويـن التنظيمـات النقابيـة، والحـق في تكويـن الأسرة والـزواج، وحـق العمـل، والحـق في التملـك، وحـق الحمايـة القانونيـة والمحاكمـة العادلـة، وحـق التمتـع بالجنسـية ؛ فيجـب أن يحصل عليهـا الفرد في أي مجتمـع، بمعـنى إنَّـه يمكـن بـل يجـب أن يطالـب بهـا ويدافـع عنهـا كفـرد مـن خـلال ممارسـتها والوعـي بهـا، والتمسـك بهـا، وتشـكيل المنظمـات المدنيـة الـتي تدافع عنهـا، والانضمـام إليهـا والتفاعـل معهـا. وأبـرز الحقـوق الاجتماعيـة والاقتصاديـة والثقافيـة الحـق في الضمـان الاجتماعـي الحـق في العمـل الحـق في الراحـة واوقـات الفـراغ ولا سـيما تحديـد معقـول لعـدد سـاعات العمـل الحـق في مسـتوى معيـشي ملائـم ولاسـيما المـأكل والملبـس والمسـكن، العنايـة الطبيـة والخدمـات الاجتماعيـة الضروريـة الحـق في شروط عمـل عادلـه ومرضيـه

الحـق في انشـاء نقابـات والانضمـام اليهـا الحـق في التعليـم. وأبـرز الحقـوق التنموية الحـق في التنميـة والحـق في بيئـة نظيفـة والحـق في السـلام العالمي.

خاتمة:

يقصـد بالمواطنـة العضويـة الكاملـة والمتسـاوية في المجتمـع بمـا يترتـب عليهـا مـن حقـوق وواجبـات، وذلـك يعـني أن أبنـاء الشـعب الذيـن يعيشـون فـوق تـراب الوطـن كافـة سواسـية بـدون أدنى تميـز قائـم عـلى أي معايـير تحكميـة مثـل الديـن أو الجنـس أو اللـون أو المسـتوى الاقتصـادي أو الانتمـاء السـياسي والموقـف الفكـري، ويرتـب التمتـع بالمواطنـة سلسـلة مـن الحقـوق والواجبـات.

ومما يلاحـظ إنـه في خضـم العلاقـة الطرديـة الـتي تربـط بـين الدولـة والمواطـن تتبلـور مبـادئ أساسـية تتعلـق بمفهـوم أو مبـدأ المواطنـة ينبغـي التأكيـد عليهـا سـعيا لتنميـة هـذا المفهـوم أو المبـدأ ومـن هـذه المبـادئ:

1. اسـتخلاص حقـوق الإنسـان الدسـتورية دينيـة كانـت أو طبيعيـة أو تعدديـة والـتي ينبغـي الإشـارة إليهـا عنـد سَـنِّ أي دسـتور.

2. يقتضي مبدأ المواطنة بأبعاده المختلفة – سياسيا ودستوريا وقانونيا وإداريا واقتصاديا – أن يركز منطق التعامل في الدولة والمجتمع على موجبات المواطنة (أي المشاركة والمساواة).

3. تنمية وترسيخ ثقافة الوحدة الوطنية بين أبناء الشعب وفي عموم المجتمع.

4. المساواة لكل فئات المجتمع بغض النظر عن الجنس والفئة والأثنية أو الطائفية واحترام الرأي والرأي الآخر وقبول التنوع بجميع صوره.

5. مراعاة الجوانب الاقتصادية والبيئية التي تمكن المواطن من التعبير عن رأيه ومصالحه بحرية إذ لا معنى لوجود حقوق قانونية وسياسية ما لم يتوفر الحد الأدنى من ضمانات ممارستها على أرض الواقع مثل وجود التقارب النسبي في الدخل والثروة والمكانة الاجتماعية والمستوى التعليمي وتوفير فرص العمل والتعليم والرعاية الاجتماعية.

إنَّ عدم وجود المواطنة الفاعلة في أي مجتمع سبب حقيقي في انتشار انتهاكات حقوق الإنسان وضعف تطبيق القانون.

منظومة القيم في ثقافة المواطنة

د. عبدالله عوبل
استاذ علم الاجتماع المساعد
جامعة عدن

ترتبط المواطنة بمنظومة القيم التي يتبناها المجتمع، وهي أشد ارتباطا بمنظومة القيم المحورية، تلك القيم التي تشكل خلفية البناء الاجتماعي كله. والعلاقة بين المواطنة والقيم الثقافية تكون في حالة من التكامل مع التنظيم الاجتماعي للمجتمع. وتُعدُّ منظومة القيم هي جذر المواطنة باعتبارها حقوق طبيعية للفرد؛ فقيم الحرية مثلا هي قيمة أساسية تنطلق من الفطرة الطبيعية للإنسان. وبقدر إيمان المجتمع بهذه القيم بقدر ما يحقق أفراده التقدم الذي ينشده المجتمع.

1ـ مفهوم المواطنة:

المواطنة هي (العلاقة السياسية الحقوقية الثابتة بين المواطن والدولة. والنظرة الحقوقية للمواطنة تتضمَّنُ جملة من الحقوق والواجبات، إنَّها علاقة بين الفرد والدولة. وفي المعنى السياسي تعني الحق في المشاركة في الحياة الاجتماعية والإدارة. وفي سياق ثقافي اجتماعي أوسع فإنَّ المواطنة هي الحامل للهوية المرتبطة بالعضوية في مجتمع ما بحيث تميزه عن غيره من المجتمعات)(1).

(1). Carens, J,H (2000)Culture, Citizenship and community

إنَّ أحـد أهـم التعريفـات للمواطـن في المعـنى المعـاصر للكلمـة تقدمـه موسـوعة (ديجـرو و لامـبر) وهـو إن المواطـن عضـو في مجتمـع حـرٍّ مكـوَّن مـن عـددٍ كبـيرٍ مـن الأسر الـتي تتقاسـم الحقـوق في المجتمـع ويتصـدُّون لأي خـرق لهـذه الحقـوق(2). إنَّ الأسرة هـي الخليـة البنائيـة الأولي للمجتمـع. ومـن مجمـوع الأسر تتكـون المجتمعـات.

وتُعـرِّف الموسـوعة البريطانيـة المواطنـة بأنهـا (علاقـة الفـرد بالدولـة كمـا يحددهـا القانـون، ومـا تتضمنَّـه تلـك العلاقـة مـن حقـوق وواجبـات في تلـك الدولـة)(3). المواطنـة إذن حريـة ومسـؤولية وليسـت حريـة مطلقـة. المواطـن حـر ولـكي تتحقـق الحريـة مـن المهـم أن يخضـع للقانـون بغـض النظـر عمَّـا إذا كان النظـام ملـكي أو جمهـوري.

وتعـرف المواطنـة أيضـا بأنَّهـا (تمتُّـع الشـخص بحقـوق وواجبـات وممارسـتها في بقعـة جغرافيـة معينـة لا تميـيز بينهـم بسـبب الاختـلاف في الديـن أو النـوع أو اللـون أو العـرق أو الموقـع الجغـرافي، وبالتـالي فـإنَّ القانـون يحقـق المسـاواة داخـل المجتمعـات ويفـرض نظـام العلاقـات بـين البـشر ويجعلهـا وفـق تصـورات محتملـة) (4).

ومفهـوم المواطنـة هنـا مفهـوم مرتبـط بوجـود الدولـة المدنيـة، وهـذه العلاقـة تعتمـد عـلى تعاقـد بـين المواطـن والدولـة، ليـس فقـط عنـد نشـوء الدولـة ولكـن في كل مرحلـة مـن مراحـل التاريـخ الـتي تتطلـب فيهـا هـذه العلاقـة إعـادة الضبـط بمـا يتوافـق ومسـتوى التطـور الاقتصـادي ـــ الاجتماعـي والتحـولات المتسـارعة في مجـال العلـوم والتقنيـة.

2 ـ مفهوم القيم:

يـرى عالـم الاجتمـاع الاشـهر (اميـل دوركايـم) أن مصـدر القيـم اجتماعـي، لأنَّ (العواطـف الاجتماعيـة هـي الـتي تجعـل الاشـياء ذات قيمـة حيـث تبـدو متشـابهة في وعـي الجماعـة)(5).

(2) DIGRO AND LAMBER celui Encyclopie 1953 .

(3) في منيغة أحمد، الشباب الجامعي الجزائري بين تحديات المواطنة وهشاشة المنظومة القيمية»، المجلة الجزائرية للدراسات السوسيولوجية، العدد السادس يونيو 2018

(4) سارة بخوش، الثقافة السياسية وبناء المواطنة لدى المجتمع الطلابي، رسالة ماجستير جامعة الجزائر 2012 ، ص86.

(5) اميل دوركايم، التربية والمجتمع»، ترجمة/ علي اسعد وطفة، دار الينابيع ـ دمشق، ١٩٩٤، ص٣٢.

ويـرى (دوركايـم) إنَّ للشـخصية جانبـين: (حيـث يوجـد في كل مِنَّـا كائنـان لا يمكـن الفصـل بينهمـا إلا عـلى نحـو تجريـدي، أحدهمـا نتـاج لـكل الحـالات الذهنيـة الخاصـة بنـا وبحياتنـا الشـخصية وهـو مـا يمكـن أن نطلـق عليـه الكائـن الفـردي. أمَّـا الكائـن الآخـر، فهـو نظـام مـن الأفـكار والمشـاعر والعـادات الـتي ننتمـي إليهـا، مثـل العقائـد الدينيـة والممارسـات الأخلاقيـة والتقاليـد القوميـة والمهنيـة والمشـاعر الجمعيـة مـن أي نـوع كانـت، وهـي تشـكل في مجموعهـا الكائـن الاجتماعـي الآخـر. وبالتـالي فـإن بنـاء هـذا الكائـن الاجتماعـي في كل مِنَّـا يشـكل في نهايـة المطـاف هـدف التربيـة وغايتهـا)(6) وهنـا يتضـح الـدور المحـوري للقيـم الاجتماعيـة في بنـاء مفهـوم المواطنـة، حيـث يجـب أن يتـشرب الفـرد المواطـن هـذه القيـم منـذ المراحـل الأولى للدراسـة.

ويـرى عالـم الاجتمـاع (ماكـس فيـبر) إنَّ الوعـي هـو ذاتـه يمكـن أن يقودنـا إلى (جرعـة كبـيرة مـن الحيـاد الاخـلاقي. إنَّ المعايـير القيميـة والاخلاقيـة يمكـن أن تقـدم أجوبـة واضحـة جـدا لهـذه الاسـئلة، عندمـا توضـح لنـا مـاذا تخفـي وراءهـا كمعـان... إنَّ علومـا كثـيرة تسـمى ثقافيـة تعطـي للأفـراد القـدرة والارادة ولهـا توجهـات خاصـة نحـو العالـم المحيـط. هـؤلاء الأفـراد ليسـوا في وضـع أن يتحـرروا مـن طمـوح أن يقيمـوا كل شيء حولهـم – ظواهـر أو احـداث. وإذا فمفهـوم الثقافـة هـو في حـد ذاتـه مفهـوم قيمـي. إن الثقافـة باتـت لدينـا حقيقـة موضوعيـة لأنهـا تحمـل في داخلهـا مخـزون معنـوي ورمـزي بالنسـبة لنـا. لأنهـا شـاهدة عـلى علاقتنـا بالقيـم الـتي نتقبلهـا)(7).

ويـرى (فيـبر) (إنَّ المعرفـة الـتي نتوصـل اليهـا مـن خـلال البحـث تعكـس موقفـا اجتماعيـا معينـا. فالباحـث لديـه افـكار تقييميـة للحقائـق الـتي سـتكون موضـوع البحـث، بـل لـن يكـون قـادراً عـلى تنظيـم المعطيـات وفـق مبـدأ محـدد. لا يمكـن أن يوجـد تحليـل علمـي مطلـق للثقافـة أو الظواهـر الاجتماعيـة معـزولا بالكامـل عـن وجهـة النظـر الخاصـة بالباحـث. إنَّ الباحـث ينطلـق مـن وجهـة نظـر بوعـي أو بـدون وعـي، واضحـة أو غـير واضحـة لـه، لكنهـا تخدمـه في اختيـار وتحليـل وتنظيـم وعـرض موضوعـه)(8). واضـح هنـا أن (ماكـس فيـبر) يشـدد عـلى أنَّ البيئـة المحيطـة بالفـرد تؤثـر عـلى مواقفـه

(6) المرجع نفسه، ص36.

(7) ماكس فيبر، "الاخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية"، 1905، ورد في عبدالله التركماني، "الحداثة في الوطن العربي"، ورقة قدمت في الندوة التي اشرفت عليها مؤسسة الشجرة للذاكرة الفلسطينية، بالمركز الثقافي بمخيم اليرموك دمشق للفترة من 6 – 9 ديسمبر 2004 ضمن محور معوقات الثقافة.www.educationuv.blogsbol.com

(8) المرجع نفسه.

وآراءه، فهو ينتمي لأسرة ومجتمع وشريحة اجتماعية، وبالتالي فإن الباحث يخضع لتأثير المحيط الاجتماعي. لا توجد حالة حياد حتى في الدراسات الاجتماعية. الفرد ابن بيئته، لكن توجد موضوعية أي إنَّ ننظر للمعطيات كما هي دون زيادة أو نقصان.

هنا يتم الحديث عن الثقافة باعتبارها منظومة قيمية تؤثر في وعي الفرد المواطن كما تؤثر في الباحث الذي يقف هنا ليس في موقف محايد فهو يتأثر بوعي أو بدون وعي بمحيطه الاجتماعي وبيئته الثقافية.

3 ـ منظومة القيم الاجتماعية: (Social value system)

تحتل القيم موقعا مركزيا في طروحات عالم الاجتماع الامريكي (تالكوت بارسونز) (9) فهو يعتبرها محددات للبناء الاجتماعي للمجتمع؛ فيرى إن المنظومة المركزية للقيم لأي مجتمع كان هي خلفية كل بناء اجتماعي للمنظومة الاجتماعية الكلية ومفاصلها.

إنَّ حدود كل فعل عند (بارسونز) يتضمن العناصر التالية: الفاعل، الموقف، اتجاه الفاعل نحو موقف محدد. توجد نوعان من التوجهات، دافعية وقيمية. وتمثل الحاجات اساس ومركز التوجهات الدافعية، في حين إنَّ القيم تعبَّر عن التَّكيّف مع بعض المعايير الاجتماعية. وسمى (بارسونز) هذه التوجهات منظومة التوجهات, (System of orientation)

إنَّ منظومة القيم المركزية عند (بارسونز) هي التي تميز بين المجتمعات (فهو يرى إنَّ الصراعات يمكن أن تتفجر في المجتمعات بين القيم. ولكن المجتمع لكي يتمكن من تطوير القيم، ولكي يحقق التكامل وتنظيم نفسه على أساسها، يجب بأن يقضي على القيم التي تعيق تطوره اللاحق)(10)

ويطلق (بارسونز) مفهوم الكمون وهو المفهوم الذي يعبر عن (التكامل بين التنظيم الاجتماعي وانماط القيم الثقافية العليا. ويتم ذلك عن طريق تقدير الاتساق بين اهداف التنظيم مع القيم التي يقرَّها النسق الاجتماعي الأكبر. وذلك

(9) بارسونز، "بنية الفعل الاجتماعي "، نقلا عن عبدالله التركماني "الحداثة في الوطن العربي" مرجع سابق.
(10) المرجع نفسه.

يعطي شرعية للتنظيم كما إنَّه يعطيه قدرة على مواجهة الضغوط الخارجية، ويعطيه القدرة على وضع أولوية لأهدافه. ويشدد (بارسونز) إنَّ على النسق أن يضع منظومة متناغمة من القيم التي تحكم سلوك اعضائه كما إن عليه مواجهة الضغوط التي يمكن أن تواجه انساق ألأنساق الفرعية، نتيجة تباين الانماط المعيارية وذلك من خلال وضع نسق القيم المحوري. Central Value system"".

4ـ منظومة قيم المواطنة:

نقصد بالمنظومة هي مجموعة القيم التي تشكل حجر الاساس للمواطنة. وهذه القيم تظلُّ أهدافا للتنظيم الاجتماعي، وتتكامل معه. كل بناء اجتماعي يقوم على خلفية منظومة قيم هي منظومة القيم المحورية. وعندما يقوم التنظيم الاجتماعي للمجتمع لابد أن يقوم على التكامل مع القيم الثقافية. تنظيم العلاقة بين الدولة والمواطن تقوم على منظومة قيمية تتحول إلى عقد اجتماعي.

فهذه القيم تتطلب اصرارا من المجتمع للإيمان بها وتحويلها إلى حقوقٍ ملزمة عند ممارسة التنظيم الاجتماعي للمجتمع. أي إن تكون عقدا اجتماعيا بين المواطن والدولة. لقد ظلت ومازالت كثير من الشعوب تطمح إلى تحويل المنظومة القيمية للمواطنة إلى حقوق ترفضها السلطات الاستبدادية وأنظمة ما قبل الدولة. وتمثل قيم المواطنة قيما مثل: قيم الحرية والمساواة والعدل وقيم الانتماء وقيم المشاركة السياسية وقيم الديمقراطية وغيرها.

هذه القيم هي تأكيد على مدنية المجتمع، أي قيم مستمدة من ثقافة المجتمع في علاقته مع المجتمعات المعاصرة. ومدنية المجتمع تعني خلو المجتمع من الاستبداد والظلم والقهر. أي مجتمع من أناس أحرار يبنون مجتمعا مزدهرا يضع في أولوياته تحقيق الكرامة الانسانية والدفاع عن حقوق المواطنة. كما إن القيم هي اجتماعية مصدرها اجتماعي نشأت في إطار ثقافة المجتمع وحاجاته الانسانية، وهي تؤطر العلاقة ليس فقط بين الدولة والمواطن، بل بين الناس أنفسهم. والقيم المرتبطة بحقوق المواطنة هي قيم سياسية. وبعض هذه القيم لها بعد اقتصادي يتمثل في العدالة في توزيع الثروة والتنمية المتوازنة وغير ذلك. فالمواطن يجب أن يقرر مصيره وأن يقرر من يحكمه. تلك هي القيم التي مازالت أهدافا لبعض الشعوب وتحققت بدرجات متفاوتة في بعض الدول الغربية.

"الهوية والمواطنة: معاً لمناهضة التمييز.. والهوية العقائدية بنشر ثقافة المواطنة"

أ. د. محمد أحمد علي
باحث وناشط مدني، اليمن

الهوية هي رابط الانتماء إلى أمة ووطن. والمواطنة وما يترتب عليها من حقوق وواجبات تحقق الانتماء وتحميه وتحافظ عليه. فهي ارتباط بوطن محدد ودولة، بما يحقق الانتماء للوطن والدولة؛ فالانتماء يُمثل الهوية الوطنية للمواطن الفرد والشعب. ويتحقق الانتماء فعليا في ظل توفر مقومات المواطنة: المساواة، الحرية، المشاركة والمسؤولية، والعدالة والإنصاف، وبالمواطنة تحقق الانتماء، والمواطنة والانتماء يعززان الهوية الوطنية الجامعة، إذ إنَّ المواطنة تعني تمتُّع المواطن بكافة الحقوق المدنية والسياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية دون تمييز؛ فغياب أو استبعاد مبدأ المواطنة يعني فقدان حقوق المواطنة الذي يترتب عليه فقدان الشعور بالانتماء إلى الوطن وعدم الولاء للدولة، وبالتالي فقدان الشعور بالهوية الوطنية.

لقد أصبح الانتماء في اليمن مستهدفاً جهاراً نهاراً، خاصة بعد إعلان جماعة الحوثي رسمياً التمييز العنصري كعقيدة، وتبني الهوية العقائدية غير الوطنية، ومسعاها إخراج شريحة من شرائح المجتمع اليمني ـ الهاشميين ـ من النسيج اليمني، والتنكر لتاريخ اليمن وثقافته وتراثه وقوميته العربية، وهي العناصر التي تشكل مجتمعةً الهوية اليمنية.

والمواطنة تقتضي من الفرد والجماعة الإقرار بالمساواة، والعدل، والإنصاف، والشراكة، والتنوع، والتعدد، كشروط لا غنى عنها لحماية الهوية الوطنية الجامعة.

لقد دمرت حرب 1994م، وامتدادها إلى حرب 2014م، نسق القيم الوطنية، وأحلَّت محلَّها قيم سلبية تجاه الوطن ومصالحه، واستهدفت نتائجها المواطنة مباشرة، ومنع بناء دولة المواطنة، وذلك بإلغاء المادة (27) من الدستور، حيث تم شطب الحق في المساواة أمام القانون وعدم التمييز، فأجازت التمييز دستوراً وقانوناً، وجسدته ممارسةً وسلوكاً. واليوم يُعلنُ التمييز العنصري رسمياً كعقيدة لجماعة الحوثي، ولا شكَّ أن ذلك يمثل المدخل الأساس لتفكيك الوطن ودوافع الانفصال، إذ عادت بعد حرب 1994م إلى الواجهة دولة القبيلة والعسكر ورجال الدين، والحكم بثقافة شيوخ الدين والقبائل والعسكر، وكرست هذه الصورة في مناطق سيطرة الانقلاب نشوب حرب 2014م، التي أعادت دولة العنصرية والطائفية السلالية والمذهبية. بينما المواطنة التي تحقق الانتماء الوطني تعني رفض الاستبداد والعنصرية والطائفية، ودولة المواطنة لا تكون إلاَّ دولة مدنية، أي الدولة غير قبلية أو دينية أو عسكرية، وهي الدولة التي لا تميز بين المواطنين، ولا تضيق على حرياتهم، ولا تحرمهم من الحق في المشاركة في تقرير إدارة شؤونهم، أو تظلمهم، أو تميّز بينهم في فرص شغل الوظيفة العامة أو النشاطات الاقتصادية والتجارية، كما فعلت سلطة ما بعد حرب 1994م، ويفعله اليوم الحوثيون بصلفٍ أكبر، بإعلانها التمييز العنصري رسمياً، وهذا السلوك وتلك الممارسة أوجدت تعارضاً مطلقاً مع جذر أو مرتكز المواطنة الذي يقوم على مبادئ: المساواة، الحرية، الشراكة، المسؤولية، العدل والإنصاف.

تضافرت عوامل التّمييز الناتجة عن حرب 1994م والحروب المتصلة: حروب صعدة، وحرب 2014م المستمرة، وتفشي الفقر والمجاعة والخوف، فكان تراجع القيم الكبرى وفي مقدمتها المواطنة وفقدان الشعور بالانتماء وبالهوية الوطنية الجامعة.

تراجع الولاء للوطن إلى الولاءات الأولية: القبيلة، المنطقة، السلالة والمذهب، وصارت ولاءات ما قبل الدولة أقوى من الولاء للوطن، والمجتمع والدولة. ومما زاد من سيطرة هذه الولاءات المستندة إلى رابطة الدم والعصبيات الصغرى أن الحرب وأطرافها قد همشتْ السياسة والأحزاب السياسية، ولم تُمكِّن خلال

الحرب إلاَّ الجماعات المسلحة ومراكز القوى القبلية المنتمية إلى أحزاب سياسية التي اتخذت منها غطاء لها، لكن الانتماء الأقوى كان للقبيلة والعصبيات السلالية والمناطقية، وعلا شأنها كونها مصدراً للمقاتلين بلا ثمن.

لم تكتفِ الحركة الحوثية بكونها جماعة سلالية، بل تحولت إلى قبيلة مسيطرة على قبائل أخرى في شمال الشمال، وتعاملت معها بأسلوبين: تمكين القبائل الموالية من المال والسلاح والسلطة المحلية، أو ممارسة القمع الوحشي ضد القبائل التي أظهرت مقاومة لسيطرة قبيلة الحوثي السلالية، أو رفض سلطتها كما حدث مع قبائل حجور والبيضاء.

استخدمت دول الإقليم الولاءات الفرعية، بما في ذلك المذهبية والسلالية ـ الهوية العقائدية، لتعميق الانقسامات، وذلك ما جعل الحرب تصبح حرب الكل ضد الكل، وترتبت نتائج خطيرة على هذا الإضعاف للولاء الوطني، بوجود قوى على الأرض تفرض سيطرتها وتعلن تخليها مباشرة أو ضمناً عن الهوية الوطنية الجامعة، وهي نتائج خطيرة على حاضر ومستقبل اليمن، منها:

ـ وجود قوى تسعى علناً إلى تفكيك البلاد إلى دويلات متعددة.

ـ إعلان القوى التي تحمل السلاح الولاء لدول أخرى كإيران أو تركيا، أو بعض دول الجوار.

ـ فقدان الروابط السياسية والعمل السياسي بتغييب دور الأحزاب السياسية، وبالتالي فشل محاولات إيجاد كتلة تاريخية يمكن أن تحافظ على الروابط السياسية بين اليمنيين، وعلى رابطة الهوية الوطنية، وأن تحقق بائتلافها إمكانية إنهاء الصراع المسلح وتحقيق السلام؛ إذ فشلت الأحزاب السياسية في تحويل التحالف الوطني للأحزاب والقوى السياسية، الذي تشكل عام 2018م، إلى ائتلاف حقيقي وفاعل.

ـ تولد شعور غير مسبوق لدى الفاعلين السياسيين والمجتمعيين بأن نجاح الفرد أو الحزب أو القادة السياسيين معياره الارتباط بالخارج ومصالحه، وهو ارتباط يوفر المال والسلاح في ظل الفقر والفاقة، فانهارت القيم أمام الحاجة، ومن تمسَّك بالقيم يعيش مرارة اللوم، والنعت بالفشل، ومع الزمن قد يشعر فعلاً بالعجز والفشل.

ـ صار استمرار الحرب مصدر للثروة أو العيش؛ خاصة بعد أن صيَّرَ الحوثي العنصرية عقيدة وأعلن الهوية العقائدية.

ـ فقدان صوت وتأثير الرأي العام، وخاصة الرأي العام الذي يشكله المثقف المنتج للثقافة والمثقف الحركي الذي يوصل الثقافة إلى أفراد المجتمع.

ولعل الأخطر من هذه النتائج المترتبة على الحرب وتعطيل مبدأ المواطنة، هي الواقعية المفرطة والزائفة الداعية إلى تحقيق السلام بالحفاظ على هذا الواقع، إذ إن السلام الذي يقوم على أسس طائفية أو سلالية، أو على أساس التمييز العنصري أو المناطقية أو القبلية، لا يقل فداحة وخطراً على المستقبل من استمرار الحرب ونتائجها الكارثية، التي ستتحول إلى نتائج مستمرة باسم السلام، فالسلام لن يتحقق إلا باتفاق شامل يقود إلى إزالة آثار ونتائج الحرب على أساس المواطنة التي تمثل ضمانة لاحترام القيم العصرية الكبرى: المواطنة الديمقراطية، وحقوق الإنسان، والعدالة الاجتماعية، وتوفير شروط ممارسة هذه القيم في الواقع المعاش، وبما يعزز من انتماء المواطن إلى الوطن والدولة، ويجعله يتمسك بالهوية الوطنية والقومية ويعتز بهما.

إنَّ السلام الذي يقوم على أساس وضع اليد على أجزاء من التراب الوطني؛ يكون سلاماً منشوداً من القوى التقليدية، التي تعتبر حدود الوطن هي حدود القبيلة، والساعية إلى استعادة ملك الأجداد من إمارات وسلطنات ومشيخات. وإذا كان صدور دعوات الواقعية لتحقيق سلام على أساس نتائج الحرب من هذه القوى مفهوماً، فإن صدور مثل هذه الدعوات تصدر عن شخصيات مثقفة يسارية يُصبح غير مفهوما. ودعوات مثل هؤلاء ليست إلا تفريط بقيم الوطن، سواء قصدت ذلك أم لم تقصد، وبمشروع اليسار نفسه القائم على قيم: بناء دولة القانون ـ دولة المواطنة ـ، وبناء وطن قوي مزدهر قادر على حماية سيادة الوطن ووحدة أرضيه وحماية المجتمع؛ إذ إن الجماعات المسلحة والقوى والوحدات العسكرية التي لا تتبع للدولة وتفرض سلطتها في الواقع صارت متعددة ليس على صعيد الوطن فقط، بل وعلى صعيد كل منطقة صغيرة، كالألوية العسكرية التي لديها قيادات مختلفة، كما هو الحال في الساحل الغربي ومحافظة تعز، والقوى المتعددة والمختلفة والمتنازعة، والتي لا تتبع الدولة، وسيطرت على الأرض في الشمال والجنوب، وتبذل كل جهودها لتعزيز قبضتها العسكرية على الأرض والاستيلاء على الموارد العامة والخاصة دونما أدنى اعتبار أو مسؤولية لحياة السكان وأمنهم الاجتماعي، حيث تركت الأوبئة والجوع تفتك بالسكان.

ونجـد أن منطـق هـذه الجماعـات منطـق مختـل، حيـث تطالـب الدولـة المُعتَـدَى عليهـا، وفاقـدة الفاعليـة دون سـواها، بدفـع المرتبـات ومكافحـة الأوبئـة القاتلـة والـتي في مقدمتهـا فـيروس كورونـا، والـكل يعـترف بهـذه الحقيقـة، وبـأن القـوى المسـيطرة الـتي لا تتبـع الدولـة لا تمثـل مـن قريـب أو بعيـد سـلطة دولـة أيَّـاً كان مسـتواها، وأخطـر مـا فيهـا الجماعـات الطائفيـة السـلالية والتنظيمـات الإرهابيـة ومثـل هـذه القـوى غـير مؤهلـة للسـلام بـدون حشـد قـوى السـلام بإمكانياتهـا وتوحيـد فعلهـا. وأمـام هـذا الوضـع فـإنَّ الأجـدر باليسـاريين قبـل غيرهـم، والـذي لا يقـوم مشروعهم عـلى وحـدة الوطـن فحسـب، بـل عـلى الوحـدة القوميـة والأخـوة الأمميـة، أن يعملـوا مـن أجـل تحقيـق سـلام مسـتدام وعـادل، أساسـه المواطنـة المتسـاوية، وقيمـه النبيلـة: المسـاواة والعـدل والإنصـاف.

ومـن هنـا فنحـن نـرى أن السـلام الـذي ينقـذ اليمـن وطنـاً وإنسـاناً، هـو السـلام العـادل والمسـتدام الـذي لا بُـدَّ أن يحافـظ عـلى وحـدة الأمـة ويحـل القضايـا الخلافيـة، وفي مقدمتهـا القضيـة الجنوبيـة، وإزالـة آثـار الحـروب: حـرب 1994م، وحـروب صعـدة، وحـرب 2014م، ومـن ثـم يجـب أن تنصـبّ الجهـود نحـو التوصـل إلى اتفـاق سـلام يوفـر آليـات تحقـق بـكل مبادئهـا وقيمهـا: المبـادئ والأسـس والقيـم الـتي تضمنتهـا وثيقـة مخرجـات مؤتمـر الحـوار الوطـني الشـامل، كمبـدأ المسـاواة في الحقـوق والواجبـات وأمـام القانـون، ومبـدأ الحريـة ويشـمل: حريـة الـرأي والتعبـير، والتنظيـم، والمشـاركة في إدارة الشـأن العـام، والحـق في الوظيفـة العامـة، والتملـك، والسـلامة الجسـدية. وتحقـق قيـم المواطنـة: المسـاواة، العـدل، الإنصـاف، والشراكـة، ومقومـات الدولـة المدنيـة الأخـرى: كالديمقراطيـة، وحقـوق الإنسـان، والعدالـة الاجتماعيـة، وإرادة الشـعب وسـيادة القانـون، وهـذه القيـم تمثـل مقومـات دولـة القانـون، دولـة المواطنـة، الدولـة المدنيـة الديمقراطيـة الحديثـة.

تمثـل قيـم المواطنـة وتحويلهـا إلى آليـات دسـتورية، منجـزاً عظيمـاً لليمنيين مجسـداً في مسـودة دسـتور جمهوريـة اليمـن الاتحاديـة، كآليـات سياسـية واقتصاديـة واجتماعيـة وثقافية.

الأولويـة الأولى لاتفـاق السـلام، هـي اسـتعادة مؤسسـات الدولـة، وممارسـة دورها، وحمايـة المجتمـع كلـه عـلى أسـاس المواطنـة، وهـذه هـي الخطـوة الأولى لإنهـاء الرغبـات في التسـلط، والتفـكُّك، والثـأر، والانتقـام، والعنصريـة، والتميـيز، وبآليـات

حددتها مسودة الدستور كالهيئات المستقلة، ومنها هيئة العدالة الانتقالية لكي تحقق العدل لضحايا الحروب والنزاعات خلال الفترة الانتقالية ـ ما بعد النزاع ـ والمشاركة في إدارتها من قبل مختلف القوى، وإعمال آليات العدالة الانتقالية، والمصالحة الوطنية المجتمعية بعد أن يكون اتفاق السلام قد حقق المصالحة السياسية.

بالمواطنة يتحقق الانتماء. لكن استعادة الشعور بالانتماء والمواطنة والهوية الجامعة، بعد ما مر به الإنسان اليمني من فضائع ودعوات للكراهية، وإعلان التمييز العنصري والهويات العقائدية، يتطلب عملاً فكرياً، وثقافياً واسع النطاق، تربوياً وإعلامياً وثقافياً، ينهض به المثقف الفردي والجماعي: من مؤسسات الدولة ومؤسسات المجتمع وفي مقدمتها الأحزاب السياسية، وتكريس قيم المواطنة سلوكاً وممارسة لدى أفراد المجتمع، ولدى النشء على وجه الخصوص، من أجل تحقيق اندماج وطني، وخلق بيئة سليمة لوعي المواطن. ويكون تكريس الانتماء والمواطنة والهوية الجامعة في الوعي عبر التربية، والثقافة، كضرورة وطنية لحماية الهوية والمواطنة، وتعزيزهما بفاعلية مؤسسات الدولة والمجتمع السياسية والاجتماعية والثقافية والتربوية، لتُحقِّقُ:

- تنمية الإحساس بالانتماء والهوية الجامعة.
- تنمية المعارف والقدرات والقيم والاتجاهات، والمشاركة والمسؤولية تجاه المجتمع، والتمتُّع بالحقوق دون تمييز.
- التأصيل النظري لمفهوم الهوية والمواطنة والانتماء.
- التغلُّب على نتائج وآثار الحرب والتَّدخل الخارجي في شؤون البلاد، والإعلاء من شأن قيم الحرية والاستقلال والسيادة وسلامة التراب الوطني.
- المشاركة في إدارة الشأن العام.
- تنمية قيم المواطنة.

23/يونيو/2020م

جدلية العلاقة بين أزمة المواطنة وتنامي العنف السياسي في اليمن

عيبان محمد عبدالرحمن
باحث وناشط مدني

تشهد اليمن منذ ما يزيد عن عقدين من الزمان تحولات بنيوية عاصفة وشاملة، وقد رافقت هذه التحولات بروز ظواهر اجتماعية عديدة باتت تفرض نفسها على حقل البحث العلمي، ومن بين أبرز تلك الظواهر: ظاهرة العنف السياسي، التي أصبحت بمثابة الملمح الأساس في حياة اليمنيين، إذ لم يعرف اليمنيون منذ بداية الألفية الثالثة حالة استقرار سياسي فعلي، ناهيك عن استقرار اقتصادي واجتماعي وسيكولوجي.

لقد ظلت الأزمات السياسية والاقتصادية والانفجارات الاجتماعية تعصف بالبلاد لسنوات، وصولاً إلى نشوب حرب أهلية-إقليمية مزدوجة في مارس 2015م تسبّبْتْ في حدوث أسوأ أزمة إنسانية على مستوى العالم وفقا للتقارير أممية.

إنّ الحرب ــ كانت وما زالت ــ لازمة من لوازم تحكّم الطبقة الطفيلية الفاسدة، ووسيلة للتربّح والإثراء غير المشروع (لبارونات) الحرب ووكلائها المحليين، وقد أدت إلى انهيار الكيان الوطني، وفتحت أبواب الجحيم على الشعب، وساهمت في انتشار الجماعات المسلحة والمتطرفة، واستبعاد المجتمع وقهره وإذلاله ومصادرة حقوقه المواطنية.

تحاول هذه الورقة فهم وتحليل العلاقة الجدلية القائمة بين أزمة المواطنة وتنامي العنف السياسي في اليمن، وتنطلق من تساؤل رئيس مفاده:

ما طبيعة العلاقة القائمة بين أزمة المواطنة وتنامي العنف السياسي في اليمن؟

وتنبثق من هذا التساؤل الرئيس، تساؤلات فرعية هي:

1. ما المواطنة؟ وما العنف السياسي؟
2. ما مظاهر أزمة المواطنة؟
3. كيف أدت أزمة المواطنة إلى تنامي العنف السياسي في اليمن؟

إن محاولة الإجابة عن التساؤلات السابقة تفرض استخدام المنهج الوصفي التحليلي لما يقدمه من إمكانات لوصف الظاهرة محل الدراسة كما تبدو في الواقع، وتحليل أبعادها ومظاهرها والكشف عن أسبابها وعواملها وعلاقاتها التفاعلية.

أولاً: الإطار المفاهيمي:

1) مفهوم المواطنة (Citizenship):

المواطنة لغة:

المواطنة مشتقة من لفظ "وَطَنْ"، والوطن هو المَنْزِلُ الذي تُقيم به، وهو مَوْطِنُ الإنسان ومحله. ووَطَنَ بالمكان وأَوْطَنَ: أقام، وأَوْطَنَهُ: اتّخذه وطَناً. يقال: أَوْطَنَ فلانٌ أرض كذا: أي اتخذها محلّاً ومَسْكَناً يقيم فيها.(1)

المواطنة اصطلاحاً:

المواطنة هي: "مكانة أو علاقة اجتماعية تقوم بين شخص طبيعي وبين مجتمع سياسي (دولة)، ومن خلال هذه العلاقة يقدم الطرف الأول الولاء، ويتولى الثاني مهمة الحماية وتتحدد هذه العلاقة بين الشخص والدولة عن طريق القانون، كما يحكمها مبدأ المساواة."(2)

ويعرّفها د. أحمد زايد بأنها علاقة قانونية واجتماعية بين الأفراد والدولة من ناحية وبين الأفراد بعضهم وبعض من ناحية أخرى، تخوّل لمختلف الأفراد حقوقاً

(1) . ابن منظور، لسان العرب، بيروت، دار صادر، 1968، مج13، ص451.

(2) . . محمد عاطف غيث وآخرون، قاموس علم الاجتماع، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 2006، ص56.

وواجبات تُشحذُ بِطاقةٍ معرفية ونفسية تؤثر في ممارسات الفرد عبر حياته اليومية.(3)

وتعرّفها دائرة المعارف البريطانية بأنها علاقة بين فرد ودولة كما يحددها قانون تلك الدولة، وبما تتضمنه تلك العلاقة من واجبات وحقوق في تلك الدولة. والمواطنة تدل ضمناً على مرتبة من الحرية مع ما يصاحبها من مسئوليات.(4)

أمَّا د. سمير مرقس فينظر إليها "باعتبارها حركة الناس اليومية مشاركين ومناضلين من أجل نيل الحقوق بأبعادها المدنية والاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية على قاعدة المساواة مع الآخرين دون تمييز لأي سبب، واندماج المواطنين في العملية الإنتاجية بما يتيح لهم تقاسم الموارد العامة والثروة الوطنية مع الآخرين الذين يعيشون معهم في إطار الوطن الواحد."(5)

وعلى الرغم من تعدد تعريفات المواطنة وتباينها، إلا أنها تتفق على محددات عامة مشتركة، هي:

1. المواطنة علاقة اجتماعية مزدوجة تربط بين طرفين: الأفراد (المواطنين) والدولة من ناحية، وبين الأفراد بعضهم ببعض من ناحية أخرى.

2. تمنح هذه العلاقة حقوقاً لأطرافها وتفرض عليهم واجبات، وعلى قاعدة المساواة والتشاركية والتكافؤية.

3. يحدد العقد الاجتماعي (الدستور) والقوانين والتشريعات المنبثقة منه، طبيعة تلك الحقوق والواجبات.

4. الغاية المنشودة من هذه العلاقة هي تحقيق الأهداف العامة للمجتمع وتطوره وتقدمه وتكامله في مختلف المجالات.

---

(3) أحمد زايد، المواطنة والهوية الوطنية والمسئولية الاجتماعية، القاهرة، دار العين للنشر، 2018، ص112.

(4) علي خليفة الكواري، مفهوم المواطنة في الدولة الديمقراطية، ضمن: بشير نافع وآخرون، المواطنة والديمقراطية في البلدان العربية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2001، ص30.

(5) محمد العجاتي وشيماء الشرقاوي، المواطنة والحراك العربي .. قراءة في الدساتير والواقع والبنية ما بعد الانتفاضات العربية، ورقة عمل قدمت لمؤتمر "أثر الانتفاضات العربية على المواطنة في العالم العربي"، نوفمبر ٢٠١٤.

2) مفهوم العنف السياسي (Political violence):

العنف لغةً:

هو الخُرْقُ بالأمر وقلّة الرِّفق به، وهو ضد الرفق. عَنُفَ به وعليه يَعْنُفُ عُنْفاً وعَنافة وأَعْنَفه وعَنَّفه تَعْنيفاً، وهو عَنِيفٌ إذا لم يكن رَفيقاً في أَمره. واعْتَنَفَ الأمرَ: أَخذه بعُنف. وأَعْنف الشيء: أخذه بشدة. واعتنف الشيء: كرهه.(6)

العنف اصطلاحاً:

عرّفته منظمة الصحة العالمية بأنه الاستعمال المتعمّد للقوة البدنية أو القدرة سواء بالتهديد أو الاستعمال الفعلي لها من قِبل الشخص ضد نفسه أو ضد شخص آخر أو ضد مجموعة أو مجتمع، بحيث يؤدي أيّ منهما إلى حدوث أو رجحان احتمال حدوث إصابة أو موت أو إصابة نفسية أو سوء النمو أو الحرمان.

وهناك من يعرّفه بأنه: كل سلوك _ فعلي أو قولي _ يتضمن استخداماً للقوة أو تهديداً باستخدامها لإلحاق الأذى والضرر بالذات أو بالآخرين، وإتلاف الممتلكات، لتحقيق أهداف معينة.

ووفقا لهذا التعريف، فإن العنف قد يكون سلوكاً فعلياً (استخدام فعلي للقوة)، أو قولياً، مجرد تهديد باستخدامها، وممارسة الضغط النفسي والمعنوي بأساليب مختلفة. وأنه يقوم على أساس إلحاق الأذى والضرر والإتلاف المادي والمعنوي بالنسبة إلى الأشخاص والممتلكات وذلك للتأثير في إرادة المستهدفين. أي أنه يتضمن معنى الإكراه والإرغام. والسلوك العنيف قد يكون فردياً أو جماعياً، منظماً أو غير منظم، علنياً أو سرياً، صريحاً أو كامناً. ومن هنا تتعدد صور العنف وأدواته وتتداخل.(7)

العنف السياسي:

هو "كافة الممارسات التي تتضمَّنُ استخداماً فعلياً للقوة أو تهديداً باستخدامها لتحقيق أهداف سياسية تتعلق بشكل نظام الحكم وتوجهاته الأيديولوجية أو

(6) ابن منظور، لسان العرب، مج9، بيروت، دار صادر، 1968، ص257.

(7) نُظر: حسنين توفيق إبراهيم، ظاهرة العنف السياسي في النظم العربية، ط2، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1999، ص45.

بسياساته الاقتصادية والاجتماعية."(8)

ويُلاحظُ على هذا التعريف أنَّه يحصر مفهوم العنف السياسي في صورته المادية فقط، ويغفل عن صورته الرمزية. فالقوة لم تعد منحصرة بالقوة المادية فقط، بل أصبحت ــ في العصر الرقمي والإعلام الفضائي ــ قوة رمزية في الغالب.

وتأسيساً على ذلك، يمكن التمييز بين شكلين من العنف السياسي: العنف السياسي المادي، والعنف السياسي الرمزي.

١. العنف السياسي المادي: قد يكون العنف السياسي منظَّماً (الانقلابات وعمليات الاغتيال والاعتقال لأسباب سياسية) أو غير منظّم (أحداث الشغب، وغالباً التظاهرات). وقد يكون فردياً (الاغتيال والاختطاف) أو جماعياً (المظاهرات والإضرابات وأحداث الشغب). علنياً (المظاهرات والاضرابات) أو سرياً (اغتيال عناصر المعارضة او الحكم، التآمر لقلب النظام). وقد تستغرق أعمال العنف فترة طويلة نسبياً (الحروب الثورية والحروب الأهلية)، وقد تكون سريعة ومؤقتة (المظاهرات والاغتيالات)."(9)

٢. العنف السياسي الرمزي: صَكَّ عالم السوسيولوجيا الفرنسية (بيير بورديو) مصطلح العنف الرمزي (Symbolic Violence)، وعرّفه بأنه: "ذلك العنف الناعم واللا محسوس واللا مرئي من ضحاياه أنفسهم، والذي يُمارَسُ في جوهره بالطرق الرمزية الصرفة للاتصال والمعرفة."(10)

وهو _ أيضاً _ ذلك العنف الذي ينتزع واجب الخضوع دون أن يتم الشعور به بصفته خضوعاً، باعتماده على تصورات ومعتقدات مُرسَّخة اجتماعياً."(11)

ويُمارَس العنف الرمزي من خلال وسائل مختلفة:

- الخطاب واللغة وأساليب الإقناع.
- الإعلام والوسائط التفاعلية.
- التعليم.
- التعبئة الإيديولوجية.

---

(8) نفسه، ص52.

(9) نفسه، ص52.

(10) بيار بورديو، الهيمنة الذكورية، ترجمة: سلمان قعفراني، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، 2009، ص 9-8.

(11) بيار بورديو، أسباب عملية .. إعادة النظر بالفلسفة، ترجمة: أنور مغيث، بيروت، دار الأزمنة الحديثة، 1998، ص223.

- الخطاب الديني.

ولاعتبارات موضوعية، سوف تركز هذه الورقة على تناول العنف السياسي المادي، أشكاله وصوره، وعلاقته بأزمة المواطنة المتساوية في اليمن، على أن نتناول العنف السياسي الرمزي في دراسة مستقلة.

تتعدد القوى التي قد تمارس العنف السياسي في صورته المادية. كما تتباين الأهداف السياسية التي تسعى إلى تحقيقها. ويمكن تصور حركة العنف السياسي المادي بين القوى التي يمكن أن تمارسه والقوى المستهدَفة به على النحو التالي:

1. العنف الموجّه من النظام إلى المواطنين أو إلى جماعات وعناصر معينة منهم. وذلك لضمان استمراره، وتقليص دور القوى المعارضة والمناوئة له. ويمارس النظام العنف من خلال أجهزته القهرية كالجيش والأمن (البوليس) والمخابرات والقوانين الاستثنائية... إلخ. ويُعرف العنف في هذه الحالة باسم العنف الرسمي أو الحكومي.

2. العنف الموجَّه من المواطنين أو فئات معينة (العمال، الطلاب، الفلاحين، الأقليات، الأحزاب والتنظيمات السياسية... إلخ)، إلى النظام أو بعض رموزه، ويتخذ العنف في هذه الحالة شكل التظاهرات والإضرابات والاغتيالات والانقلابات ... إلخ. ويُعرف بالعنف الشعبي أو غير الرسمي.

3. العنف الموجّه من بعض عناصر أو أجنحة النخبة الحاكمة إلى بعض عناصرها أو أجنحتها الأخرى. ويدخل هذا العنف في إطار الصراعات داخل النخبة، ويتخذ عدة أشكال منها: التصفيات الجسدية، والاعتقالات، وانقلابات القصر، وقد يصل الأمر إلى حدِّ الصدامات المسلحة بين العناصر والقوى الموالية للأجنحة المتصارعة داخل النخبة الحاكمة. وقد يُوظَّف الجيش والأمن وبعض القوى المدنية في هذه الصراعات.

4. العنف الموجّه من بعض القوى أو الجماعات ضد جماعات أخرى داخل المجتمع، نتيجة أسباب سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو دينية. وقد يتدخل النظام لتصفية مثل هذه الصراعات أو ليلقي بثقله إلى جانب أحد أطرافها. ويطلق البعض على هذه الحالة اسم "العنف السياسي المجتمعي".(12)

(12) حسنين توفيق إبراهيم، مرجع سابق، ص49.

ثانياً: العلاقة بين أزمة المواطنة وتنامي العنف السياسي:

ظاهـرة العنـف السـياسي، ظاهـرة موضوعيـة مركبـة، تنشـأ بفعـل عوامـل سياسـية واجتماعيـة واقتصاديـة وثقافيـة وسـيكولوجية.

فلجـوء بعـض الأفـراد والجماعـات إلى العنـف السـياسي إنمـا يعـبّر عـن رد فعـل احتجاجي لسياسـات قمعيـة وأوضـاع اقصائيـة جائـرة ينتهجهـا النظـام السـياسي ضـد الشـعب والأمـة. (13)

ويمكن توضيح ذلك على النحو الآتي:

1. الطبيعة التسلطية للنظام السياسي:

اعتمـدت النظـم السياسـية المتعاقبـة عـلى حكـم اليمـن القـوة العاريـة كوسـيلة رئيسـة في السـيطرة عـلى المجتمـع. وقـد كانـت السياسـات الأمنيّـة القمعيّـة لتلـك النظـم، وقيامهـا بعسـكرة الحيـاة والمجتمـع، و"تفـشي عنـف أجهـزة الأمـن، إلى درجـة تحوّلـه إلى قاعـدة سـلوكية في التعامـل مـع النـاس"(14) مـن أهـم الأسـباب المولـدة للعنـف السـياسي المضـاد.

يـرى (بيـير بورديـو) أن "الدولـة البوليسـية" هـي القابلـة التاريخيـة (المولّـدة) للعنف، فاللجـوء إلى الإجـراءات العقابيـة والحـل الأمـني لمواجهـة الاحتجاجـات الاجتماعيـة، بـدون معالجـة الأسـباب السوسـيولوجية لهـا، يسـاعد عـلى توسـيع دائـرة العنـف بـدلاً مـن تضييقهـا.

ويُطلـق (بورديـو) عـلى هـذه الحالـة "قانـون الحفـاظ عـلى العنـف": فعندمـا يتعـرض الأشـخاص للعنـف فإنهـم يـردون بالعنـف. والعنـف – للأسـف – لا ينهـزم أبـداً.(15)

إن القمـع يسـلب مـن الإنسـان روحـه وإنسـانيته، ويحوّلـه إلى كائـن حيـواني كمـا يشـير إلى ذلـك بحـق الشـاعر والمؤلـف المسرحـي (ممـدوح عـدوان) إذ يقـول: إن عالـم

(13) للمزيـد يُنظـر: محمـد عابـد الجابـري، المسـألة الثقافيـة في الوطـن العـربي، بـيروت، مركـز دراسـات الوحـدة العربيـة، سلسـلة الثقافـة القوميـة (25)، قضايـا الفكـر العـربي (1)، ط3، 2006، ص161 ومـا بعدهـا.

(14) عزمي بشارة، عنف أجهزة الأمن ودروس 2011، موقع العربي الجديد، مقال، تاريخ النشر: 5/12/2015.

(15) بيـير بورديـو، العولمـة والهيمنـة: مـن المـال إلى الثقافـة، حـوار: برترانـد شـانغ، ترجمـة وتقديـم: محمـد خـيرات، 25 أكتوبـر 2012، م.

القمع المنظّم منه والعشوائي، الذي يعيشه إنسان هذا العصر، هو عالم لا يصلح للإنسان ولا لنمو إنسانيته، بل هو عالم يعمل على "حيونة الإنسان" (أي تحويله إلى حيوان).(16)

وهو وضع تتساوى فيه قيم الحياة والموت، ولا يترك للكثير من الأفراد والجماعات من خيار سوى انتهاج أسلوب العنف والتمرد والخروج المسلح على الدولة الاستبدادية التسلطية.

لقد واجهت السُلطة الحاكمة احتجاجات الحراك الجنوبي منذ أن بدأ يأخذ طابعاً جماهيرياً في 2007 بالقمع والاعتقالات التعسفية ومصادرة المجال العام، عوضاً عن الاستجابة للمطالب الحقوقية والمطلبية التي كان الحراك الجنوبي ينادي بها، وبسبب سوء التصرف هذا اتخذت مطالب الحراك الجنوبي طابعاً سياسياً من خلال رفع شعار فك الارتباط والعودة إلى ما قبل 22 مايو 1990، ثم مع الهجمة المسلحة التي قادتها الحركة الحوثية وحليفها صالح بعيد انقلاب 21 سبتمبر 2014 الأسود، لجأ الحراك الجنوبي إلى انتهاج أسلوب المقاومة الشعبية المسلحة للدفاع عن أبناء المناطق الجنوبية ضد الغزو الحوثي ــ الصالحي.

وقريب من ذلك ما حدث مع الاحتجاجات الشعبية في الشمال، فبعد خروج الجماهير المُفقَرة إلى الشوارع في 2011 تطالب بالتغيير السياسي والاجتماعي، ونشدان بناء دولة ديمقراطية مدنية حديثة تحقق للمواطنين العيش الكريم والحرية والتقدم الاجتماعي، واجه النظام السابق تلك الاحتجاجات بالقوة المفرطة، ومن ثمَّ جر البلاد إلى أتون حرب أهلية ــ إقليمية مزدوجة لا تزال فصولها الدامية مستمرة حتَّى اللحظة.

لقد أدت الحرب إلى انهيار الدولة بوصفها كياناً وطنياً جامعاً، وخلقت الحرب مناخاً ملائماً لتنامي نفوذ الجماعات الدينية والقبلية والمناطقية المسلحة، وباتت هذه الجماعات تسيطر على مساحات جغرافية واسعة من البلاد، مستندةً في ذلك إلى عناصر قوة عديدة متمثلة بـ: السلاح، والمال السياسي، والدعم الخارجي، والخطاب الاعلامي والديني والجهوي المُسيَّس والذي يسعى إلى أدلجة أفراد المجتمع لاسيما الشباب، حتَّى بات الكثيرون يعيدون تعريف أنفسهم بالتضاد

(16) . يُنظر: ممدوح عدوان، حيونة الإنسان، دمشق، دار ممدوح عدوان للنشر والتوزيع، ط6، 2016.

مـع هويتهـم كيمنيـين، مُسـتجلِبين هويـات عصبويـة وانتمـاءات مـا قبـل وطنيـة، في مشـهد سـوريالي ــ تراجيـدي يحـزّ في النفـس ويعكـس عمـق الأزمـة الـتي أصابـتْ الكيان الوطـنيّ والهويّـة الوطنيّـة الجامعـة.

2. تحكُّم طبقة طفيلية على السُلطة والثروة:

النظـامُ الاسـتبداديّ بطبيعتِـهِ نظـامٌ فاسـدٌ، فـ"السُـلطة المُطْلَقـةُ مَفسـدةٌ مطلقـة"، وقـد أصبـح الفسـاد بمثابـة مؤسسـة في اليمـن، بـل " نظامـاً مسـتقلاً يعيـد إنتـاج نفسـه بكفايـة نـادرة". إنّ الفسـاد قـد "دخـل في علاقـة هُويـة مـع النظـام، فـلا يحـضران إلا معـاً، ولا يرتفعـان إلا معـاً."(17)

لقـد صنّفـت المنظمـة الدوليـة للشـفافية اليمـن مـن بـين الـدول الأكـثر فسـاداً في العالـم، وبحسـب تقريرهـا الصـادر في العـام 2010 فقـد احتلـت اليمـن المرتبـة (148) مـن أصـل (178) دولـة في مـؤشر الفسـاد حـول العالـم.

هـذا التصنيـف لـم يعكـس إلا جانبـاً واحـداً للأزمـة البنيويـة الشـاملة الـتي وصلـت إليهـا اليمـن وقتهـا، في ظـل سـيطرة طبقـة طفيليـة عـلى السُـلطة، وعـلى الاقتصـاد الـكلّي للبـلاد.

لقـد فرضـت هـذه الأوليغاركيـة الطفيليـة سـيطرتها عـلى معظـم القطاعـات، والأنشـطة الاقتصاديـة، لاسـيما المربحـة منهـا، مثل مجـالات: اسـتيراد السـلع الأجنبية، والتوكيـلات التجاريـة، والمقـاولات، والمضاربـات العقاريـة، والمضاربـات النقديـة، وشركات الاتصـالات، والنقـل، والنفـط، والغـاز، وفـرض العمـولات في المشـاريع الاسـتثمارية، ومشـاريع البنيـة التحتيـة، وممارسـة أعمـال التهريـب، والبيـع في السـوق السـوداء، والإتجـار بالسـلاح.

وقـد تكوّنـت هـذه الطبقـة مـن أركان النظـام السـابق: الرئيـس السـابق عـلي عبدالله صالـح، وأفـراد عائلتـه، وحليفـه الفريـق عـلي محسـن الأحمـر، قائـد الفرقـة الأولى مـدرع حينهـا، وقيـادات قبليـة: عبدالله بـن حسـين الأحمـر، وأنجالـه: صـادق الأحمـر، وحميـد الأحمـر، وحسـين الأحمـر، وآل الأحمـر، والرويشـان، والشـايف، وغيرهـم، وقيـادات دينيـة أبرزهـا: عبدالمجيـد الزنـداني، بالإضافـة إلى قيـادات عسـكرية، ومدنيـة

(17) أبوبكـر السـقاف، دفاعـاً عـن الحريـة والإنسـان، إعـداد: منصـور هائـل، صنعـاء، منتـدى الجـاوي الثقـافي، 2010، ص54.

في جهاز الدولة، وقيادات في بعض الأحزاب السياسية.

تواشجت مصالح هذه الطبقة مع مصالح الرأسمالية العالمية، والشركات الأجنبية في السيطرة على الاقتصاد الوطني، واستنزاف الموارد، وتحقيق أرباح خيالية، وثراء فاحش.

استندت هذه الطبقة إلى مكانتها الاجتماعية ومواقعها في السُلطة لتحقيق كل ذلك، فالسُلطة هي الوسيلة المثلى للإثراء، والكسب غير المشروع في عقيدة هذه الطبقة. فـ"الجاه مفيد للمال" كما يقول العلامة ابن خلدون (1332 - 1406).. ويصف صاحب المقدمة هذا النمط من النشاط الاقتصادي بـ"مذهب غير طبيعي في المعاش"؛ لأنه يقوم على الجمع بين "الإمارة"، والتجارة، وعلى قاعدة الاندماج السيامي بين السياسة والاقتصاد.

وهكذا تمكَّنت هذه الطبقة من فرض سيطرتها على المجتمع، وعلى الاقتصاد، وتحقيق فوائض مالية على حساب الشعب، ومن ثمّ بدأت هذه الطبقة تتميّز في نمط عيشها، وأسلوب استهلاكها، وعناصر ثقافتها الخاصة، فكل رأسمال اقتصادي يتداخل ويتشابك بالضرورة مع رأسمال ثقافي كما يقول عالم الاجتماع الفرنسي (بيير بورديو) "1930 – 2002" Pierre Bourdieu.

باتت هذه الطبقة تعيش في بحبوحة من العيش، وتقتني السلع الكمالية، غالية الثمن، وتبني القصور الفخمة والمسوّرة، وتشتري الأراضي، وتشيّد العقارات والأبراج العالية، وتجتهد في رفع أرصدتها البنكية في الداخل، والخارج، وتفرض عمولات وشراكات تجارية لها على الرأسمال المحلّي، والشركات الأجنبية. وتحصل على كل تلك العوائد والأرباح دون أن تقدّم في المقابل شيئاً.

إنها حياة جماعة طفيلية، طافية على سطح المجتمع، تعيش، وتستهلك ما تنتجه الطبقات الأخرى وبغير حساب؛ لهذا يدينها ابن خلدون ويعتبرها السبب في فساد العمران، وأفول الدولة.(18)

بكلمات أخرى أصبحت البلاد رهينة لنظام حكم "كليبتوقراطي" (أو حكم اللصوص)، وقد شكّل الاقتصاد الريعي القاعدة المادية لهذا النمط من الحكم .. والريع هو العائد المالي من كل نشاط غير منتج، كالريع العائد من استخراج

(18) محمد عابد الجابري، فكر ابن خلدون.. العصبية والدولة، معالم نظرية خلدونية في التاريخ الاسلامي، ط6، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ص157.

النفـط والغـاز، والريـع العقـاري، والريـع المـصرفي، والريـع المتـأتّي مـن العمـولات، والأربـاح، والاسـتيراد، والتوكيـلات التجاريـة، والاسـتثمارات في الخـارج ...إلـخ.

لقـد حققـت المافيـا الحاكمـة ثـروات خرافيـة مـن هـذه المصـادر الريعيـة، إذ تشـير تقاريـر دوليـة إلى أن الرئيـس السـابق عـلي عبدالله صالـح قـد راكـم ثـروة هائلـة خـلال سـنوات حكمـه المديـد (1978 - 2012) تقـدّر مـا بـين (35 – 60) مليـار دولار، وأنـه يحصـل عـلى أكـثر مـن أربعـة ملايـين دولار شـهرياً مقابـل إيجـارات شـهرية لمجمـع عقـاري يملكـه في دبي.

وتؤكـد تقاريـر أخـرى صـدرت عـام 2011 إن أقـل مـن عـشر مجموعـات رئيسـة مـن مشـائخ القبائـل والعسـكر والنخبـة التجاريـة تسـيطر عـلى أكـثر مـن (80%) مـن الـثروة الوطنيـة، وأن الأصـول المملوكـة للطبقـة الطفيليـة في الخـارج تفـوق مجمـوع احتياطـي النقـد الأجنـبي المحـلي.(19)

3. انتهاج سياسات نيوليبرالية إفقارية:

اعتمـدت الطبقـة المسـيطرة في إدارة الشـأن الاقتصـادي عـلى مـا يسـمى "سياسـة البـاب المفتـوح" (Open door policy) والانصيـاع لـشروط صنـدوق النقـد الـدولي (IMF)، والبنـك الـدولي (WB)، عـبر مـا يُعـرف بتطبيـق برنامـج التثبيـت، وبرنامـج الاصـلاح الهيـكلي، الـذي يقـوم عـلى حزمـة مـن الاجـراءات، أهمهـا:

_ رفع الدعم عن السلع الاستهلاكية (الغذاء والوقود بدرجة رئيسة).

_ فتـح السـوق المحلّيـة أمـام السـلع الأجنبيـة، وتحريـر التجـارة، وجـذب الاسـتثمار الأجنـبي المبـاشر.

_ تقليـص الانفـاق العـام عـلى الخدمـات العامـة (التعليـم، والصحـة، والكهربـاء، والميـاه، والطـرق... إلـخ). _ خصخصـة مؤسسـات القطـاع العـام، وبيعهـا، إذ جـرى خصخصـة، وبيـع مـا يزيـد عـن (70) منشـأة صناعيـة، وتجاريـة، وزراعيـة، كالمصانـع، والمؤسسـات، والـورش، والمنشـآت الخدميـة، والمـزارع، والتعاونيـات بُعيـد حـرب 1994.

(19) . بيتر سلزبري، اقتصاد اليمن: النفط والواردات والنخب، لندن، تشاتام هاوس، اكتوبر 2011، ص9.

سبّبت هذه السياسات النيوليبرالية آثاراً اقتصادية، واجتماعية مدمرة، كان من أبرزها:

_ انخفاض كبير في الأجور الحقيقية، وارتفاع نسبة الفقر (تجاوزت نسبة 60 % عام 2010).

_ تصاعد معدّل البطالة لاسيما بين أوساط خريجي الجامعات، والشباب (بلغت 45 % عام 2010)، وتزايد معدل التضخّم.

_ ارتفاع الأسعار بصورة جنونية، وتدهور القوة الشرائية للمواطنين.

_ نهب القطاع العام وبيعه بأثمان بخسة.

_ تعويم العملة الوطنية الأمر الذي أدَّى إلى تدهور قيمتها أمام العملات الأجنبية، وعجز مستمر في ميزان المدفوعات، واختلال كبير في ميزان التبادل التجاري.

_ فتح المجال واسعاً أمام الاستثمارات الأجنبية، والوقوع في مصيدة الديون الخارجية (External debt trap).

أفضى كل ذلك إلى اتساع هوَّة التفاوت الطبقي بين الطبقات الاجتماعية، فقد تحكَّمت أقلّية طفيلية ـــــ لا يتعدّى حجمها نسبة 5 % من إجمالي سكان البلاد ـــــ تُسيطر على السُلطة، والاقتصاد الكلّي، بينما الغالبية من الشعب اليمني تقبع تحت نير الإفقار، والتجويع، والإدقاع، والاستغلال، والإذلال، والقهر، والأمراض، والبؤس.

4. تدهور شامل في الأمن الإنساني:

لم تحضر الدولة في اليمن سوى في تعبيرها المادي الجزئي عن كونها سُلطة أمنية قهرية وجبائية. فالأمن في تفكير النخبة الحاكمة ارتبط ولا يزال مرتبطاً بحاجاتها في حماية مصالحها وضمان استمرارها وتحكّمها كسُلطة مسيطرة.

في الوقت الذي تجاوزت فيه البشرية المفهوم الضيق للأمن إلى رحابة "الأمن الإنساني" الذي يركز على إشباع حاجات الفرد والمجتمع بدلاً من إشباع حاجة النظام السياسي للحماية والاستقرار، فلا يمكن تحقيق الاستقرار الأمني والسياسي في ظل أوضاع اجتماعية واقتصادية وإنسانية مختلة.

ويشمل الأمن الإنساني سبعة أبعاد، هي:

- الأمن الغذائي ويعني توفير الفرص المادية والمالية للحصول على الغذاء.

- الأمن الصحي ويعني الخلو النسبي من المرض والعدوى.
- الأمن البيئي ويعني الحصول على ما يكفي من الماء الصحي والهواء النظيف والشبكة الأرضية المتماسكة.
- الأمن الشخصي ويتضمن الأمن من مخاطر العنف والتهديدات البدنية.
- الأمن المجتمعي ويتضمن أمن الهوية الثقافية.
- الأمن السياسي ويتضمن حماية الحقوق الأساسية للإنسان وحرياته.

لقد أفضت السياسات الاقتصادية النيوليبرالية إلى تدهور فادح وشامل في الأمن الإنساني بمختلف أبعاده.

فالمركز الغذائي لدى السكان في اليمن شهد تدهوراً متصاعداً منذ بداية الألفية، حتَّى بات (25 %) من السكان يعانون من سوء التغذية، بحسب تقارير دولية صدرت عام 2010.

وبحسب منظمة الصحة العالمية فإن سوء التغذية هو "ظرف صحي خطير يحدث عندما لا يحصل الشخص على كمية مناسبة من المغذّيات في نظامه الغذائي، أو إذا كانت المواد المغذّية أقل من احتياجاته أو أكثر كما في حالة البدانة"، وتقاس القيمة الغذائية بالسعرات الحرارية، حيث يعاني اليمنيون من نقص كبير في السعرات الحرارية، ونقص في مادة البروتين التي تتوفر في اللحوم، والأسماك، والبيض، والألبان، التي لا يستطيع الكثيرون شرائها بسبب تدهور أجورهم الحقيقية، وارتفاع أسعار تلك المواد. فالكثير من الأسر الفقيرة لا تعرف اللحوم إلا في مواسم الأعياد، والمناسبات، وتعتمد بدرجة رئيسة في نظامها الغذائي على الحبوب، والنشويات فقط، وهذا ينعكس سلباً على مستوى النمو الجسدي، والعقلي لدى أفراد المجتمع، وبالأخص الأطفال.

مما لاشكَّ فيه إن التغذية السيئة، والافتقار إلى الأطعمة الجيدة، والفيتامينات، والبروتين، والمعادن تؤدي إلى اضطراب النمو العقلي، والجسمي لدى الأطفال، وانتشار ظاهرة التقزُّم، والهُزال البدني، والتخلّف العقلي، والإصابة بالعدوى، والالتهابات الرئوية، والملاريا، والإسهال، والحصبة، والسرطان، وهي أمراض شائعة في اليمن منذ عدة عقود.

وإضافة إلى ما تقدم فإنَّ كثير من اليمنيين يعانون من نقصٍ حادٍّ في المياه، وصعوبة في الحصول على مياه نقية، وصالحة للشرب، وقد نجم عن ذلك انتشار

الكثير من الأمراض المزمنة؛ كالفشل الكلوي، والبلهارسيا، وفيروس الكبد الوبائي.

ظروف السكن هي الأخرى ليست أحسن حالاً، فسكان المدن المحظوظون يسكنون في شقق مساحاتها صغيرة، وسيئة التهوية وبإيجار مرتفع، إذ قُدّر متوسط الانفاق على السكن عام 2010 بحوالي (50 إلى 60 %) من متوسط الدخل، فيما تسكن الجماعات الهامشية، والأسر الأشد فقراً في بيوت من القش (عشش)، أو بيوت من الصفيح، والقصدير، وأحزمة الفقر، والبؤس المنتشرة على تخوم المدن والمراكز الحضرية، وهذه التجمعات تفتقر إلى أدنى معايير السكن الملائم والحياة الآدمية. ناهيك عن تدهور المجال الحضري، وغياب التخطيط، ورداءة الشوارع، وعدم توفّر متنفّسات، وحدائق، ومساحات صديقة، والاكتظاظ السكاني في مساحات صغيرة، وأحياء عشوائية، فقد باتت المدن اليمنية الكبرى أشبه بعُلب ساردين رديئة الصنع، يتكدَّس فيها السكان، وتنتشر فيها الأمراض، والأوبئة، وتفتقر إلى خدمات الكهرباء، والمياه، والصرف الصحي.

لقد أدَّتْ سياسة الإفقار إلى تدهور كبير في المستوى المعيشي للأغلبية السكانية، فسُحِقتْ الطبقة الوسطى، وتزايد بؤس الطبقة الدنيا، وبات شبح الموت جوعاً يهدد السكان لاسيما سكان الريف، ما أدى إلى حدوث موجات هجرة داخلية هي أشبه بموجات نزوح قسري من الريف إلى المدن، أوجدت في المدن مجمعات عشوائية فقيرة، ونمواً متزايداً في القطاع غير الرسمي (الهامشي)، وارتفاع نسبة تشغيل الأطفال، فالأسر الفقيرة ممن أعوزتها الحيلة، وهدَّها الجوع اضطرت إلى إخراج أطفالها من المدارس، ودفعت بهم إلى سوق العمل، بغية الحصول على مصدر رزق إضافي، وهو ما تسبّب في انخفاض نسبة الالتحاق بالتعليم وزيادة معدل التسرّب المدرسي، وارتفاع نسبة الأميّة، والجهل.

يحدث هذا في الوقت الذي يُعاني فيه قطاع التعليم من التردي الكمّي والنوعي، إذ إن البنية التحتية التعليمية لا تغطي الأعداد المتزايدة من التلاميذ، وتعاني الفصول الدراسية من اكتظاظ التلاميذ، الأمر الذي يؤدي إلى الإهدار التربوي والتسرُّب الدراسي. كما يشهد التعليم تردّياً كبيراً في نوعيته، وهذا يُعدُّ من أهم الأسباب التي ساهمتْ في تراجع الرهان الاجتماعي عليه بوصفه واحد من وسائل تحقيق الحراك الاجتماعي؛ فلم يعد التعليم القنطرة التي يمكن أن تحقق للإنسان آماله، وتحسّن من وضعه الاقتصادي، ومكانته الاجتماعية.

ختاماً:

لقد عبّرت السياسات والأوضاع الجائرة السالف ذكرها، وغيرها، عن وجود أزمة بنيوية عميقة في المواطنة، وعدم إحساس المواطن اليمني بمواطنته، وشعوره بالاغتراب الذي يعبر عن "حالة عجز الإنسان في علاقاته بالمؤسسات والمجتمع والنظام العام، بعد أن تحوّلت هذه كلّها إلى قوة مادية، ومعنوية تعمل ضده بدلاً من أن تُستعمَل لصالحه، وفي سبيل تحسين أوضاعه المادية، والإنسانية معاً، وإغناء حياته."(20)

ففي ظل الأنظمة السلطوية بمختلف أشكالها، والأوضاع العامة المُذلّة، يعيش الإنسان في المجتمع على هامش الوجود، والأحداث، لا في الصميم، مستباحاً معرَّضاً لمختلف المخاطر، والاعتداءات، قلقاً، حذراً باستمرار من احتمالات السقوط والفشل والتعرّض للمخاطر. بكلام آخر، إنه إنسان مغرَّب ومغترب عن ذاته.(21)

لقد أفضتْ هذه الأوضاع بالغة البؤس إلى نشوء الجماعات العصبوية: الدينية والطائفية والجهوية والقبائلية والمناطقية، وباتت تنتهج الخيارات المسلحة وتمارس العنف السياسي بمختلف صوره وأشكاله، وتفرض واقعاً كالحاً يزيد من احتمالات تقسيم المجتمع إلى (كانتونات) متصارعة، وتمزيق البلاد إلى دويلات متناحرة.

إنَّ موقف الإدانة لهذه الجماعات لا يكفي، لأنه يقف عند محاكمة النتائج، فيريح نفسه من عناء البحث والتقصّي، وذلك بتبنّي الصيغ الاختزالية السهلة، وإصدار الأحكام القطعية دون ملامسة الجوهر، فيكتفي بـ"النقر على السطح"، بينما المطلوب هو "الحفر في العمق"، أي البحث الموضوعي في أسباب وعوامل نشوء هذه الظواهر العنفية، بهدف وضع معالجات ناجعة لها.

والمدخل الموضوعي لمعالجة هذه الظواهر ــ وفقاً لـ د. محمد عابد الجابري ــ يكمن في الاعتراف بها أولاً بوصفها ردة فعل ضد وضعية أو موقف، وبالتالي العمل على معالجتها بوصفها نتيجة لا سبباً. إن الحيف الاقتصادي والظلم الاجتماعي

(20) حليم بركات، المجتمع العربي في القرن العشرين، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2000، ص921.

(21) يُنظر: المرجع نفسه، ص٣٥.

والعسف السياسي هي الأسباب الموضوعية "الثابتة" التي تقف وراء كل تطرف يتخذ مظهراً جماعياً ويستشري جماهيرياً.

وينبغي التأكيد هنا أن الأمر يقتضي تجنب ردود الفعل اللاعقلانية في معالجة هذه الظواهر، لأن المعالجة اللاعقلانية لا تنتج سوى مزيد من ردود الفعل اللاعقلانية. وإذاً لابد من وسائل عقلانية لمعالجة لاعقلانية العنف السياسي.

ولذلك، فإن هناك أهمية قُصوى للدور الذي يُعزَى إلى الثقافة والتعليم من خلال توفير مناخ فكري عقلاني نقدي يصنعه التعليم وترعاه الثقافة.

إن آفة التعليم الذي يطبق حالياً، إنه إمَّا تعليم تقاني يصنع عقولاً قانونية دوغمائية، وإمَّا تعليم ميثولوجي تلقيني يصنع عقولاً راكدة أسطورية، والقاسم المشترك بين النوعين هو غياب العقل النقدي.

ومع غياب العقل النقدي فعن الباب يُصبح مفتوحاً على مصراعيه للعنف والتطرف بكل أطروحاته متغذياً بالوصفية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تدفع إلى المزيد من العنف. وإجمالاً فإن شروط العلاج العقلاني للعنف السياسي تكمن في:

- تصحيح الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.
- التعامل العقلاني المبني على الفهم والتفهم ووضع الأمور أمام مرآة التاريخ.
- إشاعة الفكر النقدي في الثقافة والعلوم والتعليم.

أمَّا غير ذلك من وسائل المواجهة السلبية، فهي لن تنتج غير المزيد من التطرف والعنف لأن العنف يسقي العنف ويقويه وهيهات أن يقضى عليه.(22)

(22) . يُنظر: محمد عابد الجابري، المسألة الثقافية في الوطن العربي، مرجع سابق، صص166-164.

قائمة المصادر والمراجع:

1. ابن منظور، لسان العرب، بيروت، دار صادر، 1968، مج9 ، مج13.
2. أبوبكر السقاف، دفاعاً عن الحرية والإنسان، إعداد: منصور هائل، صنعاء، منتدى الجاوي الثقافي، 2010.
3. أحمد زايد، المواطنة والهوية الوطنية والمسئولية الاجتماعية، القاهرة، دار العين للنشر، 2018.
4. بيار بورديو، أسباب عملية إعادة النظر بالفلسفة، ترجمة: أنور مغيث، بيروت، دار الأزمنة الحديثة، 1998.
5. بيار بورديو، الهيمنة الذكورية، ترجمة: سلمان قعفراني، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، 2009.
6. حسنين توفيق إبراهيم، ظاهرة العنف السياسي في النظم العربية، ط2، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1999.
7. حليم بركات، المجتمع العربي في القرن العشرين، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2000.
8. علي خليفة الكواري، مفهوم المواطنة في الدولة الديمقراطية، ضمن: بشير نافع وآخرون، المواطنة والديمقراطية في البلدان العربية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2001.
9. محمد عابد الجابري، المسألة الثقافية في الوطن العربي، ط3، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة الثقافة القومية (25)، قضايا الفكر العربي (1)، 2006.
10. محمد عابد الجابري، فكر ابن خلدون ... العصبية والدولة، معالم نظرية خلدونية في التاريخ الاسلامي، ط6، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1994.
11. محمد عاطف غيث وآخرون، قاموس علم الاجتماع، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 2006.
12. ممدوح عدوان، حيونة الإنسان، ط6، دمشق، دار ممدوح عدوان للنشر والتوزيع، 2016.
- الدراسات والمقالات والتقارير المنشورة على شبكة الانترنت:
13. بيار بورديو، العولمة والهيمنة: من المال إلى الثقافة، حوار: برتراند شانغ، ترجمة وتقديم: محمد خيرات، 25 أكتوبر 2012، متاح على الرابط التالي:https://2u.pw/sATdus
14. بيتر سلزبري، اقتصاد اليمن: النفط والواردات والنخب، لندن، تشاتام هاوس، اكتوبر 2011، متاح على الرابط التالي: https://2u.pw/UbVoai
15. عزمي بشارة، عنف أجهزة الأمن ودروس 2011، موقع العربي الجديد، مقال، تاريخ نشر المقال: 5/12/2015، متاح على الرابط التالي:https://2u.pw/MCa9my
16. محمد العجاتي وشيماء الشرقاوي، المواطنة والحراك العربي.. قراءة في الدساتير والواقع والبنية ما بعد الانتفاضات العربية، ورقة عمل قدمت لمؤتمر "أثر الانتفاضات العربية على المواطنة في العالم العربي"، نوفمبر 2014، متاح على الرابط التالي:https://2u.pw/hx39rJ

"الديمقراطية حمَّالة أوجه"

د. هشام محسن محمد السقاف
استاذ التاريخ الإسلامي
المساعد جامعة عدن

ما كان أُحجية بات واضحا، فـ (الموت) الحقيقة الثَّابتة الوحيدة حتى الآن دون تتطع علمي أو جدل فلسفي؛ نقول: إن البرجوازية الجديدة ولدت من أحشاء الاقطاعية المتعفنة. ولدت بمطارق العمال وعلى هدير الآلات بمستوى غير مسبوقٍ من السيطرة، معلنة وجهها التقدمي منبعثا من شرار الطَّرْق المتكرر على الحديد ومؤذِنا بميلاد الثورة الصناعية والمجتمع البرجوازي المنتظم عقد ميلاده داخل الأحشاء الميتة للنظام الاقطاعي.

يظهر بهيئته الجريئة والثوريَّة أيضا من خلال تحرير السلعة من كل قيودها وكوابحها إلا ما احتوته من جهد مبذول في صناعتها سلاحها في الهيجاء المفتوحة تنافس به لتنجح أو تموت.

منطقيا؛ وتبعا لذلك كان لابد من تحرير (الكلمة) من قيودها وكوابحها أيضا، فهي سلعة تماما وعليها أن تواكب التغير الكبير والمذهل مجردة من كل عائق لتكون مؤهلة لمواكبة السلعة ورديفا لها في الإلهام الذي وصل إلينا، أو الإيهام الذي ستسفر عنه الأيام عندما يكون للبرجوازية تحت مسماها اللاحق: رأسمالية وامبريالية: مخلب وناب.

تضمحل هالة النور الذي أضفته البرجوازية على نفسها؛ المسمى حرية، عدالة، ومساواة، وكأنها كانت في بدايتها بحاجة لنقطة ارتكاز جاذبة في ثورتها على الاقطاعية مستعيرة هذه المعاني الكبيرة من روسو ورفاقه.

انه سحر هاروت المنبعث من عرق العمال في المعامل والمصانع ليسحر العالم

وبشكل مخاتل كما سنعلم لاحقا، بفتاة الدَّلِّ الجميلة المسمَّاة (ديمقراطية).

لا تذهب بعيدا، فحيث تترامى موجات البحر المتوسط على سواحله الشمالية وحيث مدن أفلاطون البرجوازية؛ تبحر سفن البخار والمدفع شرقا وجنوبا لتبشِّر بفرية اسمها (الاستعمار) لِمَا هو دون الأوروبي، ولنشر الديمقراطية في آسيا وأفريقيا وهو مالم ترَهُ العين ويُقِرَّه القلب ويخاطبه العقل منذ (نابليون بونابرت) وحتى (بريمر) الذي بشر بديمقراطية تبهر الشرق الأوسط في العراق فكانت دماء وحروب وطائفية وفساد جعل العراق الغني يجلس على باب البؤس والإملاق.

كان الغرض الأوروبي استعماريا بحتا لدول العالم الفقيرة، التي أساسا غنية بمواردها تحت الارض وعليها من البترول والذهب والنفط والحديد وحتى البهارات والتوابل والحرير والقطن؛ وبهذه الخامات دارت تروس المعامل والمصانع في أوروبا، ولم تكن الديمقراطية بمحتواها الإنساني والقانوني على أجندة الأوروبيين في البلاد المستعمرة.

وهنا؛ نستطيع تبيان انفصامية الغرب في التعاطي مع الشيء ونقيضه في آن؛ فكلما حلق طائر الإنسانية شمالا رفرفت جناحاه سعادة فوق مدن أفلاطون المثالية الخالية من العبث الآدمي. وكل ما حمله التيار جنوبا فوق السهوب الخضراء لأفريقيا السمراء مثلا كان المنظر في قمة الشقاء والبؤس، فقد غدا أجيرا للأوروبي الذي ينهب ثرواته بل إنه جعله سلعة في سوق النخاسة.

في مشهد هوليودي لاحق، جلس الانجليزي والفرنسي (سايكس) و (بيكو) متقابلين في مقهى بعيدا عن أعين الفضوليين ليرسما؛ على ورقة كانت تطير في الجوار: خطًّا هلاميا افتراضيا حددا به حدود الدولة القُطرية العربية القادمة تحت مسمى (الانتداب) لعلاج الإرث العثماني المتخلف وغير الديمقراطي بطريقة أوروبية (مودرن) وافساح المجال لقوتيهما الأعظم لتأهيل وتطوير هذه الدول للخروج من الحقبة العثمانية.

كلام ظاهره الرحمة وباطنه العذاب، وقد جاء غداة الحرب العالمية الأولى 1914 ـ 1918م. وفي ظل انتشار مبادئ الرئيس الأمريكي نلسون المثيرة للجدل. فكانت نتائج هذا التأهيل والتطوير مفجعة؛ تتقيد بريطانيا وتنفذ نصوص (وعد بلفور) 1917م لإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، ففتحت أبواب فلسطين على مصراعيها للهجرة اليهودية من شتَّى بقاع العالم لتسقط فلسطين بيد اليهود حتى اليوم.

أمَّا أحفاد الثورة الفرنسية العظمى المتشبعين بأفكار روسو وفولتير ومونتسيكو فقد كانوا أكثر تمسكا باتفاق سايكس بيكو ولم يتنازلوا عن سورية التي غدت ملكية هاشمية تحت حكم فيصل بن الحسين وبحماية بريطانية.

زحفت جيوشهم من لبنان لتواجه الجيش العربي السوري بقيادة البطل يوسف العظمة في موقعة (مسليون) التي انهزم فيها السوريون واستشهد وزير دفاعهم العظمة.

واندفع الجيش الغازي إلى دمشق بقيادة الجنرال (غورو) الذي وضع قدمه على قبر صلاح الدين الأيوبي وخاطبه بعبارته الشهيرة: ها نحن عدنا يا صلاح الدين.

وكان بإمكان فرنسا أثناء حصتها الانتدابية على سوريا؛ وبدم بارد أن تكافئ تركيا بأراضٍ سورية عزيزة هي لواء الاسكندرون وما حوله ... وهكذا أعطى من لا يملك من لا يستحق أراضٍ عربية غالية.

لم تكن الاشكال الديمقراطية تأصيلية وتأخذ مداها التاريخي الذاهب عمقا في البُنى الاجتماعية السياسية والاقتصادية في الدولة القطرية العربية تحت الاستعمار أو بعده. فـ (الديمقراطية) أخذت أبعادها التأصيلية في أوروبا منذ الثورة البرجوازية، وظلت مترنحة في البلدان العربية لهشاشة اقتصاديات هذه الدول وعدم اكتمال نسق الطبقات العاملة فيها، ولحاجة الغرب لنظم نمطية تقليدية وديكتاتورية ليستطيع تسخير اراداته الاستعمارية قبل وبعد حقبة الاستعمار بالكيفية التي يريدها أو بفرضها بالقوة في حالات كثيرة وخلق المتاعب لمن يخرج عنها مثل تجربة جمال عبدالناصر في مصر وصدام حسين في العراق، و لكي تظل اسرائيل قطب الرَّحى الجاذب في الشرق الأوسط والحاصل على العون والدعم الغربي كلَّه.

كان بالإمكان أحسن مما كان عربيا لبناء ديمقراطية عربية ليست معنيَّة بالضرورة أن تسير في سلم الخطوات التاريخية للديمقراطية من حيث بدأت في أوروبا في القرن الثامن عشر. فالديمقراطية تراكمية للخبرات الانسانية وليست صورة طبق الأصل للديمقراطية الغربية ذات الوجهين وإنَّما يمكن أن تتشرب بالخصال المتوارثة في التاريخ البشري كأن تكون التجربة الهندية ــ هي أكبر الديمقراطيات في العالم ــ خاضعة لمشيئة الهند التاريخية والثقافية والاجتماعية، بينما يمكن للعرب الاستناد الى إرث الشورى والعدل والمساواة الذي يكتنزه تاريخهم العربي الاسلامي.

"إشكالية مفهوم المواطنة في الثقافة السياسية العربية"(*)

(الحلقة الأولى)

سماح ابو الليل
مدرس العلوم السياسية والقانون

ملخص الدراسة:

إن المتغيرات العالمية المعاصرة، كان لها تأثير واضح على منظومة المفاهيم العالمية. ومن ضمن هذه المفاهيم (مفهوم المواطنة). فعلى الرغم مما وصل إليه المفهوم من وضوح في الفكر الغربي المعاصر، إلا إنه ما زال قد شهد ـــ على مدى القرن الفائت ـــ كثير من الاشكاليات في الفكر العربي. فمن ناحية التداخلات بين المفاهيم المختلفة كمفهوم الانتماء والهوية. ومن ناحية أخرى، التعدد الذي يصل إلى حدِّ التناقض بين رؤى وتيارات الفكر السياسي والاجتماعي حيال هذا المفهوم التي أخذت شكل الإقصاء أو التنكر من جهة والتهميش والتغييب من جهة أخرى. وبروز عدة اتجاهات واختزال الممارسات في رفع الشعارات دون تأصيل للمفاهيم، وإيجاد آليات تحققه على أرض الواقع. فالكثير من الأزمات والتوترات في المنطقة العربية هي من جراء تغييب مفهوم المواطنة والإعلاء من شأن ولاءات ومصالح خاصة (الانتماء الديني – الإثني .... إلخ). سواء على المستوى التحت أو الفوق قومي على حساب الإطار الوطني العام. الأمر الذي أدى إلى مزيد الاحتقان السياسي وهشاشة الاستقرار الاجتماعي في كثير من دول المنطقة. هذا الواقع، يستوجب البحث في الأسباب التاريخية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي تقف وراء هذا المشهد العربي. في محاولة وضع تصور وتوصيات لتأصيل مفهوم المواطنة في الثقافة العربية.

محاور الدراسة:

أولاً: الإطار المفاهيمي (الإطار النظري): الثقافة السياسية: مفهوم المواطنة، مفهوم الهوية، مفهوم الانتماء.

ثانياً: تطور إشكالية (مفهوم المواطنة) في الثقافة السياسية العربية.

ثالثاً: الأسباب التاريخية والسياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية التي تقف وراء هشاشة مفهوم المواطنة في الثقافة السياسية العربية.

رابعاً: كيف يمكن التأصيل لمفهوم المواطنة في الثقافة السياسية العربية، مع الأخذ بالاعتبار الخصوصية الثقافية العربية.

مقدمة الدراسة:

تلعب منظومة المفاهيم دورا مهما فى فهمنا للعالم والأحداث والأفكار، ومن ثم فإن تلك المنظومة فى حقل العلوم السياسية، شأنها فى ذلك شأن العلوم الاجتماعية بصفة عامة، تتميز بمجموعة من الخصائص، أهمها أن تلك المفاهيم تتداخل وتتقاطع بشكل كبير مما يجعل مساحات التباين بين هذه المفاهيم أكبر من مساحات التمايز، ومن ثم فإن هناك حاجة لتحرير مضامين المصطلحات خاصة المفاهيم الأكثر شيوعاً وأكثر إشارة للجدل.

والمفاهيم السياسية ليست مطلقة، ولكنها تتشكل بحسب قيم الحضارات وعقائد المجتمعات وتجارب الدول. مما يعنى مرونة المفاهيم شريطة ألا تزلق إلى حد الإخلال بالشروط الأساسية لكل مفهوم.

يُعدُّ مفهوم (المواطنة) من المفاهيم القديمة المتجددة التى ما لبثت أن تفرض نفسها عند معالجة أي بُعد من أبعاد التنمية بالمفهوم الإنسانى الشامل بصفة خاصة، ومشروعات الإصلاح والتطوير بصفة عامة، وهى من القضايا التى شغلت وما زالت تشغل بال علماء الاجتماع والنفس والسياسة وغيرهم فى مختلف المجتمعات، على اختلاف نظمها وتوجهاتها السياسية.

وقد شهد مفهوم المواطنة تطورًا كبيرًا منذ النصف الثانى من عقد التسعينيات فى القرن العشرين بعد أن تعرضت دعائم مفهوم الدولة القومية للاختراق. ولعل دراسة مفهوم المواطنة يتم فى واقع شديد الالتباس، تتقاطع فيه الخطوط بين الأكاديمى الدراسى والسياسى البرجماتى، مما يجعل من مفهوم المواطنة محورًا للنضال السياسى(1).

تشكّل الثقافة السياسية حجر الأساس فى بناء المجتمع ووحدته وتماسكه لأنها مستمدة من قيمه وعاداته وتقاليده التى تحافظ على مفهوم وقيم المواطنة فى ظل تنشئة المجتمع وثقافته. لقد أنتجت أطروحات الفكر العربى والغربى

العديد من الرؤى حول مفهوم المواطنة ومبادئها وحقوقها وواجباتها، وتنوعت بتنوع مبادئ الفكر ونظريات السياسة.

مشكلة الدراسة:

تسعى هذه الورقة إلى الاقتراب من مفهوم المواطنة Citizenship بوصفه واحد من المفاهيم المثيرة للجدل التى تتداخل وتتشابك مع شبكة واسعة من المفاهيم الأخرى، كما تحاول الورقة فهم إشكالية أبعاد هذا المفهوم وآثار الهوة بين الفكر الغربى والفكر العربى فى مقاربة فكرة المواطنة.

وهذا يجعلنا نضع عدة تساؤلات:

_ ما هو مفهوم المواطنة؟

_ ما هى ابعاد هذا المفهوم؟

_ ما هي آثار الهوة بين الفكر الغربى والفكر العربى فى مقاربة فكرة المواطنة؟

_ كيف يمكن التأصيل لمفهوم المواطنة فى الثقافة السياسية العربية، مع الأخذ بالاعتبار الخصوصية الثقافية العربية؟

أهمية الدراسة:

تسعى هذه الدراسة إلى معرفة مفهوم المواطنة فى الثقافة السياسية العربية حيث تُردُّ أهمية موضوع المواطنة فى المجتمع العربى الى عوامل عديدة، أهمها: أن هذا المجتمع يتشكل من مجموعات متنوعة من الأعراق والأقليات وتسوده ثقافات فرعية متعددة بالإضافة الى ثقافته العامة. فلدينا البربر فى المغرب العربى ولهم لغتهم الخاصة وهى الأمازيغية التى اعترف بها أخيرا فى المغرب والجزائر لتكون لغة للتعلم بالإضافة الى اللغة العربية. ولدينا الأكراد فى المشرق العربى، وهم أيضا لهم لغتهم الخاصة وثقافتهم المتميزة ولدينا المارونيون فى لبنان ولدينا فى السودان جماعات سلالية متنوعة بالإضافة الى الجنس العربى. ومعنى ذلك أن قضية المواطنة لابد أن تشغل الباحثين وصناع القرار العرب على السواء. وعلى الرغم من أن مفهوم المواطنة فى الفكر السياسى العربى قد بدأت إرهاصاته فى خضم النضال الوطنى لنيل الاستقلال، مما أوجد مساحة عريضة من المدركات والقيم المشتركة، إلا إن رصيد ثقافة المواطنة فى الفكر السياسى العربى قد أصابه

الكثير من التآكل والإضطراب والتشويش بسبب مجموعة من العوامل, لذلك تسعى هذه الدراسة الى التعرف على هذه العوامل.

تقسيمات الدراسة:

تأسيساً على ما سبق سيتم تقسيم الدراسة الى ثلاثة محاور، وخاتمة تشتمل على أهم النتائج والتوصيات وذلك على النحو التالى:

أولاً: الإطار المفاهيمى (الإطار النظرى): الثقافة السياسية: مفهوم المواطنة، مفهوم الهوية، مفهوم الانتماء.

ثانياً: تطور إشكالية (مفهوم المواطنة) فى الثقافة السياسية العربية.

ثالثاً: الأسباب التاريخية والسياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية التى تقف وراء هشاشة مفهوم المواطنة فى الثقافة السياسية العربية، وكيف يمكن التأصيل لمفهوم المواطنة فى الثقافة السياسية العربية، مع الأخذ بالاعتبار الخصوصية الثقافية العربية.

رابعاً: الخاتمة

المحور الأول: الإطار المفاهيمى (الإطار النظرى): الثقافة السياسية: مفهوم المواطنة، مفهوم الهوية، مفهوم الانتماء.

مفهوم المواطنة (الماهية والأبعاد والتطور والإشكاليات):

تُعدُّ المواطنة من أهم المفاهيم السياسية، التى عرفتْ تحولات جوهرية متتابعة عبر التاريخ، ابتداءً بالتراث اليونانى الرومانى القديم، مرورًا بعصر النهضة والتنوير، ووصولاً إلى الفكر السياسى الليبرالى الحديث. والمواطنة كما تناولتها معظم الكتابات التاريخية والأدبيات السياسية والاجتماعية المعاصرة، هى علاقة بين الفرد والدولة والمجتمع، وما تتضمنه تلك العلاقة من حقوق وواجبات، وشعور بالانتماء. وتندرج ضمن هذا المفهوم المساواة القانونية المجردة، والمشاركة السياسية، بالإضافة إلى الحرية وما يصاحبها من مسؤوليات والتزامات. ولذا لا يمكن استيعاب مفهوم المواطنة، إلا إذا وضع فى سياقه التاريخى، فالمفاهيم لا تنشأ من فراغ ولا تنتشر إلا بعد ممارسات وتراكمات فكرية(2).

مفهوم المواطنة كغيره من المفاهيم الحديثة ارتبط بشكل مباشر بالخبرة التاريخية الغربية وتطور الفكر السياسى فى الغرب. ويمكن إرجاع النموذج

التاريخى الأول لمفهوم المواطنة فى شكلها الكلاسيكى القديم والمتصل بحياة المدن والجماعات الصغرى، وتمتع المواطن بحزمة من الحقوق السياسية، مثل المواطنة فى أثينا وروما، وذلك رغم اختلاف النموذجين، ولكن ترجع أهميتهما فى تأثيرهما فى بناء المواطنة الغربية الحديثة.(3).

أما المواطنة بمفهومها الحديث، فكانت الثورة الفرنسية هى التجلى السياسى والايديولوجى الذى برز من خلاله مفهوم (المواطنة)؛ فالثورة الفرنسية زعمت أنها تؤسس أمة جديدة لا علاقة لها بالمرجعية البيولوجية (دم الأسلاف) أو الدينية، بل مرجعيتها الوحيدة هى قرار حر من المواطنين الذين يريدون العيش متضامنين فى ظل قوانين يسنونها دون قيد.(4).

فالمواطنة من هذا المنظور هو فعل عقد اجتماعى، والدولة القومية هى القالب الذى تتكون المواطنة القومية داخله، ولا وجود لها فى غياب هذا العقد، أي بدون القرار الواعى من قبل المواطنين.(5)

ويتجسد هذا المعنى فى إعلان حقوق الإنسان المواطن The declaration of the rights of man and of the citizen ، إذ يقرر أن أى إنسان – بغض النظر عن أصوله ولونه وآرائه – إذا أراد أن يعيش فى ظل قوانين الجمهورية، وأن يشترك فى سنِّها فله حق المواطنة.(6)

تتعدد تعريفات المواطنة بتعدد زوايا التداول، إن كانت قانونية أو مدنية أو اجتماعية، كذلك تتحدد دلالة المفهوم بارتباطه بالزمان والمكان، بمعنى أن هذه الدلالة تتولد عبر صيرورة تاريخية، تعبيراً عن مصالح مجتمعية معينة.(7)

من التعريفات الكلاسيكية للمواطنة تعريف هوبز Thomas Hobess إنها "الحماية التى تكفلها سلطة الدولة للفرد" .ويعرف روس Rousseau المواطن كعضو فى مدينة تمثل الجسد الاجتماعى المشتر، تفقد خلاله الشخصية الفردية كنتاج لهذه الكينونة السياسية المشتركة.(8)

أقامتْ النظرية الكلاسيكية كثيراً من المبررات لمحاولة التوفيق بين سلطة الدولة وحرية المواطن، مثال نظرية العقد الاجتماعى لهوبز، ومفهوم روسو للإدارة العامة، وقد تأسس النقد الذى وجه لهذه النظرية على استحالة التوفيق بين الحرية الفردية ومتطلبات النظام والاستقرار الاجتماعى.(9)

تعدُّ "المواطنة" أحد المفاهيم الرئيسية فى الفكر الليبرالى منذ تبلوره فى القرن

السابع عشر كنسق للأفكار والقيم، تم تطبيقه فى الواقع الغربى فى المجالين الاقتصادى والسياسى فى القرنين التاليين، وما ترتب على ذلك من آثار على الترتيبات الاجتماعية والعلاقات الإنسانية فى القرن العشرين ثم مطلع القرن الحالى.

وإذا كانت الليبرالية عند نشأتها قد دارت بشأن فكرة الحرية الفردية والعقلانية وتقوية مركز الفرد فى مجتمع سياسى قام على قواعد عصر النهضة على أبنية اجتماعية حاضنة وقوية، فإن مفهوم المواطنة قد تطور وتحوّر عبر مسيرة الليبرالية ليتركز حول خيارات الفرد المطلقة وهواه كمرجع للخيارات الحياتية والسياسة اليومية فى دوائر العمل، والمجتمع المدنى، والمجال العام، ووقت الفراغ، وليصبح "المفهوم المفتاح" الذى لا يمكن فهم الليبرالية وجوهرها من دون الإحاطة بأبعاده المختلفة وتطوراته الحادثة المستجدة، إذ يستبطن تصورات الفرد، والجماعة، والرابطة السياسية، ووظيفة الدولة، والعلاقات الإنسانية، والقيم والأخلاق .

وللمواطنة فى أبسط معانيها تشيع عدة معان: المساواة القانونية بين المواطنين بصرف النظر عن الاختلاف فى اللون أو الجنس أو الدين أو العرق، والمشاركة السياسية دون قيود قانونية أو عرفية تفرض على حركة المواطنين، وحياة كريمة تتمثل فى وجود برامج عامة كفاءة تطور- دائما- من جودة الحياة التى يعيشها المواطنون. وسارت الخبرة الغربية - فى مجملها - على هذا التسلسل، بحيث حصل المواطن أولاً، على المساواة القانونية، ثم ثانيًا، الحق فى المشاركة السياسية، وأخيرًا، الحق فى رفاهة اجتماعية، وأصبحت تلبية الحكومة لمطالب المواطن فى الرفاهة الاجتماعية "دليل" على الانجاز(10).

يتطلب وجود مفهوم المواطنة إقرارا بمبادئ، والتزامًا بمؤسسات، وتوظيفا لأدوات وآليات تضمن تطبيقه على أرض الواقع. المواطنة - وفق هذا التصور- بنية من المستلزمات والمقومات، وبنية فكرية وقيم، وبنية حقوقية ودستورية وقانونية، وبنية مؤسسية، وبنية تتعلق بالسياسات والممارسات. وهى من المفاهيم الشاملة، التى تستدعى غيرها من مفاهيم حقوقية وسياسية. المفهوم بهذا الاعتبار "مفهوم منظومة" يشير إلى الحقوق الإنسانية الأساسية، والحقوق المدنية والسياسية، فضلاً عن الحقوق الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وكذا الحقوق الجماعية، وهى تتعلق بكافة مجالات النشاط الإنسانى (الشخصى والخاص

والعـام والسـياسى)(11).

شـهد مفهـوم المواطنـة تغـيرات كثـيرة فى مضمونـه واسـتخدامه ودلالتـه، فلـم يعـد فقـط يصـف العلاقـة بـين الفـرد والدولـة فى شـقها السـياسى القانـونى كمـا سـاد سـابقا، بـل تـدل القـراءة فى الأدبيـات والدراسـات السياسـية الحديثـة عـلى عـودة الاهتمـام بمفهـوم "المواطنـة" فى حقـل النظريـة السياسـية بعـد أن طغـى الاهتمـام بدراسـة مفهـوم "الدولـة" مـع نهايـة الثمانينـات، ويرجـع ذلـك لعـدة عوامـل، أبرزهـا الأزمـة الـتى تتعـرض لهـا فكـرة الدولـة القوميـة الـتى مثلـت ركـيزة الفكـر الليـبرالى لفـترة طويلة؛ وذلـك نتيجـة عـدة تحـولات شـهدتها نهايـة القـرن العشريـن، منهـا(12):

تزايـد المشـكلات العرقيـة والدينيـة فى أقطـار كثـيرة مـن العالـم، وتفجـر العنـف بـل والإبـادة، ليـس فقـط فى بلـدان لـم تنتـشر فيهـا عقيـدة الحداثـة مـن بلـدان العالـم الثالـث بـل أيضًـا فى قلـب العالـم الغـربى أو عـلى يـد قـواه الكـبرى، بـدءً مـن الإبـادة النازيـة لجماعـات مـن اليهـود، ومـرورًا بالإبـادة النوويـة فى هيروشـيما، والإبـادة الصربية للمسـلمين، والإبـادة الأميركيـة للعراقيـين وللأفغـان، والإبـادة الجاريـة للفلسـطينيين.

بـروز فكـرة "العولمـة" الـتى تأسسـت عـلى التوسـع الرأسـمالى العابـر للحـدود وثـورة الاتصـالات والتكنولوجيـا مـن ناحيـة أخـرى، والحاجـة لمراجعـة المفهـوم الـذى قـام عـلى تصـور الحـدود الإقليميـة للوطـن والجماعـة السياسـية وسـيادة الدولـة القوميـة، وكلهـا مسـتويات شـهدت تحـولاً نوعيـا.

وعـلى صعيـد آخـر فـإن نمـو الاتجاهـات الأصوليـة المسـيحية واليمينيـة المتطرفـة فى البلـدان الـتى مثَّلـتْ مهـد التجربـة الليبراليـة أدى إلى مراجعـة المفهـوم والتأكيـد عـلى محوريتـه لمواجهـة هـذه الأفـكار وآثارهـا فى الواقع السـياسى والاجتماعى الغـربى المعقد مـع وجـود أقليـات عرقيـة ودينيـة منهـا العـرب والمسـلمون، فضـلاً عـن وصـول الفردية كفكـرة مثاليـة لتحقيـق حريـة وكرامـة الفـرد إلى منعطـف خطـير فى الواقـع الليـبرالى، بعد أن أدى التطـرف فى ممارسـتها وعكـوف الأفـراد عـلى ذواتهـم ومصالحهـم الضيقـة إلى تهديـد التضامـن الاجتماعـى الـذى يمثـل أسـاس وقاعـدة أى مجتمـع سـياسى، وتراجـع الاهتمـام بالشـأن العـام لصالـح الشـأن الخـاص، وتنامـى مـا يسـميه البعـض "مـوت السياسـة" وبـروز "سياسـات الحيـاة اليوميـة".

إنَّ الإشـكالية الـتى تهـم العقـل العـربى والمسـلم فى هـذا الصـدد هـى أن الفكـر الليـبرالى لـم يـؤدِّ إلى تأسـيس تجـارب ديمقراطيـة فى العالـم الغـربى فقـط، بـل يطـرح

نفسه الآن وبشكل شبه منفرد كبديل للواقع السياسى والفكرى فى دول العالم الثالث التى تشهد تحولا نحو الديمقراطية، كما فى أطروحة "نهاية التاريخ" وإعلان انتصار الليبرالية النهائى لباحث مثل فوكو ياما، أو كطرف متماسك ومتجانس ومتقدم فى مقابل حضارات أخرى (أو أدنى) فى أطروحة مثل "صراع الحضارات" لهنتنجتون. فخيار المواطنة صار مثالية تروَّج لها الرأسمالية الليبرالية فى الدول غير الغربية، ويتم تقديمها كحل لمشكلات الجنوب "على طريق التقدم" يرتهن بتحول الرابطة السياسية داخل مجتمعاتها من رابطة تراحمية عضوية أو قرابية - ريفية أو قَبَلية- إلى رابطة تعاقدية علمانية ومدنية للمواطنة؛ لذا فإن فهم دلالات "المواطنة" كرابطة تزعم أنها تجبّ روابط الدين والعرقية والأيدلوجية أمر يحتاج إلى مزيد من التَّأمُّل والتقصِّي، وتحريرا وتقويما، واختبارا فى الواقع التاريخى بين النجاح والإخفاق.

لقد أدت التطورات سالفة الذكر التى شهدتها الساحة الدولية فى العقود الأخيرة إلى تركيز بعض الدراسات على ظواهر وحوادث كان لها أثر كبير فى تغيير مفهوم المواطنة ليشمل أبعادًا جديدة. فكتابات النظرية السياسية الليبرالية الأولى التى كان مفهوم العقلانية والرشد فيها مرتبطًا بالقيم المثالية والفلسفية ما لبثت أن تناولت مفهوم المنفعة بمعنى ذاتى/ نفسى ثم بمعنى اقتصادى/ مادى، وربطت فى مجملها بين المفاهيم النظرية السياسية والرؤى الاقتصادية وهو ما أسماه البعض بالتحول من الديمقراطية الليبرالية إلى الليبرالية الديمقراطية بتقديم الاقتصادى على السياسى وغلبة المادية على الفكر الليبرالى. وما لبث الاقتصاد الليبرالى أن تحول من ليبرالية كلاسيكية تتحفظ على تدخل الدولة لليبرالية الجديدة تؤكد على تدخل الدولة من أجل تحقيق الرفاهية فى مجالات الأمن الاجتماعى.

وصارت رابطة "المواطنة" منافع وحقوق مادية محددة يطالب بها المواطن فى مجالات الصحة والتعليم ترتبط بالحقوق العامة السياسية لتفاصيل منافع مادية مباشرة، أي تم التركيز على الحقوق وليس الواجبات. ومن ناحية أخرى كان هذا يعنى مزيدا من سلطة الدولة فى الوقت الذى كانت تحولات الاتصال والعولمة ترشحها فيه للتآكل والذبول، فاستردت دورها فى التوزيع السلطوى للقيم- المادية والمعنوية - وما لبثت أن بدلت هذا الدور شكلا فى ظل تنامى الحديث عن الإدارة السياسية Governance)) عبر الحديث عن الشراكة بين الدولة والمجتمع المدنى

ورجال الأعمال، رغم أن سلطتها لا تقارن بالطرفين الآخرين، ونفوذها يخترقهما في شتى المستويات.

ونتيجة لتفاعل هذه المعطيات تحول مفهوم المواطنة إلى دلالات نفعية وذاتية فردية أعمق، كما صار مؤسسا على واقع معقد لا يثمر نتائجه المثالية الأصلية المنشودة بسبب وجود الدولة الطاغى، على رغم تحول هذا الوجود نوعيا وتغير وجهه وتجلياته مما أوحى للبعض بضعفها أو تراجع دورها لصالح آليات السوق العالمية، وهو ظن غير دقيق. هذا التناقض توازى أيضا مع بروز تيارين متعارضين:

أولهما: واقعى، يرتبط بالتأكيد المتنامى على المصلحة المباشرة (الآن وهنا) ويهمش المثاليات الكبرى والمنافع الجماعية والمؤجلة (التى بُنِيَتْ عليها نهضة الرأسمالية الأولى).

ثانيهما: تنويرى، يتمثل فى مناداة بعض الكتابات بإدخال البعد الأخلاق فى النظرية الاقتصادية، أى تجاوز الاقتراب الاقتصادى المادى النفعى لفهم السلوك الإنسانى وتفسيره والتنبؤ به، واستعادة الأبعاد الإنسانية/الاجتماعية/ الأخلاقية فى النظرية والتحليل الاقتصادى، وهو ما يستلزم ربط مفهوم المواطنة عند تحليله بالأسئلة الكلية فى الفكر الليبرالى، وأبرزها تصورات الفرد وتعريف السياسة وما يترتب على ذلك من تصور لطبيعة المجتمع السياسى.

ومع تنامى عولمة الرأسمالية وهيمنة الرؤى الليبرالية الجديدة لم يعد ما نحن بصدده عند الحديث عن المواطَنَة هو المفهوم البسيط، ولا بقى السؤال هو: مواطنة أم لا مواطنة؟ على غرار: نهضة أم تخلف؟ حضارة أم ضد الحضارة؟ (أسئلة اللحظة التاريخية الأميركية الراهنة). الواقع أكثر تعقيدًا من ذلك وهذه التصورات مضللة ومضلّة. أيُّ مواطنة؟ هذا هو سؤال اللحظة الوجودية الإنسانية الحقيقى: مواطنة تنويرية تحترم الفرد وتؤسس مجتمعا يكتسب وجوده الجمعى من تجاوزه لقوى الطبيعة وتصوره الإنسانى للإنسان، أم مواطنة رأسمالية مدينية ما بعد حداثية؟ مواطنة قانونية شكلية متساوية ذات بعد واحد، أم مواطنة مركبة عادلة اجتماعية ديمقراطية ثقافية فى ظل مشروع حضارى إنسانى؟.

مواطنة تتحدث عن الحرية والمساواة والجسد السياسى والعدل والشورى، أم مواطنة تتحدث عن اختزال القيم السياسية فى حرية الجسد وتفكيك المجتمع

لصالح نوع ضد نوع أو ثقافة ضد ثقافة ونفى التجاوز فى الإنسان والتاريخ، وإعلاء سياسات الجسد واللذة على الجسد السياسى والخير العام والقيمة الإنسانية. مواطنة فى أى سياق مكانى؟ مواطنة التنوير والليبرالية فى المدن الاجتماعية ذات الطابع الثقافى والمسافات الإنسانية، أم مواطنة المدن الرأسمالية العالمية السرطانية المعادية للمجتمع والقائمة على "التجمع" الذى يحسب حسابات الاقتصاد وتدويله قبل حسابات الهوية والجماعة والثقافة؟ مواطنة التدافع من أجل الغايات الإنسانية والنفع العام والسعى فى دروب التطور الاجتماعى التاريخى، أم مواطنة اللحظة المتخيلة فى تفاعل الشبكة الاتصالية الفردى التى تعيد تشكيل الوعى بالذات والهويات والأنا والآخر والـ "نحن"، وتعيد تشكيل مفاهيم الزمن والمكان من دون محتوى اجتماعى تفاعلى كما عرفته البشرية، وتعيد تشكيل حدود الخاص والعام وتهدد مفهوم المواطنة فى كل تصوراته السابقة؟، هذه هى الأسئلة وتلك هي مساحات الاجتهاد والجهاد.

وهى مساحات للنقد ومسافات للمقارنة المنهجية الواجبة، مفهوم المواطنة وفق أصول النقد والمقارنة فى حاجة لإعادة تشكيل ومداخل تعديل وتأويل ومقتضيات تفعيل تجعل هذا المفهوم ضمن مفاهيم الموقف حالة نموذجية لإعادة بناء المفهوم ضمن دواعٍ كثيرة، تفرضها عناصر اللياقة المنهجية والضرورات الواقعية والذاكرة الحضارية والاستنادات المرجعية وعناصر المفهوم فى تحقيق مسالك الدافعية والشرعية والجامعية والتجديدية والفاعلية.

وخلاصة القول، المواطنة كلمة تتسع للعديد من التعريفات، فمن حيث مدلولها السياسى، فهى شعور بالانتماء وولاء للدولة ومنظومة حقوق وواجبات كاملة يفرضها هذا الانتماء. ومن ثمة فإن أى مقاربة لهذا الموضوع فى الفكر العربى الإسلامى أو الفكر الغربى مسألة دقيقة ومعقدة. ومنذ نهاية القرن العشرين، ومع المتغيرات التى شهدها العالم برز مفهوم المواطنة متعددة الثقافات، وظهرت العديد من المقاربات لهذا المفهوم، الذى أضحى بعيدًا عن المفهوم الكلاسيكى، وأصبح آلية فاعلة للحد من الصراعات الاجتماعية والدينية والعرقية، على أساس قاعدة مبدأى عدم التميز، والمساواة القانونية بين المواطنين.

المحور الثانى: تطور إشكالية "مفهوم المواطنة" فى الثقافة السياسية العربية

مفهوم المواطنة فى الفكر السياسى العربى والغربى (مقاربة فكرية مقارنة):

تشير بعض الدراسات أنه بعد أن أثبت النموذج الغربى للاجتماع المدنى القائم على مبدأ المواطنة فعاليته على المستوى الواقعى، وصارت المواطنة نموذجا يفرض على الآخرين الاقتداء بقيمه، اختلف تفاعل الفكر العربى مع هذا الوضع، وذهب (محمد عابد الجابرى) إلى إنه ليس فى مخزون العرب اللغوى وبالتالى الفكرى والوجدانى، ما يفيد ما نُعنونه اليوم باللفظين "المواطنة" و"المواطن". وشاركه فى هذا الرأى عدد من المفكرين التقوا مع ما ذهب إليه (برنار لويس) من أن مفهوم المواطنة فى الفكر العربى مفهوم غير أصيل إن لم يكن غريبا مؤكدًا أن سبب غياب كلمة مواطن فى اللغة العربية واللغات الأخرى الفارسية والتركية "يرجع إلى غياب فكرة المواطن كشريك وفكرة المواطنة كعملية مشاركة"(13).

فى حين خالف آخرون هذا الرأى وذهبوا إلى القول بأن جذور استعمال المفهوم ومعانيه تعود إلى فترة الإصلاح الإسلامى الحديث حيث غلبت الإشكالية السياسية على غيرها من الإشكاليات، وبالتحديد مع "تخليص الإبريز فى تلخيص باريز" للطهطاوى فى مطلع الربع الثانى من القرن التاسع عشر إلى "الخلافة أو الإمامة العظمى" لرشيد رضا فى نهاية الربع الأول من القرن العشرين. ويذهب أصحاب هذا الرأى إلى إن الباحث فى إنتاجات مفكرى الإصلاح الإسلامى لا يعدم الوقوف على جملة من المبادئ والإشارات الفكرية ذات الدلالة السياسية الدائرة فى حقل المصطلح المقصود رغم أنه من العسير العثور على مصطلح المواطنة بلفظه المتداول فى الزمن المعاصر أو بمعناه. وبهذا المعنى، كان طغيان المسألة السياسية فى وعى الإصلاحيين استجابة تلقائية لتحدٍّ هو فى جوهره سياسى فهم إذ عزوا تقدم أوروبا وتفوقها إلى قوة نظامها السياسى عزوا تخلف مجتمعاتهم - بالمقابل- إلى تخلف النظام السياسى التقليدى(14).

فهناك أولاً موقف الطهطاوى الذى يعطى الأولوية للسياسة الليبرالية ويؤكد ضرورة إصلاح النظام السياسى، وليس أدل على ذلك من ترجمته لمواد الدستور الفرنسى كاملة فى كتابه تلخيص الإبريز متوقفًا أمام المواد الخمس عشرة الأولى منها بالشرح والتفسير مطابقاً فى الوقت ذاته بين مفهوم الحرية عند الغرب ومفهوم العدل الإسلامى، "وما يسمونه الحرية ويرغبون فيه هو عين ما يطلق عليه عندنا العدل والإنصاف، وذلك لأن معنى الحكم بالحرية هو إقامة التساوى

فى الأحكام والقوانين بحيث لا يجور الحاكم على إنسان بل القوانين هى المحكمة والمعتبرة". والدعوة إلى المساواة أمام القانون معناها إعادة النظر فى علاقة الحاكم بالمحكومين "على نحو يجرى فيه الحد من سلطات الأولين وإجراء أحكام التقييد الضرورية عليها وأن يتمتع الآخرون بسلطات كانت فى النظام القديم من مشمولات أملاك الحاكم. وهو ما أثار انتباه الطهطاوى حين كتب "إن ملك فرنسا ليس مطلق التصرف، وإن السياسة الفرنسية هى قانون مقيد(15).

أما خير الدين التونسى، فقد دفع بالمسألة إلى أبعد من ذلك من منطلق أن "التمدن الأوروبى تدفق سيله فى الأرض فلا يعارضه شىء إلا استأصلته قوة تياره المتتابع، لذلك على العالم الإسلامى أن يدرك سر هذا التقدم ويتبعه وهو فى المجال السياسى راجع إلى "التنظيمات المؤسسة على العدل السياسى". ولهذا السبب "لا يسوغ أبداً أن يسلم أمر المملكة لإنسان واحد بحيث تكون سعادتها وشقاؤها بيده ولو كان أكمل الناس وأرجحهم عقلاً وأوسعهم علماً، وهذا هو جوهر فكرة العقد الاجتماعى"(16).

ولم يَرَ "التونسى" حرجًا فى التأكيد عليها وتجاوز مسألة مقارنتها بالشريعة لأن "الشريعة لا تنافى تأسيس التنظيمات السياسية المقوية لأسباب التمدن والعمران". لكن ما يثيره المعترضون على هذا الرأى لا يخلو من وجاهة تستدعى الوقوف عندها والبحث فى إشكالاتها، إذ يرى المعترضون أن اشتراك مفكرى الإصلاح الإسلامى جميعًا فى النهل من التجربة الأوروبية والاقتباس من الأدوات والآليات التى تخص هذه التجربة لم يحد بهم قطعًا عن اعتبار "دعوتهم للإصلاح والتنظيمات والعدل والدولة الحديثة هى من صميم الإسلام ومن تفاصيل أحكامه بل هى من مقتضيات العمل بقاعدة أصولية فيه هى الاجتهاد. وهو ما يفتح المجال لتعميق البحث أكثر فى سؤال المواطنة فى المدونة الإسلامية فكرا وفقها وسؤال ما إذا كان من الممكن أن يتطور المجتمع الإسلامى نحو نموذج المواطنة؟

وتبدو هذه الإشارات مهمة من جهة تأكيدها أهمية مبحث المواطنة فى الفكر العربى الإسلامى برغم أن هذا الفكر ما يزال يعانى نقصا كبيرًا فيما يتعلق بثقافة المواطنة وأن الموضوع جديد بالنسبة إليه. كما تزداد الحاجة إلى إثارة حوار حول المفهوم وأبعاده وغاياته وسياقاته بعد التقدم الذى حصل فى هذا الميدان فى الفكر الأوروبى موطن ظهور المفهوم وتطوره، خاصة أن هذا التطور أوقفنا على

حقيقة هامة هى أن المشكلة لا تكمن فى حصرية المواطنة وإنما فى دلالتها المختلفة من مرحلة إلى أخرى مع احتفاظ المفهوم ببعض هذه المعانى القديمة(17).

وفى هذا الإطار، تذهب (دومنيك شنابر) Dominique Schnapper إلى أن النجاح الذى عرفه تصنيف توماس مارشال (1893-1983) لمراحل تطور المواطنة (القرن 18 كان قرن الحقوق المدنية والقرن 19 قرن المشاركة السياسية، أما القرن العشرون فهو قرن النضال من أجل الحقوق الاجتماعية) ينطبق خاصة على التاريخ الإنجليزى، (فبيسمارك) مثلاً نظّم مؤسسات المواطنة الاجتماعية قبل أن تُقام المواطنة السياسية فى الرايخ الألمانى. وهو موقف يحيل إلى المرونة الفكرية التى تسمح تعامل مفكرى الغرب مع منجزاتهم الفكرية والواقعية بحثًا عن الأفضل، وهى مرونة نلمسها أكثر عند (يورجن هابرماس) – فيما يتعلق بمفهوم المواطنة- الذى يدعو إلى إعادة دراسة الإشكاليات التى تطرحها المواطنة اليوم على الفكر السياسى فى أوروبا بعد ظهور مفهوم "الاتحاد الأوروبى" الذى يقوم بديلاً عن مفهوم المواطن والمواطنة كمنجز من منجزات الدولة/ الأمة، التى ضعف دورها مقارنة بتاريخها وهو ما أثار سؤال المحافظة على الحقوق الثقافية لمجموعة ما دون وضع قيم الحرية والمساواة، التى هى أصل المواطنة، موضع سؤال، أى اختبار قدرة المواطنة السياسية مع وجود المجتمعات الأكثر انفتاحا وتعددا من المجتمعات القديمة.

كما إن التفاعلات السياسية الطارئة حاليًا مع وجود أقليات مسلمة فى العالم الغربى، أخذت تظهر مطالب جديدة تكتسى طابعًا حقوقيًا ودينيًا فى الوقت ذاته، تتمحور أساسا حول قضية اندماج الأقليات الثقافية والدينية ضمن المجتمعات المؤسسة على أساس المواطنة دون انتقاص من حقوقهم الثقافية. وهو ما يطرح أمام الفكر السياسى المعاصر سؤال إمكانية الارتكاز على مفهوم المواطنة كنظام للعلاقات الإنسانية؛ إذ إن غياب المرجعية المتجانسة يؤدى بالتأكيد إلى الرجوع إلى الخصوصيات، مما يعنى بدوره عدم شمول كلمة "المواطنة" مجموع البشر فى ظلال كيان دولي محدد (18).

ومن خلال متابعة ما يكتب حول هذا الموضوع يبدو أن المرونة الفكرية تحتاج إلى مزيد من التطوير، فلا يخلو مجتمع من المجتمعات مهما بلغت درجة حداثته من قوى محافظة تتمسك بالمنجز وترفض إخضاعه للنقد. أما ما يخص الفكر

العـربى والإسـلامى فيبـدو أن ريـح هـذه المرونـة أصابـت بعـض مفكريهـا وكتابهـا فطرحـوا مـا يمكـن أن يعـد خطـوة هامـة فى مسـار الخـروج مـن حالـة "المحافظـة المميتـة للفعـل والإبـداع" بـصرف النظـر عمـا قـد تفـرزه الطروحـات الجديـدة. ولعـل أبـرز مـا يسـتدعى الوقـوف عنـده فى هـذا الإطـار تبـنى بعـض مفكـرى التيـار الإسـلامى مـن المتحزبـين وخاصـة مـن غـير المتحزبـين لمقـولات المواطنـة وقيمهـا، مـع اختـلاف فى درجـة الانفتـاح، وكان لافتًـا مـا أثارتـه الفتـوى الشـهيرة الصـادرة عـن مجلـس الإفتـاء الأوروبى مـن جـدل فى السـاحة الفكريـة الإسـلامية فقـد أعطت الفتـوى الأوليـة للمواطنة عـلى حسـاب العقيـدة حـين جـوزت للجنـدى الأمريـكى المسـلم المشـاركة فى الحـروب الـتى يخوضهـا الجيـش الأمريـكى حـتى وإن كانـت ضـد المسـلمين.

وهنـا لا بـد مـن التنبيـه إلى أن الجـدل المثـار حـول هـذه الفتـوى يحيـل إلى أن كثـيراً مـن القضايـا المتعلقـة بمبـدأ المواطنـة لـم تحسـم بعـد داخـل الفكـر الإسـلامى، ومـا زال هنـاك مـن يقـف منهـا موقـف المحـترز لمـبررات نتفهمهـا فى هـذا الإطـار عـلى اعتبـار أنـه ليـس مـن الهـيّن حسـم الإشـكالات الجوهريـة والمعقـدة الـتى يفرضهـا هـذا الموضـوع كقضيـة المرجعيـة الـتى تجعلهـا المواطنـة للدولـة بينمـا يمثـل النـص المرجعيـة العليـا فى الفكـر الإسـلامى، لذلـك فـإن القبـول الجـزئى للمواطنـة مـن لـدن المفكريـن المتحمسـين لنـشر قيمهـا مثـير للسـؤال أكـثر ممـا هـو مدعـاة "للفـرح": هـل نحـن فعـلاً إزاء مراجعـات جوهريـة اسـتطاعت أن تحسـم القضايـا الخلافيـة عـلى أسـس فكريـة متماسـكة؟ لمـاذا لا يكـون المحـترزون أقـوى حجـة وأكـثر تماسـكًا فى موقفهـم بنـاءً عـلى أن لـكل مجتمـع نموذجـه الخـاص فى الاجتمـاع المـدنى وهـو مـا تثبتـه المراجعـات المسـتمرة لمفهـوم المواطنـة.

(نـشرت الدراسـة في مجلـة العلـوم السياسـية والاقتصاديـة -المجلـد 2، ملحـق العدد (1)، ينايـر 2019 الجزائر).

* يتبع، بقية الدراسة في العدد الثالث من مجلة الناصية
مراجع الدراسة "في الجزء الثاني"

قيم المواطنة في قصيدة (فكِّرْ بِغيركَ)

لمحمود درويش

(1942م ــ 2008م)

د.عباس حسن صالح
استاذ الأدب العربي المساعد
جامعة عدن

أمَّا قبل

فلا بدَّ لنا قبل الخوض في موضوع الدراسة من الإشارة ــ العابرة ــ إلى رسوخ قيم المواطنة في الشعر العربي التي نرى أنَّها ارتبطت بحياة العربي قبل أن يعرف الحضارة والتمدن، ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا إن بعض قيم المواطنة وحقوقها مثل: الإنتماء والحرية والعدالة والمساواة قد رافقتْ حياة العربي؛ فتربَّى عليها.

يدلُّ على ما ذهبنا إليه ما نجد في الشعر الجاهلي لا سيما عند شعراء المعلقات أمثال، زهير بن أبي سلمى، عمرو بن كلثوم، وعنترة العبسي، وشعراء الصعاليك مثل: عروة بن الورد والشنفرى وغيرهم من الشعراء الذين جسدوا الحنين للوطن وقيم السلام الحرية والعدالة في كثير من أشعارهم.

وإذا ما انتقلنا للعصر الإسلامي فإننا نجد هذه القيم قد أصبحت أكثر رسوخا في عصر صدر الإسلام لا سيما مع بزوغ نور الدعوة المحمدية وما تلاها من عهد الخلفاء الراشدين، قبل أن تطيح بها ــ إلى حدٍّ ما ــ الأهواء السياسية وأطماع السلطة في عهد بني أمية وبني العباس وما جاء بعدهما من العصور.

ومما لا شكَّ فيه أن محمود درويش لم يكن بِدعا بين شعراء العصر الحديث ممن حملوا على عاتقهم هذا الفكر المُعبِّر عن النزعة الإنسانية؛ فقد سبقه إلى ذلك شعراء كُثُر لاسيما شعراء مدرسة المهجر مثل: جبران خليل جبران، إيليا إبي ماضي، ميخائيل

نعيمة، رشيد خوري، إلياس فرحات وغيرهم. وإن كنا نرى في درويش وشعره خاتمة لهذا العُقد الجميل، يدلُّ على ذلك أنَّ أعماله قد تُرجمتْ إلى أكثر من (20) لغة.

ولذلك وغيره فقد رأينا أن نُقيمُ هذه الدراسة لِنُبيَّن كيف جمع درويش كل تلك القيم النبيلة التي تضمنتها المواثيق الدولية المتعلقة بحقوق الإنسان في قصيدة واحدة ـــ تتألف مجازا ـــ من سبعة أبيات، حيث يقول:

وأَنتَ تُعِدُّ فطُورَك، فكِّرْ بِغَيْرِكَ
[لا تَنْسَ قُوتَ الحَمَامْ]
وأَنتَ تَخُوضُ حُرُوبَكَ، فكِّرْ بِغَيْرِكَ
[لا تَنْسَ مَنْ يَطلُبُونَ السَّلامْ]
وأَنتَ تُسدِّدُ فاتورةَ المَاءِ، فكِّرْ بِغَيْرِكَ
[مَنْ يرضَعُون الغَمَامْ]
وأَنتَ تَعُوْدُ إلى البَيْتِ، بيتِكَ، فكِّرْ بِغَيْرِكَ
[لا تَنْسَ شَعبَ الخِيَامْ]
وأَنتَ تَنامُ وَتُحْصِيَ الكَواكبَ، فكِّرْ بِغَيْرِكَ
[ثَمَّةَ مَنْ لَمْ يَجِدْ حيِّزًا للمَنَامْ]
وأَنتَ تحرِّرُ نَفْسَكَ بِالاستِعَارات، فكِّرْ بِغَيْرِكَ
[مَنْ فَقَدُوا حَقَّهُم في الكَلامْ]
وأَنتَ تُفَكِّرُ بِالآخِرِيْنَ البَعِيْدِينَ، فكِّرْ بِنَفْسِكَ
[قُلْ: لَيتَنِي شَمْعَةٌ في الظَّلامْ]

تعريف بالنَّص:

سعى درويش طوال مسيرته التي امتدت لأكثر من نصف قرن إلى أن يُجسِّدَ شعره قيم الحرية والعدالة والمساواة؛ وذلك ما تُبيَّنه قصيدة (فكِّر بِغيرِكَ) التي نظمها أواخر تسعينيات القرن الماضي، وصدَّر بها ديوانه (كزهر اللوز أو أبعد) الذي نُشِرَ سنة (2005م). وإذا كان العنوان (فكِّر بِغيرِكَ) كما يقول النقَّاد أول عتبات، فإننا نقول: إن الشاعر قد كان موفقا في جعل العنوان هنا أول عتبات التعريف بقيم الحرية والعدالة والمطالبة بها.

اعتمد درويش في بناء النَّصِّ على (تفعيلة المتقارب) وهو من البحور الصافية ويتألف (تامًّا) من تكرار (فعولن أربع مرات في كلِّ شطر) أو تكرار (فعولن ثلاث مرات في كلِّ شطر) إن كان مجزوءً. وقد التزم الشاعر تكرار (فعولن) تامة صحيحة أو (فعول) مقصورة، كما التزم قافية واحدة هي (الميم) الساكنة.

وما ينبغي الإلتفات إليه هنا هو أن لم يلتزم الشاعر الوزن العروضي للمتقارب إلَّا في البيت الأول، وذلك ما سنقف عليه عند دراستنا للإيقاع الشعري في النص فيما يأتي.

ولكي تتساوق قراءتنا للنص مع فكرة هذا العدد من المجلة فإننا قد أضفنا إلى محاور الدراسة الفنية محور رابع خصصناه لحقوق وقيم المواطنة في هذا النَّص ووفقا لذلك جاءت القراءة في أربعة محاور هي:

الأول: حقوق وقيم المواطنة.

الثاني: اللغة والأسلوب.

الثالث: الصورة الشعرية.

الرابع: الإيقاع الشعري.

أولاً: النص وحقوق وقيم المواطنة

يقول إدوارد سعيد: "عرَّفتْ قصائد درويش الكفاحية المبكِّرة بالوجود الفلسطيني، مُعيدة التأكيد على الهوية بعد شتات 1948م، وكان الأول في موجة الشعراء الذين كتبوا من داخل إسرائيل، عندما كانت (غولد مائير) تُصرُّ قائلة: لا يوجد فلسطينيون"(1)

تزامن ظهور شعر درويش مع ولادة الحركة الفلسطينية بعد نكسة حزيران 1967م، وكان شعره منذ بداياته الأولى شعر قضية فلم تُفارق إبداعاته المأساة الفلسطينية، فقد ظلَّ منتميا إلى الفلسطيني المقموع، صاحب الأرض المغتَصَبة، والناطق بحق الفلسطينيين العادل في العودة إلى أرضهم، فأصبح شاعر المقاومة الأول، وشاعر القضية الفلسطينية بأرقى معاني هذا المصطلح، حيث تماهى الشاعر مع قضيته، وصارا كيانا واحدا، فعبَّر عن حقوق الفلسطيني في أرقى صورة، وذلك ما سنبينه في هذا المحور اعتمادا على ما جاء في النص من الدعوة للحرية والعدالة والسلام العادل، وفقا للآتي:

أ. الحق في السلام:

وذلك ما تضمَّنته فكرة البيتين الأول والثاني، حيث يقول:

وأَنتَ تُعِدُّ فطورَك، فكِّرْ بغيركَ
[لا تَنْسَ قُوتَ الحمامْ]
وأَنتَ تخوضُ حروبكَ، فكِّر بغيركَ
[لا تَنْسَ مَنْ يطلبون السلامْ]

لقد أراد درويش هنا أن يُلفت الضمير العالمي إلى حقوق أبناء الشعب الفلسطيني التي ترفضها السلطات الصهيونية الاستبدادية؛ فحين يقول: (وأَنتَ تُعِدُّ فطورَك) لا يخاطب أو يستجدي الرحمة والشفقة من أحد، ولكنه يريد للضمير الإنساني أن يلتفت إلى المغتصب الصهيوني الذي ينعم بخيرات فلسطين بينما

(1) سجل أنا عربي، ص8.

أبنـاء الشـعب الفلسـطيني يتضـورون جوعـا كمـا يُبيِّنـه قولـه: [لا تَنْـسَ قُـوتَ الحمـامْ]، وقـد وصفهـم (بالحمـام) في إشـارة إلى تطلعهـم في العيـش عـلى أرضهـم بسـلام.

ثُـمَّ يؤكـد هـذا المعـنى في البيـت الثـاني بقولـه: (وأَنـتَ تخـوضُ حروبـكَ) الـذي تـلاه قولـه: [لا تَنْـسَ مَـنْ يطلبـون السـلامْ]، فتبـدو العلاقـة واضحـة بـين قولـه: [الحمـامْ]، و [مَـنْ يطلبـون السـلامْ].

ب. الحق في الحياة بكرامة:

يشـير درويـش إلى هـذه المعـاني في الثلاثـة الأبيـات الـتي تتوسـط النَّـص حيـث يقـول:

وأَنتَ تُسدِّدُ فاتورةَ المَاءِ، فكِّر بغيركَ
[مَنْ يرضَعُون الغَمَامْ]
وأَنتَ تعودُ إلى البيت، بيتكَ، فكِّرْ بغيركَ
[لا تَنْسَ شَعبَ الخيامْ]
وأَنت تنام وتُحصي الكواكبَ، فكِّرْ بغيركَ
[ثَمَّةَ مَنْ لم يجد حيِّزًا للمنام]

فيُؤكـد هنـا عـلى الحـق في الحيـاة الـذي يُعـدُّ مـن أعظـم الحقـوق الـتي حُـرم منهـا أبنـاء الشـعب الفلسـطيني، هـذا الحـقُّ الـذي سُـحقَ تحـت آلـة القتـل الصهيونيـة حـتى لمجـرد الاشـتباه، وذلـك مـا تـدلُّ عليـه لفظـة (المـاء) في قولـه: (وأَنـتَ تُسـدِّدُ فاتـورةَ المَـاءِ) الـتي نـرى أن مـن أهـم مدلولاتهـا رمـزا وحقيقـة هـو (الحيـاة).

وبعـد أن قـدم درويـش الحـق في الحيـاة لأهميتـه ينتقـل في البيتـين التاليـين إلى الحـق في حيـاة كريمـة لفلسـطيني الشـتات، فيُذكِّـر الآخـر ـــ الـذي يعود إلى بيتـه آمنـاً مطمئنـاً، يتأمـل السـماء وجمـال كوكبهـا ـــ بمأسـاة المشردين عـن وطنهم قائـلاً: [لا تَنْـسَ شَـعبَ الخيـامْ]، بـل إن الخيـام قـد ضاقـت عليهـم فـ [ثَمَّـةَ مَـنْ لـم يجـد حـيِّزًا للمنـام].

ج. حُريَّة التفكير والتَّعبير عن الرَّأي:

لـم يغفـل درويـش الحـق في حُريَّـة التفكـير والتعبـير عـن الـرأي؛ فبعـد أن ذكـر الحـق في السـلام والحـق في الحيـاة والعيـش بكرامـة، نجـده يقـول:

وأَنـتَ تحـرِّرُ نفسـك بالاسـتعارات، فكِّـرْ بغيرك
[مَنْ فَقَدُوا حَقَّهم في الكلامْ]

يـرى درويـش في حريـة التعبـير عـن الـرأي الـتي مُنحـتْ للآخـر حـدِّ اسـتعماله لجماليـات اللغـة مـن اسـتعارات وغيرهـا نوع مـن البـذخ، فـلا يحـقُّ لـه ذلـك مـع وجـود [مَـنْ فَقَـدُوا حَقَّهـم في الـكلامْ]؛ فكُمِّمـتْ أفواههـم وحُرمـوا مـن حريـة التعبـير عـن آرائهـم الـتي تُعـدُّ مـن أبسـط حقوقهـم.

لعلنا لا نجافي الحقيقة إذا قُلنا إنَّ درويشاً قد كان يشعر باليأس من صحوة الضمير الإنساني العالمي تجاه قضية الشعب الفلسطيني وحقوقه؛ لذلك فإنه يختم النص بالتمني في قوله:

وأَنتَ تفكِّر بالآخرين البعيدين، فكِّرْ بنفسك
[قُلْ: ليتني شمعةٌ في الظلامْ]

ثانياً: اللغة والأسلوب

من أهم ميزات اللغة الشعرية عدولها عن التقريرية والمباشرة فتنحو إلى الاعتماد على ثيمات لُغوية وبلاغية خاصة في أساليبها وصُورها؛ فاللغة الشعرية تعتمد بشكل رئيس على قُدرة الشاعر وامتلاكه لمفردات اللغة التي يكتب بها وتراكيبها وأساليبها، ومن ثَم استخدامها استخداما متميِّزا يُحقق له التَّفرُّدُ في صياغة الفكرة وإيصالها للمتلقي في قالب مؤثِّر. ولعلَّ ذلك ما يلمسه القارئ بسهولة في هذا النص.

لقد كان الشاعر موفقا في اختيار الألفاظ، وإن كُنَّا نؤمن أن تخيُّر اللفظ وحده لا يُغني لأنه يحتاج إلى عملية النظم، التي كان الشاعر فَطِنا لها؛ فجاءتْ التراكيب، والصيغ النحوية بجُملٍ شعرية ذات نسق يُبهر القارئ.

ولكنَّ أول ما يُلفت القارئ ويشدُّ انتباهه هو إلحاح الشاعر على تكرار ألفاظٍ وتراكيب محددة، ونعني هنا التكرار اللفظي والتكرار التركيبي.

أ. التكرار اللفظي:

وهو من ألوان التكرار البسيط فهو يقوم تكرار الكلمة الواحدة المفردة أو ما يلحق بها من الضمائر، ومن ذلك تكرار الضمير (أنت) في مفتتح الأبيات جميعها، يليه تكرار (مَنْ) وهو اسم موصول (بمعنى الذي) يستعمل للمذكر والمؤنث للمفرد والمثنى والجمع وفقا للسياق الذي تَرِدُ فيه وقد كررها درويش في أربعة مواضع من النص، ثلاثة منها تدلُّ على الجمع، في قوله: (مَنْ يَطلَبُونَ السَّلامْ/ مَنْ يرضَعُون الغَمَامْ/ مَنْ فَقَدُوا حَقَّهُم في الكَلامْ)، وتدلُّ على المفرد في موضع واحد في قوله: (مَنْ لَمْ يَجِدْ حيِّزًا للمَنَامْ).

ب. التكرار التركيبي:

ويأتي في مقدمة هذا التكرار العنوان (فكِّرْ بِغَيْرِكَ) الذي يُعدُّ محور النص، وهي جملة طلبية تتألف من: فعل أمر، والفاعل ضمير مستتر تقديره (أنت) في (فكِّرْ)، وجار ومجرور (بغيرك).

يـلي ذلـك تكـرار الجمـل المضارعـة الـتي هـي في محـل رفـع خـبر للمبتـدأ (أنـت) في الأبيـات جميعهـا وهـي: (تُعِـدُّ فطُـورَكَ/ تَخُـوضُ حَرُوبَـكَ/ تُسـدِّدُ فاتـورةَ المَـاءِ/ تَعُـوْدُ إلى البَيْـتِ/ تَنـامُ وَتُحْـصِيَ الكَواكـبَ/ تحـرِّرُ نَفْسَـكَ/ تُفَكِّـرُ بِالآخِريْـنَ البَعيْدِيـنَ)، وتكـررت (لا تَنْـسَ) في ثلاثـة مواضـع هـي: (لا تَنْـسَ قُـوتَ الحَمَـامْ/ لا تَنْـسَ مَـنْ يَطلَبُـونَ السَّـلامْ/ لا تَنْـسَ شَـعبَ الخِيَـامْ) وتتألـف مـن: (لا) وهـي ناهيـة. والجملـة الفعليـة (تَنْـسَ). تتألـف مـن: المضـارع مجـزوم بحـذف حـرف العلـة، والفاعـل ضمـير مسـتتر تقديـره (أنـت). وعمومـا فـإن لاسـتخدام هـذه الجمـل دلالات نوجزهـا في الآتي:

1. تكـرار الجملـة الفعليـة (فكِّـرْ بِغَـيْرِكَ) يوحـي بإلحـاح الشـاعر عـلى أن يُلفـت الضمـير الإنسـاني إلى قضيـة شـعبه، وخوفـه أن تصبـح هـذه القضيـة العادلـة طـي النسـيان. لذلـك فإنـه يؤكـد المعـنى ذاتـه في خاتمـة ثلاثـة أبيـات مـن النَّـصِّ بقولـه: (لا تَنْـسَ) الـتي جـاءت تـدلُّ دلالـة صريحـة عـلى أن الشـاعر يقصـد الشـعب الفلسـطيني وقضيتـه العادلـة.

2. تكـرار الجمـل المضارعـة بعـد (وأنـت) في الأبيـات جميعهـا بمـا تحملـه مـن دلالـة اسـتمرارية الفعـل ونقيضـه مثـل: فبينمـا أنـت (تَخُـوضُ حَرُوبَـكَ) فـإن هنـاك (مَـنْ يَطلَبُـونَ السَّـلامْ)، وحينمـا (تُسـدِّدُ فاتـورةَ المَـاءِ) فهنـاك شـعبٌ (يرضَعُـون الغَمَامْ)، وحينمـا (تَعُـوْدُ إلى البَيْـتِ) فهنـاك (شَـعبَ الخِيَـامْ) وهكـذا يمكننـا القـول عـن الأبيـات جميعهـا، ومثـل هـذه المفارقـة واسـتمرارها يوحـي بعمـق المأسـاة الـتي أراد الشـاعر أن يوصلهـا إلى المتلقـي.

3. كان الشـاعر واعيـا في تركيـب الجمـل الشـعرية واختيـار مفرداتهـا، وليـس أدلُّ عـلى ذلـك اسـتخدامه المتقـن للفـظ (قـوت) الـتي تـدلُّ لغـةً عـلى القليـل الزهيـد ممـا يُمسـك الرمـق مـن الـرزق.

ثالثاً: الصورة الشعرية

تُعـدُّ الصـورة الشـعرية مـن أهـم الأدوات الـتي يسـتعين بهـا الشـاعر لتقريـب الفكـرة وإيصالهـا للمتلقـي في قالـبٍ فـنيٍّ جميـلٍ، والصـورة كذلـك تُسـهمُ في الارتقـاء بالنَّـص الشـعري فنيَّـاً إضافـة إلى إنهـا تُحقّـقُ المتعـة وتخلُـقُ الدهشـة عنـد المتلقـي.

وفيمـا يتعلَّـقُ بالنـص موضـوع الدراسـة فيُمكننـا القـول إن النـص في مجملـة قـد شـكَّل لوحـة شـعرية فنيـة متكاملـة ومـن أبـرز الصـور الـتي تصـدم القـارئ وتُثـير دهشـته الصـورة الاسـتعارية في قولـه:

(يرضَعُون الغَمَامْ) حيث استعار درويش (يرضعون) بما توحي من الضعف والاحتياج فمن يرضع عادة هو (الطفل)، ثُمَّ أغرق في الاستعارة فجعل (الغمام) موضع (ضرع الأم) وفي ذلك دلالة على المشقة والعنت التي يلاقيها الشعب الفلسطيني ليؤكد حقَّه في (الحياة)، فكان موفقا في التعبير من خلال الصورة الاستعارية.

يلي الصورة الاستعارية الصورة الكنائية التي جاءت في عدة مواضع مثل: (قُوتَ الحَمَامْ/ مَنْ يَطلَبُونَ السَّلامْ/ شَعبَ الخِيَامْ/ مَنْ لَمْ يَجِدْ حيِّزًا للمَنَامْ/ مَنْ فَقَدُوا حَقَّهم في الكَلامْ)، وهي كنايات مؤلمة تُعبِّر عن الحالة المأساوية التي يعيشها أبناء الشعب الفلسطيني.

وإضافة إلى ذلك فقد وظَّف الشاعر الصورة (الحسِّيَّة البصرية)؛ فنجد أن كل ما بين المعقوفين ـــ وقد جاء في الأبيات جميعها خلا البيت الأخير ـــ، هو تعبير استعاري أو كنائي عن معاناة أبناء الشعب الفلسطيني مثل: [لا تَنْسَ مَنْ يَطلَبُونَ السَّلامْ]، [لا تَنْسَ شَعبَ الخِيَامْ]، [مَنْ فَقَدُوا حَقَّهم في الكَلامْ]، وإذا حذفنا ما بين المعقوفين من جمل مأساوية، فإننا نصطدم برمز بصري أكثر مأساويةً، فالرمز يشبه غرفة صغيرة ضيقة [] ونكاد نُجزم إن الشاعر قد تعمَّد هذا النوع من الكتابة ليُشير إلى الأسر والمعاناة التي يعيشها شعبنا العربي الفلسطيني دونما رحمة.

رابعاً: الإيقاع الشعري

الإيقاع هو الإطار الموسيقي للشعر وهو يأتي في شعر التفعيلة على هيئة موجات قد تقصُر أو تطول تبعا للتجربة الشعرية التي يُعبِّر عنها الشاعر، وذلك ما لمسناه في هذا النَّص؛ فقد اعتمد الشاعر على التكرار اللفظي والتكرار التركيبي للنهوض بموسيقا النَّص الداخلية؛ فوظَّف التوازن الصوتي معتمدا على ألفاظ وجمل متساوية في الطول، ومتوازية من حيث الوزن مثل: لفظ (وأنت) الذي يساوي عروضيا (عولن)، وجملة (فكِّرْ بغيركَ) التي تساوي عروضيا (عولن فعول ف)، وكذلك الجمل (تُعدُّ/ تخوض/ تعودُ/ تنامُ) وهي جميعا على وزن (فعولن) وغيرها من الجمل التي يزخر بها النَّص. فكان لهذا التكرار أثرٌ في تشكيل موسيقا النص، حيث حقق الشاعر من خلال التوازن اللفظي تجانسا موسيقيا.

وإضافة إلى ذلك فإن من السمات

الإيقاعية المميزة لهذا النص تكرارا حرف (الكاف) وهو من الحروف المهموسة الشديدة وصوته يُحاكي صوت احتكاك الخشب بالخشب لإشعال النار؛ لذلك فهو يوحي بشيء من الخشونة والحرارة والقوة(2) والعلاقة بين هذا التكرار وما يرمي إليه الشاعر من إذكاء نار الثورة على المغتصبين الصهاينة واضحة.

ومما ينبغي الوقوف عليه في هذا النَّص القافية التي ارتبطت بالنص ودلالته ارتباطا وثيقا، ولا سيما إذا ما أضيفت إلى الوقفة الإعرابية (السكون) الوقفة المعنوية التي يريدها درويش من الآخر من نُصرةٍ للمستضعفين.

وختاما لا بدَّ لنا من الإشارة إلى إن الشاعر قد التزم تفعيلة (المتقارب) وبحره في البيت الأول فقط، الذي يمكننا إعادة كتابته عموديا على النحو الآتي:

وأَنتَ تُعِـــــدُّ فطُـــــورَك، فكِّـــــرْ بِغَـيْرِكَ [لا تَنْسَ قُـوتَ الحَمَـامْ]

فعـول/ فعولـن/ فعـول/ فعولـن فعـول/ فعولـن/ فعولـن/ فعـول

بينما لم يلتزم ذلك في بقية الأبيات فتكونت الأبيات (2/ 3/ 4) من (9) تفعيلات، بينما جاءت الأبيات (5/ 6/ 7) مكونة من (11) تفعيلة، فانتهك الوزن العروضي بشكل لافت، ولعلَّ التجربة الشعورية وتدفُّق العواطف قد فرضا على درويش مثل هذا الإنتهاك.

(2) معاني الحروف، حسن عباس، ص70.

في.. كَدحِ الموت..!!!

أنذلُ سُلطة في الحرب
الموت!!!

جمال الرموش
شاعر ومحرر صحفي يمني

أطفئـوا أزيـز الفـوضى الـذي يمـرق مـن
أفواهكـم !
وأغلقوا قصبات الأغاني
لقـد غمـرت الأثـاث، البيـت، جدرانـه،
وسـقوفه
وهي تسيح الآن في العتبات
واحذروه .. أرجوكم
سيجيء، ويدخل دون أن يطرق بابنا ..
مَن هو؟!
المـوت .. ذلـك الـذي يبتهـج كثـيراً .. في
الحـرب!!! .
***
كُلُّ الذين مرَّ بهم .. أو باغتهم
قالـوا: إنَّـهُ كالغريـب الـذي يطـل عـلى
البـدو .. في الـبراري .. أو القـرى الضنينـة
لا ماءً يطلب.. ولا خبزا
أو عَرَفاً ينام عليه من مشيٍ عميق
ولا يسأل عن أهل
لكنَّهُ يتملَّى في الوجوه
ثم يحشو في أرواحنا اسمه
هو ذا الموت
ليس له هُوية، ولا ميلاد ..!!
***
هذي السماء
لو لم تكن من قصبٍ يابسٍ!
أو معدنٍ يتأرجح
لمـا كان هـذا المـوت يمـرق مـن بـين
أوتادهـا..!!.
هـل النـاس يحلمـون في الحـرب بسـماءٍ
مـن فـولاذ !!!.
***
يارب
لك سبع سموات
اخفض منها ثلاثاً

حـتى تغطـي الفضـاءات القريبـة مـن
بيوتنـا
في ساحة حربنا
في ساعة موتنا
فقط !!!.
***
على هذه الأرض
اثنان لا أَمِلُّ من غيابهما
ولكم حاولت أن أصدَّ عنهما رضاي
مَلِكي، وملاكي !!!
الأول: يتخطـف الأرامـل والثـكالى صورتـه
مـن جـدران الشـوارع، ثـم ينهشـنها !!!
والآخر: موتي !!!.
***
لقد مللت (أصيل) وسؤاله في الموت
أواه
كيف أصِفُ له لونه !!؟
وقـد كان حليفـاً مُـرِّاً لأمِّـه قبـل هـذي
الحـرب
وإلى أي مـدىً سـأغوي يتامـاي الأربعـة
عنـه
إذن .. هـل المـوت أقـدم جائـعٍ يتـنزهُ
بـين أضلـع الكائنـات !!.
***
الوحيد
الذي كان يراوغهُ كثيراً ..
يخطفـه إلى جُـرفٍ عميـقٍ؛ وحالـكٍ كإبـط
عبـد!!!
وقبل أن يصل به إلى آخر متر فيه
يهمس في أُذنه، معذرةً
أخطأت في الاسم
ثم يزجره: عُدْ
الوحيد
الذي كان قد راوغه كثيراً في الحرب..
الوحيد الذي كان أنا!!!
والمـوت ذلـك الـذي كان يخطفـني إلى
جرفـه العميـق
هكذا كنت أظن !!
.....
لكنِّي لن أصبر .. لن
سأكشـطُ الخـوف الـذي عـضَّ ثقـتي
بريـش صقـر
وسأجمع سهامي .. وقوسي
آخذها إلى سلةٍ من طينٍ باسلٍ
وأصعد إلى سنِّ هذا الجبل
سأضع السهم في قوسهِ
ثـم أُسـدِّده عـلى ذلـك الكائـن الأبـدي:
المـوت !!
ربما أصيب ظله!!!
حتى إذا سألني الفارُّون منه:
هل قتلته !!؟
أقولُ: بينَ .. بينَ
ولكني انتصرت عليه قليلاً !!!.

عدن، أواخر يوليو 1994م"

أيْنَ أنا؟؟!

عائشة المحرابي
أديبة وأكاديمية- اليمن

أيْنَ أنَا مِنْكَ؟
كُلُّ دُرُوبِ اِشْتِيَاقِيْ تُؤَدِيْ
إلَيْكْ!
عَنْدَ عَلامَاتِ أَسْئِلَتِيْ أَلمَحُ
ظِلَّكْ:
إجَابَةٌ خَرْسَاءُ عَلى شَفَةِ
المَساءْ،
حُلْمٌ وَرْدِيٌّ فِيْ عِجَافِ
اللَيَّالِيْ!
أحَلىٰ الصَبَاحَاتِ وَجْهُكْ،
أشْيَائِيَّ الجَمِيلَاتُ تَتَهَجَأُ
أصَابِعَكْ!
يَا ارْتِبَاكَ الوَقْتِ
يَا شَوْقِيَّ المُسَافِرَ
عَبْرَ أفْلاكِ الوَلَهِ وقِلَةِ الحِيْلَةِ،
يَا نَبْضةَ الأمَلِ البَهِيْجِ
علىٰ بَابِ السَماءْ!
حَتَّىٰ مَتىٰ تطرق لَهْفَتِيْ،
وَتَرْحَلُ فِي صَمْتٍ مَهِيْبْ ؟!.

5/10/2017
من ديوان سلاماً أيها الفجر

غَـنُّـوا مَعِــي

عَمرُو الارياني
أديب يمني

سَمْراء أغنْ
رَغم المِحَنْ
حلوة (حلا)(**)
(قَلبِه) لَبَنْ
(أصْلِه) خليطْ
فُل ومحيطْ
(لَدُّو) وبخورْ
معجونة فَنْ
سَمْراء أغنْ
(تَشُّن شَنْ)
تقطُر جمالْ
تُمْزُن مَزنْ
الله وَزَنْ
عليها مَنْ
من كل مليح
لها الحَسَنْ
سَمْراء أغنْ
فيها سَكنْ
سِحرُ الوجود
والسِّرُّ كَنْ
مهما الزَّمنْ
جَار وكَمَنْ

تطرح فرحْ
حُبْ وفَنَنْ
سَمْراء أغنْ
كم افتتَنْ
من (تُوصِلُه)
للوصل حَنْ
يَنْسى الحَزَنْ
يَنْسى الوَسَنْ
من تهجره
يهيم يجَنْ
سَمْراء أغنْ
لها لحَنْ
قلبي وعزف
كَتَب وغَنْ
(دَنْدِنْ دَدَنْ
دَنْدِنْ دَدَنْ)
غَنُّوا معي
حُبِّي عَدَنْ
.....

(**) الكلمات بين قوسين لهجة لأبناء عدن.

أوديب ثائراً

آدم عبد الوهاب الحسامي
أديب وصحفي

إلى أبي العظيم؛ إذ كوّنني، ثم قال لي كما قال فولتير: كن رجلاً ولا تتبع خطواتي.

1

كثرَ آباؤك يا أوديب، فكيف ستجلس على عرش ذاتك؟ وشرعية هذا العرش يُتْمٌ تقترفه يداك الخالقتان، لا يد العمر! ولا يد الذاكرة المفقودة، كما يتوهم أوديبيّو الحداثة العمياء.

2

بأي أبٍ ستبدأ جريمتك المخلِّصة، وحقولٌ كثيرة يرتع فيها آباء ثقلاء الظل، جميلو الظلال. في كل حقل طوائفٌ من الآباء، ومن انقذافة كل أبٍ تتناسل عنابرٌ من الأبناء الذين تتشابه وإياهم. لا عيب فيهم لو لم يكونوا أبناء. ولا عيب فيك سوى التشابه الذي يقولبك، يجعلك سليلاً، والعرش انسلال. لا مأساة تنتظرك في الأفق (الخامل) ـــ كما يهرف كهان الأمس الوجلون من تطهير المأساة ـــ بل ملهاة التشابه التي يتأبّاها العرش. فاقتل أول من ستقتل سوفكليس لتصيّر المأساة ذات العين الواحدة ملحمةً ممتدة الثراء، حينها ستتلاشى حتمية الآلهة أمام السُبل الكثيرة المحتملة والمحيّرة والتي مهدها لك الإله الواحد.

3

كل أبناء جيلك، بل المعاصرين ليسوا آباءً. عارٌ أعتى رماداً أن يكون لك أبٌ يستطيع ـــ في لحظة غضب ـــ أن يمنّ عليك بنطفة قذفها في لحظة لم تكن أنت في حسبانها. اطمئن، لا آباء تراهم جهرةً فالآباء يشكِّلهم إزميل التقادم: في البداية ليتقربوا إلى الفكرة زلفى ثم لا تشعرون إلا وقد اغبرّت لحاكم من الانحناء هروباً من ألم التضرع للعلو؛ من ألم الكلمة المتجسدة.

4

آباء الإيديولوجيا: هم أقلّ سطوة عليك، وأمضّ سطوة عليكم. ورغم ذلك، هم الأكثر تحكّماً بمجرى النهر، الأحدُّ بصراً والأبعد بصيرة وأوسعها؛ يرسمون كل ملامح الآتي (كما يتوهمون) ليريِّحوا أعين الأبناء الكسولة (بسببهم). لكن العرش عدو الراحة فاقتلهم

واحداً واحداً إن خُلقت لهذا الحقل، إن اخترت هذا الحقل.

5

الآباء القادة؟ لهم أجلّ العرفان؛ فهم الأدهى شجاعة، الحكمة معقودة في صولجان عزمهم، في سيف حزمهم، وفي خيل إقدامهم إن لم يثقبوا السفينة، وإن أداروا الدفة قدر رؤيتهم ورؤياهم وضميرهم ـــ إن كان حياً ـــ لهم كل ما قلت، شرط أن ترمي بهم إلى ذمة التاريخ لست ابناً لأحد منهم. أبوّتهم أعتق كابح للغد، فاقتلهم واحداً واحداً إن خُلقت لهذا الحقل، إن اخترت هذا الحقل.

6

آباء الفقه؟ أبو حنيفة سيجيبك؛ إذ رفض أن يكون أباً لأحد من تلاميذه ونهاهم عن تدوين فتاواه الآنيّة، فاحترم رغبة النبلاء منهم دعهم يموتون بسلام.

انبش قبور من يريدون أن ننتمي لهم كي ..... مؤخراتهم المغبرة كمخطوطاتهم. ثم أتحداك أن تفقه هذا العالم المعقد أتحداك أن تفقه شجرة العلوم المتشظية إن اخترت ـــ ولن تختار بمفردك ـــ هذا الحقل الذي أصبح جماعياً ويحتاج جريمة أكاديمية

7

الآباء الثوريون؟ هم أيقونات وليسوا آباء. استبدادٌ مكرّس أن تتخذ الثوريين آباءً لك كما قلت هم أيقونات، فكرة مجردة لا تتجسد مرتين: صليب يلهم ولا يعتق، إشعاعٌ لا يرتوي منه الظامئون للحرية، ظلٌ، وقد خاب من اتخذ من الظل ظلاً. لا تقتلهم لأنهم لم يمنّوا عليك بشيء فدماء الشهداء لا تمنّ على أحد ولا تدّعي الأبوة الثقيلة، هي تقول كلمة واحدة: كن رجلاً ولا تنتحب فوق بقعتي المضيئة؛ إذ ستحجب عني وسأحجب عنك ضوء الشمس.

8

آباء الفن، أيُّ فن، هم الأحق بجريمتك إنِ اصطفاك (الماوراء) لتكون كاهناً في أحد معابده. فالفن قرين التفرّد، والتفلّت من علائق الأسلاف والأغيار ... تظللكم سماء واحدة؟ وتقفون على أم غبراء؟ أي نعم لكن الفن يخلق سماواته ولا يقف على هذه الأرض

تراب اللغة وصخورها؟

لغة التراب والصخر؟

سديم الألوان؟
حواف الخطوط؟
حركة وسكون الإيقاع؟
فضاء احتمالات التشكّلات؟
رعشة التأثر والتأثير؟
بصمة المبدع؟
هـذه مـواد خـام لتبـني منهـا معبـدك الخـاص بعـد أن تهـدّم المعبـد الـذي أُصطفيـت للخدمـة في أروقتـه المزدحمـة. اسـمعها مـني إن أردت أن تكـون خالقـاً مـن زمـرة المذكوريـن في الآيـة الكريمـة: (تبـارك اللـه أحسـن الخالقـين) اقتلهـم واحـداً واحـداً إن خُلقـت لهـذا الحقـل المتمـرد عـلى نفسـه، إن اخـترت هـذا الحقـل المتمـرد عـلى نفسـه.

9
آبـاء العلـم؟ امتـص دمـاء أخطائهـم واصنـع مـن جثـث صوابهـم مختـبراً لتشريـح هـذا الكـون واطمـئن لـن يموتـوا حيـال ذلـك.

10
أبوك الحقيقي؟
سـيعيش مديـداً وسـيزهو بـك إن كنـت مجرمـاً خلّاقـاً في الحقـل الـذي خلقـت لـه، في الحقـل الـذي اخترتـه

11
تستغرب أني لم أحدثك عن الأم؟
الأمُّ هي الفكرة
لذلك فهي ستحلّ لك لأنَّك والدُها.

***ملحوظـة:** يُمنـع اسـتخدام الأسـلحة الناريـة والبيضـاء وكل أداة تزهـق النفـس البشريـة فبهـا موتـك أو لعنتـك؛ إن لـم يكـن دفاعـاً عـن النفـس.

أنا من بلادِ السكاران

فخر العزب
أديب وناشط مدني

كان شيوُخ القريةِ لا يبرحون النبيذ
إذا جَّن ليل
تارهم يزورون طعم الكروِم
بلهفة من يشتهي خمرها
ثم يسقون كل ا لكؤوِس
وهم يشربون ويأتي ال ُمغني
ُيدندُن با لآ ِه في مسمع ا لَّدهر
عند الليال
وهم يرقصون
وليُـل القريـة يطـوي مـع الفجِـر سـاعاِته
كي يعـود سـكارى القـري ِة مـن أمهـا ِت
الملاحِـم قيـل بـأَّن جماعتنـا قـد غُـزوا كل
تلـك القـرى أرعبـوا أهلهـا
كّسروا شجر ا لقات فيها
ليـأتي الصبـاح وهـم أصدقـاء. وتحـكي
حكايـات أجدادنـا
عن رجاِل أشداء من رهِط القوِم
كانوا سبعة من أولي البأ ِس
إذا ما أغاروا على قريٍة
ضربوا مترفيها
وعاثوا بها
ثم عادوا إلينا ليحكوا أقاصيصهم
و البطولا ِت
والانتصار
يقـوُل "المقَّـدُم" إَّن الـذي جـاءه بـات
مضروبـاً تسـيُل الدمـاُء عـلى وجنتيـه
و ا َّن النصـارّي " قدشـق وجـه الخصوم
بضربـة كفيـه حين اسـتدار
ذات ليٍل
من ليال قريتنا
خـرج القـوم إلى قريـة في الجـوار وهـم
يحملـون قواريرهـم وأحلامهـم
شربوا الكاس
في سـهرٍة في ربـوِع الخصـوِم وعـادوا
بإحـدى النسـا ِء عروسـاً لواحِدهـم بعـد
أن أرغمـوا أهلهـا بالـزوا ِج
وكُّل النسـاِء اللـواتي يزغـردن في الليـل
يهتفـن:
"يا بختها من عروٍس"
أتاهـا أمـيُر الحيـاِة إلى دارهـا يرتجـي أن
تدلـل أيامـه بالحيـاة.

(رشـــــا)

مراجعة نقديَّة لفيلم عشرة أيَّام قبل الزَّفَّة

د. شهاب القاضي
أديب وناقد، وكاتب، دكتوراه في العلوم الزراعية

بعد مشاهدتي لفيلم (عشرة أيام قبل الزفة)(1) للمخرج عَمرو جمال، خرجت من صالة العرض، وأنا أُردّدُ ما قال رولإن بارت: "اذا كانت الايديولوجيا نتاج عصر ما وصورته، فإن السينما نتاج المجتمع وصورته"، لاسيما بعد ما رأيت شغف الناس الشديد واحتشادهم لرؤيته: هل لأن الفيلم نتاج مجموعة واسعة من أبناء عدن المبدعين بقيادة المخرج المتألق عمرو جمال؟ أم لأن مسرح أحداث الفيلم مدينة عدن؟ أم لأن القضايا التي يناقشها الفيلم قضايا اجتماعية وإلى حدٍّ ما سياسية، تمسُّ كلُ واحدٍ منا وتؤرقه؟ هل يوجه الفيلم رسالة إلى المتحاربين، أن أوقفوا الحرب ولكن بلغة السينما، لغة الحركة والصورة؟ لكل هذه الاسئلة يستحق الفيلم وقفة جادة للنقاش، وإلى تبني قضاياه، وإلى تكريس قيم المحبّة والمشاركة والتآزر في مواجهة الأوضاع غير الاستثنائية التي تمرُّ بها عدن.

السينما ... حكاية:

أحسست بالرعب بعد انتهاء الفيلم، لم نعد نتحكم في مصائرنا، ليس هنالك ما نسميه بالاستقرار الاجتماعي، عليك أن تتوقع باستمرار الأسوأ. هكذا هي الأيام خلال الحرب وبعدها: عروسان (رشا) و (مأمون) لم تَبقَ أمامهما غير عشرة أيام قبل ليلة الزفاف أو بالعدني (الزفة)،

(1) معلومات عامة عن فيلم عشرة أيام قبل الزفة: تم عرضه في 21 اغسطس، 2018 - اليمن - صُوّرت أحداثه في مدينة عدن، الحوار: مازن رفعت، سيناريو: مازن رفعت وعمرو جمال، البطولة : سالي حمادة، خالد حمدان، قاسم رشاد، بكار باشراحيل، الموسيقى: سالم فدعق ، المنتج شركة Adenium Productions ، المنتج المنفذ : محسن الخليفي.

يضطر (مأمون) إن يترك بيت جده لعمته المطلقة، التي قررت العائلة أنْ تسكن في نصف البيت العلوي مشاركة مع أبيه؛ وقد جهّز (مأمون) الطابق العلوي ليتزوج فيه. نشاهد (مأمون) يخرج في المقدمة التمهيدية للفيلم (Prologue). حاملا أثاث غرفة زواجه وقد انهارت أحلامه، كان يغالب حزنه بفروسية نادرة، إنه الآن بلا بيت، أين كل تلك الأحلام التي حلم بها، هو ورفيقة عمره (رشا)، لقد انسحبت أحلامه كمياه البحر في حالة جزر وتلاشت. بقيت عشرة أيام، هي زمن الفيلم، كنا نلهث مع العروسين كلما انسلخ يوم من العشرة الأيام، في حركة زمنية من العدِّ التنازلي وبالذَّات في اليوم الثامن عندما تتصدر (رشا) المشهد، بعد أن استوعبت التحدي: أيام قلائل للزفاف وهناك من يضع العراقيل مثل تاجر القات (سليم) الذي يضغط على عائلتها لكي يتزوجها، عائلتها المنكوبة والمتهدم منزلها، وقد منحها (سليم) بيتا تأوي اليه؛ لكن (رشا) تصمد وتتحدى وتقاوم حتّى عندما يفقد (مأمون) عمله بفعل مؤامرات (سليم) إلا إن (مأمون) وأثناء سقوط المطر في حوش الخالة (تقية)، وهم يهمون هو وصديقه (مشتاق) واخوها (وليد) بجمع الأثاث (العفش) يصرخ (مأمون) في (رشا) وقد انهارت كل أسباب مقاومته بما معناه: إنني لن استطيع أن أواصل، علينا أن نفترق، لك من هنا طريق ولي من هناك طريق، لكنها رغم بكائها المر تحت المطر، ورغم أن اليأس قد خالجها، إلا إنها لم تيأس ولم تخُر قواها، لم تخضع لابتزاز تاجر القات (سليم)، وقد أعادت تثبيت خاتم الخطوبة، انتصرت لحبها وانتصرت، إنها نموذج للفتاة العدنية الحرة، المستقلة، ذات الارادة الصلبة والمكافحة. وإذا كان مسموحا لي أن اسمي هذا الفيلم مرة اخرى فسوف اسميه: (رشا).

والحكاية لها معنى:

فيلم عشرة أيام قبل الزفة، فيلم يحكي ما نعيشه اليوم في عدن، إنها أيام الحرب التي لم تنتهي، يخضع المواطن للابتزاز والضغوط الاجتماعية وضغوط الحاجة، مع ذلك فهو يعيش رغم تلك الصعوبات.

إنه الفيلم/ الرسالة، تتلاحق مشاهده، مشهد، مشهد وكأنّها وقع المطارق، تتلاحق صورة، صورة، إنها تقول الفعل بحسب تعبير (جان بول سارتر) " الصورة نمط من الوعي، إنها

فعل وليست "شيئا"، وعلى حد قول (رودولف آرنهايم): "في الفيلم الجيد، يجب على كل لقطة أن تساهم في الفعل" لم يعتمد المخرج التصوير داخل الاستديو، وهو أسلوب من اساليب الواقعية الإيطالية الجديدة، وهي حركة ثقافية سينمائية ظهرت في إيطاليا في الأربعينات (1942-1961) في فترة الحرب العالمية الثانية وما بعدها، تعتمد على التصوير المباشر والبسيط لمعاناة الطبقات الفقيرة في المجتمع في الشارع وغرف المنازل عوضا عن استخدام الاستديوهات المكلفة، وتستمد الواقعية الجديدة أهميتها من إنها تركت أثارًا كبيرة وواضحة على المخرجين والسينمائيين في العالم كله وسرعان ما تأثر الجميع بهذه الحركة وخرجت الكاميرات إلى الشارع بعد أن كانت حبيسة الأستوديو لسنوات طوال.

فيلم عشرة أيام قبل الزفة يصور حياة ثلاث عائلات عدنية: عائلة (مأمون)، عائلة (رشا)، عائلة (مشتاق) صديق (مأمون). والعائلات الثلاث كلها فقيرة ومعدمة تقريباً، رجالها ونساؤها، شبابها وكهولها، اعتمد المجتمع العدني على الوظيفة الحكومية كموظفين وعمال، وبسبب المتغيرات السياسية والاجتماعية تضاءلت امكانيات هذه الوظيفة المالية في مواجهة متطلبات الحياة ومواجهة صعوباتها التي خلفتها حرب 2015م، الامر الذي فرض ان تعمل الاسرة، وتستخدم ابنائها القُصَّر مثلا في بيع الفطائر (الخمير) عند بعض العائلات، والبخور وتطريز الملابس الموجه إلى السوق عند عائلاتٍ أخرى، في إطار من البؤس وعنت الحياة، لم تعد عدن لأبنائها، إنهم حتى لا يستطيعون إن يجدوا السكن المناسب، أمَّا إعمار ما خلفته الحرب فحدث ولا حرج، مازالت الاسر المتضررة تعيش بالإيجار الذي لا تدفعه الحكومة ولكن يدفعه المتضرر للأسف، وقد اشار الفيلم إلى المباني التي هدَّمتها الحرب في إشارة منه إلى ملف الإعمار. إضافة إلى ذلك تناول الفيلم في إشارات سريعة، أزمة الخدمات مثل: الكهرباء والمياه وظاهرة تسرب الطلاب من الدراسة وتحولهم إما إلى مليشيا الفيد أو إلى جنود في الحرب الدائرة.

ولا حكاية إلا أن تكون فناً:

كيف تمظهرت الحكاية فناً؟ أو بالأحرى كيف قيلت الحكاية من خلال اساليب ومؤثرات السينما فنيا؟ فيلم عشرة أيام قبل الزفة، يستعير تقنية

من تقنيات المسرح أو الرواية حيث بدأ الفيلم يروي حكايته على هيئة فصول أو بأسلوب العد التنازلي للأيام من اليوم العاشر وحتي اليوم الأول، يوم الزفة، وفي كل يوم تتدفق الحكاية صعودا وهبوطا، تجعلنا في إطار زمنية خطية لا ترحم، الفيلم تدور أحداثه في الحاضر ـ فقط في الحاضر ـ؛ فلم يستعِنِ المخرج بأي مستوى من مستويات الزمن الاسترجاعي، الماضي (فلاش باك) أو بالزمن الاستباقي، المستقبل، إنه الحاضر فقط مما منح أحداث الفيلم الحركية والحيوية وأغنى الأحداث بالحياة والروح، ليس لمدينة عدن سوى حاضرها، حتى الأحداث التي مرت عليها أكثر من ثلاث سنوات هي بالنسبة لأبناء عدن حاضر مازال مستمرا (رشا): (الحرب مستمرة ولكن بصورة اخرى)، إنه حاضرنا الذي يطوقنا دون رحمة، إنه جحيمنا الذي نعيشه، إنها عدن، الجحيم الذي نستعذبه رغماً عنَّا .

استخدم المخرج عمرو جمال في الفيلم كل أنواع اللقطات العامة والمتوسطة والقريبة المتحركة، أمَّا التصوير من الجو فقد استخدمه المخرج ببراعة، في نهاريات عدن وأمسياتها المصاحبة بالموسيقى والغناء (من أغاني الفنان احمد قاسم والفنان محمد سعد عبدالله). وقد التقطت كاميرته صورا أو علامات سيمولوجية للمكان والحارات العدنية وزوايا المنازل والسلالم، وأثاث البيوت القديمة والمتواضعة وملابس الممثلين (الفانلة، الجرم العسكري أو أبو ورقة خضراء الأبيض والفوطة العدنية الطويلة)، والأسِرَّة (القعائد) والأواني أو أوعية المطبخ (السامان) وأنواع الطعام من الزربيان إلى البطاط أبو حمر، وخبز المطبقية والحلويات (حلاوة اللبن واللدُّو) وكذلك التَّمْبُل الذي كتبَ عنه ابن بطوطة في زيارته لعدن، وذلك يدلُّ على تواضع المجتمع وصبره، وتحمله لكل الظروف وقدراته العالية في الصمود والتحدي متمسكا بحياته المدنية ورصيده الحضاري وروح الامل لديه: فسوف يأتي اليوم الذي تعود فيه عدن، مدينة آمنة ــ كما كانت ــ مزدهرة تجاريا وثقافيا وفي مجالات الحياة المختلفة.

تضمن الفيلم مجموعتان من الشخصيات: الشخصيات الرئيسة وهم: (مأمون) و(رشا) يقابلهما تاجر القات (سليم)، أمَّا الشخصيات الثانوية فبقية شخصيات الفيلم، أولئك الذين وقفوا مع (رشا) و(مأمون) والذين

وقفوا مع التاجر (سليم) في توتر ملحوظ للثنائيات الضدية التي كانت رافعة الفيلم وهي: الشجاعة/الخوف، الحب/الكره، الايثار/الأنانية، التسامح/ الحقد، الفقر/الغنى، المواجهة/ الانسحاب، الضحك/البكاء، العدل/ الظلم ، الوضوح/المواربة، الاستقامة/ الابتزاز، العطف/القسوة، الفرح/الحزن، الوفاء/الغدر، الصدق/الكذب، الحق/ الباطل وقد خاض (رشا) و(مأمون) صراعا بطوليا، من أجل طموحهما في الاستقرار وبناء اسرة جديدة تقوم على الحب والمشاركة الوجدانية الخالصة، وتم لهما ذلك في نهاية الفيلم.

لم تظهر بعض نماذج الشخصيات العدنية، التي كان لها تأثير في حياة المدينة على سبيل المثال لا الحصر شخصية المثقف والمهندس والصحفي والمحامي والمدرس والطبيب، كما لم تظهر الأُسر التي استفادت من الحرب وتحولت من (الحضيض) إلى القمة بفضل أبنائها الذي استولوا على الأسلحة والأموال من البيوت المفروشة والمغلقة التي تركها أهلها نزوحا!.

فيلم عشرة أيام قبل الزفة، يتمتع بدلالات جمالية وفكرية، حاولت في هذه العجالة أن أطلَّ عليه، إطلالة عابرة، وهو يستحق قراءة معمقة أخرى. أتمنى أن أنجزها في وقت لاحق.

إثبات هوية

مازن رفعت
أديب وقاص وكاتب سيناريست

دخل إلى البنك، هارباً من سياط شمس الصيف التي لا ترحم، مسح بكفه نزيف العرق عن صدغه وعنقه وهو يلهث، أحس بمداعبة نسمات المكيّف الباردة لوجهه، اقترب منه، وفتح ذراعيه حاضناً نسماته، ثم اتجه إلى أحد موظفي البنك، وطلب راتبه الشهري، سأله الموظف عن اسمه فأعطاه، طلب منه الموظف الهوية للتأكد، أعطاه جواز سفره لأن بطاقته الشخصية قد ضاعت أثناء الحرب، نظر الموظف إلى جواز سفره، ثم ألقى نظرةً عليه وقال :

_ عفواً يا سيدي ولكنك لا تشبه صاحب الصورة!

ابتسم الرجل في أسى وقال:

_ مرت سبع سنين عجاف منذ أن التقطت هذه الصورة!

_ عفواً يا سيدي لا يمكنني أن أعطيك راتبك دون التأكد من هويتك!

_ أنا صاحب هذه الصورة .. أنظر إلى الشامة التي في منتصف جبهتي هي نفسها التي في الصورة!

قارن الموظف بين الشامة التي بالصورة وبين التي تستقر في جبهة الرجل المتعرجة بفعل السنين، ثم قال في حيرة:

_ عفواً يا سيدي ولكن هذه الشامة لا تثبت شيئاً!

_ أقسم لك أنني صاحب الهوية بشحمه ولحمه، استطيع أن أحلف لك بكتاب الله!

_ أعذرني يا سيدي ولكنني مجرد موظف هنا ولا أملك القرار! ولكن دعني آخذك إلى مدير البنك فهو من يملك القرار!

_ هلمّ بنا إذن!

سار الرجل خلف موظف البنك إلى المدير الذي كان مشغولاً بالتحدث مع أحد ضيوفه، دخل عليه الموظف برفقة الرجل، وشرح له الوضع، تناول المدير الجواز وألقى نظرة عليه، ثم

قـال في بـرود :

_ هـذا الجـواز منتهي الصلاحيـة يجـب أن يتـم تجديـده!

فيرد الرجل:

_ لقـد أمضيـت سـبع سـنوات وأنـا استلم راتبي بهـذا الجـواز المنتهي دون أي مشـاكل، وقـد أخبرونـا أننـا لأول مـرة سنتسـلم رواتبنـا مـن البنـوك كخطـوة مـن شـأنها أن تسـهل علينـا مشـقة قطـع مسـافة بعيـدة في هـذا الحـرّ لاسـتلامه!

ثـم أتفاجـأ بأنـني منكـر لديكـم!

_ يا أخي هذا نظام لدينا!

_ والنظـام وُضِـعَ لتسـهيل حياتنـا لا تعقيدهـا!

_ وكي لا تتعقـد حياتـك أذهـب وجـدد جـوازك!

_ تجديـد الجـواز كلفتـه عاليـة ولا قِبـلَ لي بهـا! ثـم أني لسـت في حاجـة لتجديـده لأني لـم

أسـافر يومـاً ولا أعتقـد أن تتـاح لي فرصـة للسـفر سـوى إلى دار الآخـرة!

_ قم بتجديده لتتسلم راتبك!

يصرخ الرجل:

_ ليـس مـن شـأنكم أن تطلبـوا هـذا الطلـب! كل مـا يهمكـم هـو أن تتأكـدوا مـن أن الـذي يقـف أمامكـم هـو صاحـب الراتـب وأنـا صاحبـه!

_ ولكـن الصـورة الـتي في الجـواز لا تشـبهك !

يلمـح الرجـل زميـلاً لـه يسـتلم راتبـه، فيقبـل عليـه مسـتنجداً أن يشـهد لصالحـه ويخـبره بمـا حصـل معـه، فيـأتي الزميـل ويؤكـد لمديـر البنـك بـأن الرجـل هـو نفسـه صاحـب الجـواز وانـه زميلـه وقـد عمـلا معـاً مـدة عشريـن عامـاً، لكـن مديـر البنـك يـصر عـلى موقفـه، فيجـن جنـون الرجـل ويـصرخ شـاتماً، ينـادي المديـر حارسـا البنـك المسـلحين، ويطلـب منهمـا أن يطـردا الرجـل، يمسـك الحارسـان بالرجـل ويسـحباه بعنـف خارجـاً، يقاومهـم الرجـل وهـو يـصرخ ويسـب، ويدعـو عـلى كل مـن حرمـوه راتبـه، يغضـب الحارسـان ويضربـاه، لكنه ينبطـح أرضـاً ويتشـبث بهـا، فيسـحباه من قدميـه، يركلهمـا، فيشـهر أحدهما سـلاحه ويطلـق النـار عـلى رأس الرجـل فيصرعـه، تسـيل دمـاءه لتغطـي أرضيـة البنـك، يـصرخ مديـر البنـك:

_ ماذا فعلت أيها الأبله!

_ لم أقصد هو من استفزني!

_ عليكما أن تتخلصا من جثته وتنظفا الأرضيـة مـن دمه!

لكـن فجـأة تبخـر الـدم مـن أرضيـة البنـك كمـا يتبخـر المـاء، وتشـتعل الجثـة وسـط ذهـول الجميـع، ولـم يتبـقَ منهـا غـير كومـةِ رمـادٍ ورقيٍّ.

23/6/2022

المايسترو القحوم في مسار الارتقاء بالموسيقى اليمنية

عبدالرحمن احمد عبده
صحفي، وكاتب وناقد مسرحي

في لحظة من زمننا اليمني الصعب، أطلَّ علينا الفنان محمد القحوم، فاتحا ذراعيه لاحتضان الجميع في أجواء موسيقاه الباعثة على البهجة والسمو، واستطاع بابتسامته الآسرة أن يقودنا إلى رحاب الحلم والسلام والمحبة في زمن الدمار والإنكسار والتوحش.

مبدعون في المسار:

التَّنوَّع والثَّراء في الموسيقى اليمنية، يتيح لأي فنان مبدع أن يغترف منها الكثير، ليقدمه إلى كل العالم، بما يكفي ليبهر كل متلقٍّ عاشقٍ للفنِّ، بل يمكن لهذه الموسيقى أن تكون ينبوع متدفق للتزاوج مع موسيقى شعوب أخرى.

والفنان الموسيقار أحمد قاسم يُعدُّ أبرز الفنانين اليمنيين الذين وصلوا إلى التأليف الموسيقي الطويل المكتوب (الأوركسترالي)، الذي يضم مجموعة من العازفين، يمكن أن يصل إلى ما يقرب من مائة عازف لمختلف الآلآت الموسيقية بشتَّى أنواعها، فقد أنجز سيمفونيته، التي أسماها (سيمفونية اليمن)، أثناء دراسته العليا لنيل شهادة الدكتوراه في موسكو، غير إنَّها لم تقدم بعد.

وفي هذا السياق لا بُدَّ أن يُذكر الفنان أستاذ الموسيقى أحمد فتحي، العازف المتمكن على ألة العود، الذي وصلت موسيقاه إلى أكبر مسارح العالم، بعزف أكبر اوركسترا السيمفونيات العالمية، ومنها ما عُزف في قاعة (تشايكوفسكى) في موسكو مع اوركسترا موسكو السيمفونية، بقوامها الذي يتألف من أكثر من (120) عازفا وكورالا.

لحظة فارقة في مسار الموسيقى اليمنية:

كان لا بُدَّ من هذه المقدمة، للحديث عن المايسترو والمؤلف الموسيقي اليمني محمد القحوم، الذي قدم عملا موسيقيا ملفتا، في 10 مارس 2022م، مثّل لحظة فارقة في مسار

الموسيقى اليمنية، بظهوره المميز على مسرح دار الاوبرا المصرية، وقيادته لعمل سيمفوني حمل عنوان (نغم يمني على ضفاف النيل)، تضمن عزف (9) مقطوعات موسيقية مستوحاة من التراث اليمني والمصري، شارك فيه أكثر من (120) عازفاً موسيقياً أوركسترالياً وموسيقياً تراثياً بمشاركة أوركسترا أوبرا القاهرة.

هذا العمل الاستثنائي المميز أقامته (مؤسسة حضرموت للثقافة) بالتعاون مع وزارة الثقافة والإعلام والسياحة اليمنية ووزارة الثقافة المصرية ودار الأوبرا المصرية. وتقول المؤسسة إن "هذا المشروع الموسيقي يعبّر عن أهمية الأغنية اليمنية في التراث الفني العربي والعالمي لكثرة ألوانها الفنّية وتعدد ألحانها ونغماتها، حيثُ استخدمت بعضُ الآلات الموسيقية التقليدية في اليمن مثل السمسمية والقمبوس وغيرها لتضفي روح اليمن وهويتها وذاكرتها ونبضُ تاريخها الفنّي باذخ الجمال على الموسيقى العصرية ذات الأبعاد المتعددة".

لم يمثل العمل لحظة موسيقية متقدمة، فحسب، بل لحظة وطنية يمنية، حلَّت في زمن بائس، لتوقد الفرحة والشعور بالتميز، في وقت تخيَّم على اليمنيين تداعيات الحرب والكارثة الإنسانية التي ألمَّت باليمن، حيث شعرنا بزهو اللحظة، التي رفعت اعناقنا عالية.

زاوجت المقطوعات الموسيقية بين التراث الاصيل والحداثة، التي تفتح طريق اليمن لمخاطبة العرب والعالم بلغة الموسيقى، بفضل مايسترو وعازفين بارعين واصوات مميزة، كما جاءت المزاوجة بين التراث الموسيقي اليمني والمصري في ابهى صورة، مما يدلُّ على إن هناك إمكانية لمزيد من الاعمال الموسيقية المشتركة، فتراث البلدين زاخر بالكثير.

يتبنى الفنان المؤلف والموزع الموسيقي، المايسترو محمد القحوم، مشروع (السيمفونيات التراثية)، ويتولى تأليف المقطوعات وقيادة الفرقة الموسيقية. وقدم أول حفل في العام 2019م بالعاصمة الماليزية كوالالمبور، الذي ضم (٩٠) عازفا من الصين والهند وماليزيا واليابان وأوزبكستان، بالإضافة إلى عازفي الآلات التراثية اليمنية. ونالَ الحفل رواجاً كبيراً في الوسط الإعلامي العربي، وحصدت المقطوعات التي قُدمت ملايين المشاهدات عبر شاشة التلفاز واليوتيوب، وقد أشاد بها كثير من النقاد الموسيقيين.

المهندس المدني الذي نزح إلى الموسيقى

من خلال تتبع مسيرة الفنان القحوم القصيرة، يتضح جليا انه صاحب مشروع جاد ومنظم ويسير بخطى حثيثة وواثقة ويرتقي بمشروعه نحو هدفه بدون كلل، وهذا ليس بغريب عليه، إذا ما علمنا إنه حاصل على شهادة (البكلاريوس) في الهندسة المدنية من جامعة حضرموت، شرق اليمن، لهذا نراه يشيد بنيانه الفني بابداع ملفت.

كتب القحوم على صفحته في (الفيس بوك) يوم 27 يونيو 2022م: "مثلي مثل كل شباب وطني، ساقتنا الأقدار فكان خريف وطننا في ربيع أعمارنا، مثلي كمثل كل شاب يحلم أن يقدم شيء لبلده وأن ينقل صورة جميلة عنها ويحلم أن يكون بلده بخير وبسعادة وسلام. ما في أي شيء يجي بالسهل مش كذا وبس تحس نفسك تبذل جهد وطاقة في كل كبيرة وصغيرة، وتجد أمامك في كل تفصيلة صغيرة عشرات العوائق. لا تصدقوا أن شيء يأتي بالسهل في بلدي وفي ظل هذه الأوضاع بالعكس أنتم لا تدركوا مدى التضحيات التي تُبذل والطاقات والهمِّ وغيرها من المنغصات التي يبذلها الواحد من شباب بلدي حتى ينتج أو يقدم شيء أو ليستمر في طموحه فقط أو حتى يستمر في عيش بسلام".

الّف القحوم العديد من الأعمال والمشاريع الموسيقية المعروضة في مجموعة من القنوات الفضائية والإذاعية. كما نشر أعماله الموسيقية والفنية عبر قناته على اليوتيوب.

ومن أهم الأعمال التي قدمها صناعة الهويات الموسيقية والموسيقى التصويرية للأفلام والمسلسلات التلفزيونية والإعلانات والبرامج التلفزيونية، إضافة إلى تعاونه الفني مع مجموعة من المطربين والفنانين.

فن راق محل تقدير

بكل تواضع يُعبِّرُ الفنان القحوم عن اعتزازه بآراء كبار الموسيقيين العرب، بعد أن شاهدوا عمله في القاهرة، فيقول عن البروفسور الموسيقي عصام الملاح، مستشار مجلس الإدارة للبرامج والفعاليات بدار الأوبرا السلطانية العُمانية: "اشعر إنني محظوظ أن سخر الله لي شخصية عظيمة وثقيلة في المجال الموسيقي بحجم البروفسور عصام الملاح ليكون أحد المؤمنين بي وبمشروعي ومستشاراً وناصحاً اميناً في مسيرتي المهنية، التي لازلت في بداية بدايتها".

ويضيف: "سعدت كثيرا بالكلام العلمي الجميل الذي قاله عن المقطوعات وعن قوة تنفيذها موسيقياً

والتجانس الموسيقي الموفق إلى حد كبير، حسب تعبيره، بين القالب الاوركسترالي والتراثي، الذي يعتبر مهمة صعبة جدا، والاحترافية في تنفيذ المشروع، وهذه شهادة نعتز بها كثيرا، وأيضا سعدت بكلامه حول قيادتي الموسيقية للاوركسترا وللفرقة وإنه ما كان يتوقع إن مهاراتي في القيادة تطورت لهذا المستوى وهذه شهادة أخرى اعتز بها أيضا".

ووصف رئيس دار الأوبرا المصرية، الدكتور مجدي صابر، حفلَ (نغم يمني على ضفاف النيل) بأنه "رائع وعبقري"، وكيف إنه أبرز وجود الموهوبين في اليمن والوطن العربي، والقادرين على تقديم سيمفونيات لا تقل عن تلك التي يقدمها الأوروبيون. وأضاف: "إن هذا المجهود سوف يضيف المزيد إلى الموسيقى الشرقية؛ إضافة سيمفونية عربية يمنية".

وكتب د/عمر عبدالعزيز: " كعادته ينفحنا الفنان الشاب الصاعد محمد القحوم بالجديد المنعش، بل إنه يتخطى الزمن الموسيقي العربي من خلال منظوماته (البوليفونية) المعانقة لفضاء الأداء الاوركسترالي الباذخ، وكأنه يشير من طَرْفٍ خفيٍّ لمثابة الموشحات الأندلسية التاريخية التي أسست للتدوين الاوركسترالي العالمي، بل تساوقت مع أنساق الكورال الكنسي والغناء الرعوي في شبه الجزيرة الأيبيرية وضواحيها الممتدة في الجغرافيا الثقافية الانسانية".

لا أبالغ اذا قلت إن الملحن والموزع الفنان محمد القحوم يفيض بمعارف موسيقية مقرونة بذائقة لماحة، وهو الامر الذي تجلَّى بصورة أكثر نصوعا في الحفل الفني الكبير بالاوبيرا المصرية بعنوان (السيمفونيات التراثية)، والتي بدت لي تسمية مناسبة للمقطوعات الفنية المقدمة، لكنها في ذات الوقت مثلت تحديا حقيقيا أمام الفنان، لأن مزاوجة العناصر (البوليفونية) المركبة بالالات الشعبية المتنوعة تصطدم عادة بالمسافة الفارقة بين المستويين، ومن هنا كان على المؤلف مغالبة تلك الحقيقة، وصولا إلى انتزاع مشروعية حضور التراث في المعاصرة، بل تمكين التراث من منح مفردات تخصيب وغنى للموسيقى العصرية المفاهيمية متعددة الأصوات".

يكرر القحوم في أحاديثه دائما: "لديّ هم إبراز الفن التراثي المحلي بشكل يفهمه كل العالم، ونقل صورة طيبة عن بلدي من خلال مجالي، هذا البرنامج أو المشروع (المقطوعات الأوركسترالية التراثية) هو بالنسبة لي مشروع طويل الأمد، بدايته كانت في ماليزيا 2019م".

المخا

مدينة القهوة الأولى يطوف اسمها العالم

بينما تتوارى في رمال النسيان

إعداد وتصوير/
علي جعبور

على مقربة من أحجار الميناء القديم المتناثرة استوقفني مُسِنٌّ من ابناء المخا، ظللت لبرهة أتأمله بينما يرقب مغيب الشمس كأنَّما يودع زمن مدينته الماضي.

حين سألته عمَّا يتذكره من حكايات وتاريخ المدينة القديمة اختصر كل شيء أود معرفته؛ وقال لي مثلا قديما ما زال يحفظه ثم غادر، يقول المثل: "إذا جيبك رخاء عليك بالمخا" أي في حالة كان الرخاء المادي حليفك فإن المخا هي المكان الأنسب لتقضي فيه وقتا ممتعا، وهذا يلخص لنا صورة حضارية للمدينة التي ازدهرت في فترة معينة من التاريخ وازدحمت بالقصور الفخمة والمباني الجميلة التي لم يعد منها الآن سوى أطلال وخرائب تحكي بشجنٍ ماضٍ عريق كان هنا واندثر بفعل عوامل عديدةٍ منها ما هو طبيعي كالكوارث ومنها ما هو انساني كالحروب.

■ جامع الشاذلي

■ صيادون يدفعون قارب صيد - شاطئ العمودي

الموقع والتاريخ:

تقع مدينة المخا التاريخية على بعد (98) كم إلى الغرب من مدينة تعز و (75) كم إلى الشمال من باب المندب. وهي أحد الموانئ اليمنية على البحر الأحمر ومركز لمديرية المخا التابعة لمحافظة تعز.

أمَّا تاريخها فيعتقد بعض الباحثين في العصر الحديث أن مدينة المخا بُنيتْ في العصر الإسلامي، غير إن بعض المصادر التاريخية والنقوش المكتوبة بالخط المسند تُشير إلى أن المخا من المدن اليمنية القديمة التي شيدت واشتهرت في عصور ما قبل الإسلام، حيث كانت من الموانئ والأسواق اليمنية القديمة التي أشير اليها باسم (مخن)، وذكرت في النقش المسندي المنسوب للملك الحميري (يوسف أسار) خلال حملاته على الأحباش المسيحيين في ظفار والمخا وركاب والأشاعر ووادي رماع.

ويرجع أقدم ذكر ووصف لمدينة المخا في المصادر الكلاسيكية إلى بداية النصف الثاني من القرن الأول الميلادي (سنة 75م تقريباً) في كتاب الطواف حول البحر الإريتري لمؤلف يوناني مجهول قدم فيه وصفاً دقيقاً لمدينة المخا، التي كانت كما يَذكر سوقاً هاماً تصل إليه البضائع من بلدان مختلفة بكميات هائلة منها أنواع عديدة من

الأقمشة الأرجوانية الناعمة والخشنة وأنواع مختلفة من الملابس الملونة، وزخرت متاجر مدينة المخا بالأزياء التقليدية اليمنية التي صنعت محلياً في المخا وفي غيرها من المناطق اليمنية.

ويذكر إنه وجد المخا مزدحما بالمراكب والبحارة والتجار وإن الناس في شغل شاغل بالتجارة وهي مدينة اسواق أُقيمتْ على أساس من القانون وأهلها يحكمون بعض السواحل الافريقية باسم أمير المعافر في عهد الملك الحميري (كرب إل) المقيم في ظفار.

أمَّا في العصور الإسلامية فيذكر الباحث والمؤرخ المخاوي (عادل حسين) في ورقة بحثية له أن دولة بني نجاح التي تأسست في(402) هجرية استخدمت المخا واسطة لنقل القوات الحربية من الجيش الحبشي إلى سواحل اليمن وزبيد حيث دارت حروب عديدة بين بني نجاح والملوك الصليحين في القرن الخامس الهجري.

وفي القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي تصدت المخا لعدة حملات عسكرية أهمها حملات البرتغاليين التي انتشرت على سواحل اليمن طمعا في السيطرة على منطقة البحر الاحمر لأهميتها عسكريا وتجاريا.

وفي أواخر عام 1538م احتلت تركيا المخا وظلت المدينة مركزا عسكريا

■ الحلواني عايش خضيري

للأتـراك يشـنون منـه غاراتهـم عـلى مختلـف مناطـق اليمـن.

مدينة المَخا القديمة:

تُعـدَّ مدينـة المَخـا القديمـة واحـدة من المـدن التاريخيـة الهامـة، وكانـت تحتـوى عـلى العديـد مـن المواقـع الأثريـة حيـث أتى عـلى ذكرهـا الرحالـة (نيبـور) في يومياتـه الـتي سـجلها عنـد زيارتـه للمدينـة مـا بـين عامـي (1762 - 1763 ميلاديـة) بقولـه : (إن المَخـا مدينـة مأهولـة بالسـكان ومسـورة، بالإضافـة إلى السـور توجد أبراج للحراسـة عـلى طريـق مَـوْزع منتـشرة بـين المدينـة وبـير البليـلي، وعـلى البحـر تطـل قلعتـان مزودتـان بمدافـع، وهمـا قلعـة طيـار، وقلعـة (عبـد الـرب بـن الشـيخ الشـاذلي)، وبعـض البيـوت داخـل سـور المدينـة مبنيـة بالحجـارة بطريقـة جميلـة مشـابهة لطريقـة بنـاء بيـوت بـير العـزب في العاصمـة صنعـاء، أمَّـا أكـثر البيـوت سـواءً داخـل السـور أو خارجـه فأنهـا عبـارة عـن أكـواخ مخروطيـة مـن العشـش المبنيـة بالقـش، وفي خـارج المدينـة تنتشر أشـجار النخيـل بكـثرة وبـين هذه الأشـجار توجـد حدائـق جميلـة وكان سـور المدينـة يضـم خمسـة أبـواب هـي:

-1 بـاب العمـودي، -2 بـاب الشـاذلي، -3 بـاب فجـير، -4 بـاب صنـدل، 5 - بـاب السـاحل

وقـد ضمـن (نيبـور) في يومياتـه المنشـورة رسـماً توضيحيـاً للأبـواب الأنفـة الذكـر وفقـاً للتسلسـل الرقمـي السـابق، إضافـة إلى بعـض المواقـع الهامـة وفقـاً للتسلسـل التـالي:

-6 قـصر عامـل مدينـة المَخـا 7 - المقبرة الـتي يقـبر فيهـا الأوربيـون 8 - أبـراج عـلى الطريـق المتجهـة إلى مينـاء مَـوْزع 9 - الطريـق إلى بيـت الفقيـه.

ويذكـر (نيبـور) إن مـن بـين سـكَّان المخـا هنـاك حـوالي (سـبعمائة هنـدي) ومجموعـة مـن اليهـود منعزلـين خـارج المدينـة.

الميناء القديم:

يقـع عـلى السـاحل الغـربي مـن مدينـة المَخـا، ولـم يتبـقَ مـن معالمـه سـوى بقايـا أساسـات مـن الحجـارة مطمـورة بالرمـل، وتمتـد عـلى مسـافة حـوالي (30 - 50 متـراً) إلى البحـر، ويسـتدل مـن تلـك الأساسـات وجـود آثـار مبـنى لمسـجد وأحجـار دائريـة الشـكل كانـت تسـتخدم لطحـن الحبـوب، أمَّـا فنـاء الميناء الـذي تصـل مسـاحته حـوالي (40 × 12 مـتراً)، بُـني عـلى أسـاس خرسـاني، ويوجـد في قمتـه صحـن دائـري مـن معـدن النحـاس يرتبـط بسـلم حديـد إلى أسـفل، وموقـع الميناء بصـورة عامـة يعـاني مـن الإهمـال فهـو يـزداد سـوءاً نتيجـة للعوامـل البيئيـة

والرطوبة العالية التي تؤدي إلى زيادة مظاهر الصدأ والتآكل الذي ينخره يوماً بعد يوم .

جامع الشيخ الشاذلي:

يُعدُّ من أهم المعالم الأثرية في مدينة المَخا، وينسب إلى الشيخ أبو الحسن (علي بن عمر بن إبراهيم بن أبي بكر بن محمد دعسين القرشي الصوفي الشاذلي) وهو أحد مشائخ الطريقة الشاذلية في اليمن خلال القرنين (الثامن والتاسع من الهجرة)، وقد ترجم له المؤرخ " الشرجي " في كتابه " طبقات الخواص " ص 233 بقوله : (وقد كان له مكارم وفضائل يُعيْنُ الفقراء والوافدين بماله وجاهه، وكان له زاوية يشتغل بالعلم ويتوافد إليه طلابه وأصحابه توفي عام (821 هجرية)، قبره في مدينة المَخا مقصود للزيارة) وفي عام (1399 هجرية) تم إعادة ترميمه وتوسيعه مع رفع الأسقف بواسطة أعمدة خشبية، ويحتوي المسجد على عدد تسعة قباب متراصة على هيئة ثلاثة صفوف، ولم يبقَ من المعالم الأثرية للمسجد سوى بعض الزخارف النباتية والهندسية بطريقة الحفر البارز على السقف الخشبي في بيت الصلاة، وكذلك بقايا المأذنة في الناحية الجنوبية الغربية من المسجد ويلاصق المسجد في الناحية الجنوبية "ضريح الشيخ الشاذلي" وهو عبارة عن بناء مربع الشكل من الحجارة والطوب المحروق وتغطي السقف قبة ذات (مقرنصات) ترتكز على حنايا ركنية مصمتة وتضم القبة إلى جانب قبر " الشاذلي " عدداً من القبور ترتفع عن مستوى الأرض بمقدار(80 سم) على هيئة مصاطب مبنية بالحجارة والقضاض.

ازدهار المخا:

ازدهرت مدينة المخا وأصبحت من المدن اليمنية الهامة في العصر الإسلامي، ففي القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي كانت مدينة المخا من المدن التي تتبع زبيد، وكانت مدينة عامرة بالسكان مشهورة بصناعة (السليط) الزيوت النباتية، وتطورت تطوراً عمرانياً كبيراً بين القرنين العاشر والثاني عشر الهجريين/السادس عشر والثامن عشر الميلاديين بفضل تجارة وتصدير البُن منها حتى صارت من أشهر الموانئ في العالم ومن أهم المراكز التجارية الواقعة على البحر الأحمر، ونظراً للجودة العالية التي تميز بها البُن اليمني الذي كان يصدر

من المخا فقد عُرف ومازال يعرف باسمها (موكا) في كل بلدان العالم حتى اليوم.

زار مدينة وميناء المخا (فان دن بروكه) في صيف 1616م، وهو أحد رؤساء البعثات التجارية الهولندية، ذكر أن ميناء المخا يعتبر أشهر المراكز التجارية على البحر الأحمر كما إنه ميناء كبير المساحة مفتوح من جميع الجوانب غير محاط بسور.

يتميز هذا الميناء التاريخي الهام بجمال عمائره السكنية وهي عبارة عن عشرات البيوت الجميلة التي بنيت من الحجر المشذب الأزرق والأبيض، كانت معظم المنازل في مدينة المخا مبنية من الآجر الأحمر وباقي البيوت بنيت من القصب والطين وسقوفها من الأخشاب تغطيها طبقة من الطين، ويوجد في المدينة مسجدان وقلعة بنيت من الحجر الأزرق المنحوت شيدت شمال المدينة من جهة البحر بهدف حماية مرسى السفن، وكانت قلعة المخا مزودة بمدافع معدنية ذات قنابل حديدية.

ويشير هذا الوصف إلى تحسُّن أحوال المدينة منذ بداية السيطرة العثمانية عليها، وقد تطورت المدينة وازدهرت منذ بداية القرن السادس عشر الميلادي وبداية عمليات تصدير البُن من هذا الميناء الذي أصبح فيما بعد من أشهر الموانئ في العالم.

موكا كافيه:

اكتسب ميناء المخا شهرته العالمية التي نسبت اليه أفخر وأجود أنواع القهوة المعروفة بقهوة المخا (موكا كافيه) إذ يُعدُّ أول ميناء شَحَنتْ عبره السفن التجارية التي كانت تصدر البُن إلى أوروبا وباقي انحاء العالم، وتعتبر اليمن من أوائل الدول التي زرعت البُن وصدَّرته إلى العالم، ويُذكر إن البرتغاليين الذين غزوا الساحل الغربي لليمن كانوا هم أول من تذوق القهوة اليمنية من الأوروبيين عندما استضافهم شيخ المخا وقدم لهم مشروب أسود ينعش الجسم ويريح البال، وقد كانت أول صفقة تجارية للبُن اليمني في المخا التي اشتراها الهولنديين في عام 1628م واستمروا في استيراده إلى مراكزهم التجارية في شمال غربي الهند و بلاد فارس ومن ثم إلى هولندا التي بدأت تبيع البُن اليمني لأول مرة في عام 1661م.

نجحت وازدهرت تجارة البُن عالميا بعد اكتشاف جودته العالية وازدادت قوة المنافسة عليه من قبل الشركات

الهولندية والفرنسية والبريطانية في القرنين السابع والثامن عشر، بعد أن قام الهولنديون بإنشاء معمل للبُن لهم في مدينة المخا في عام 1708 م، ثم أنشَاءَ الفرنسيون معملا آخر في مدينة المخا، لذلك شهد ميناء المخا خلال تلك الفترة نشاطا اقتصاديا بفعل الحركة التجارية بينه وبين الهند ومصر والجزيرة العربية مثل السويس وبور سودان واسطنبول واوديسا في روسيا.

أطلال شاهدة على تاريخ عريق:

تبرز منارة جامع الإمام الشاذلي كأبرز معالم مدينة المخا، تقف المنارة وحيدة كمحارب أخير يأبى الهزيمة وحولها من كل الاتجاهات يظهر ركام المدينة القديمة التي توالت عليها حملات المستعمرين، منذ أن ذاع صيتها وعلت شهرتها في القرن السابع عشر الميلادي.

اختفت أغلب معالم المدينة القديمة مع سورها وظل جامع الشاذلي صامدا وتحول إلى مزار مهجور يوشك على التداعي فقد كُتبتْ له النجاة من مدافع البرتغاليين والبريطانيين والعثمانيين والإيطاليين، إلا إنه وقع فريسة الإهمال.

وبالقرب من جامع الشاذلي، ما تزال بقايا لخرائب قصور عامرة ذات زخارف بديعة توحي برفاهية الحياة التي عاشها سكان المخا في زمن مضى واندثرت آثاره بفعل مدفعية الغزاة والكوارث الطبيعية، إذ يروي السكان المحليين أن المدينة تعرضت إلى جانب الحروب، لزلزال مدمر في عام 1686، فيما اجتاحتها في عام 1942 سيول جارفة أتت على ما تبقى من قلاعها وسورها العظيم الذي يشبه سور مدينة زبيد كما تبين الصور التي التقطها المستشرقون مطلع القرن العشرين. وتحكي بقايا أحجار الميناء القديم في المدينة المطمورة بطمي الشاطئ، قصة أول شحنة قهوة صدرت للعالم وكيف أصبحت (موكا) ماركة عالمية شهيرة فيما توارت صاحبة الاسم في رمال النسيان.

لغز الصمت:

في المخا لن يحدثك الناس كثيرا، لربما تعلم أهلها الصمت والحذر أمام الغرباء لكثرة الغزاة الذين مروا بهم، لكن أجحار المدينة وركامها وآجرها و(برسلانها) وميناؤها وبقايا قصورها وكل شيء فيها سيحدثك لا محالة عن تاريخ مجيد كان هنا يوما.

فقد سبق لها إن كانت أحد أشهر موانئ العالم عندما ذاع صيتها وعلت شهرتها كمصدر لأجود أنواع القهوة في القرن السابع عشر الميلادي، ثم تتالت عليها الحروب والغزوات والكوارث الطبيعية حتى غيرت وجهها تماما ومحت الكثير مما كانت تفخر به وهجرها جم غفير من أهلها.

مدينة القهوة الأولى .. بلا قهوة:

في بداية سبتمبر من العام 2018 كنت مرافقا للمصور الصحفي الامريكي من وكالة(Gettyimages) (اندرو رنيسن) وعند وصولنا إلى مدينة المخا كان أول ما فكربه كوب قهوة من مصدر البُن الأول، بحثنا في طول المدينة وعرضها، وجدنا (المقاهي) تبيع الشاي العادي والعدني وأشياء أخرى ليس من بينها القهوة، ورغم صغر المدينة لم نكتفِ ببحثنا وسألنا الأهالي، لربما تبقى مقهى لا نعرف مكانه لكنهم أجابوا بالنفي فعدنا إلى الفندق بخيبة أمل ودهشة من المفارقة العجيبة التي مثلت صدمة للزائر الغريب عن المدينة، وكذلك الصحفية المصرية (أسماء وجيه) التي زارت المخا في نفس العام وحال عودتها كتبت مقالا لموقع (ديلي بست) الأمريكي تطرقت فيه إلى مسألة انعدام القهوة في مدينة القهوة.

وفي حديثه للناصية يشير الصحفي (إسماعيل قاضي)، وهو أحد أبناء مدينة المخا، إلى أن تحول الناس لا شعوريا عن عادات وتقاليد كانت تُعدُّ طقوسا مقدسة لهذا المجتمع، ولكنها مع مرور الزمن تجف وتشيخ ولا تحظى بالأهمية التي كانت عليها، وهكذا هي القهوة في المخا.

ويضيف: كانت مرتبطة بالنهضة والعمران والتصدير والزراعة وعندما خَفَتَ صِيتُ المخا قل اهتمام الناس بها.

لكن مع مرور الزمن، وبفعل ما آلت اليه أوضاع المدينة اليوم، نجد أن القهوة قد اختفى بريقها أو كادت تنسى حتى في المقاهي العامة، واستبدالها بالشاي ساعد أكثر في انعدامها.

ومع ذلك يبقى الأمل بعودتها وعودة البُن والقهوة تصديرا وشربا قائما، لا سيما ما تشهده المخا من ازدهار وبنى تحتية كبيرة.

ذاكرة المدينة:

أمضى الحلواني (عايش خضيري) سبعة عقود من عمره يعمل بلا ملل

في (المحلايـة) معمـل صناعـة الحلـوى (المخاويـة) الـذي التحـق بـه عندمـا كان شـابا في العشريـن ولـم يغـادره حـتى الآن رغـم تقدمـه في العمـر وضعـف سـمعه وبـصره، لكنـه مـا زال يحظـى بذاكـرة صلبـة تحفـظ أحداثـا كثـيرة مـرت بمدينتـه حيـث يصـف مظاهـر الحيـاة فيهـا سـابقاً وكيـف تميـزت بأسـلوب معمـاري خـاص بهـا ورفاهيـة العيـش وتعـدد الأعـراق الذيـن سـكنوها أو أقامـوا فيهـا لوقـت محـدود، مـن الهنـود والأتـراك والأفارقـة الذيـن لا تـزال بقايـا قصورهـم ماثلـةً حتى اليـوم، وبعضهـا تحـوّل إلى ركام ينتظـر مـن يرممـه ويعيـد لـه مجـده المـاضي.

ويتحسر عايـش عـلى المـآل الـذي لحق بقصـور ومبـاني المخـا الأثريـة ومـا نالهـا مـن خـراب بفعـل الحـروب المتعاقبـة والإهمـال الحكومـي.

ويشـير إلى إن الطـراز المعمـاري الخاص بالمخـا، بالإضافـة إلى شـهرتها كأول ميناء يصـدر القهـوة للعالـم، كان يجـذب قوافـل السـياح الذيـن كانـوا يأتـون إليـه لتنـاول الحلـوى والتقـاط الصـور عـلى مـدى أعـوام كثـيرة.

سِرُّ البَقاءِ:

صناعـة الحلـوى (المخاويـة) واحـدة مـن الحـرف التقليديـة الباقيـة في المدينـة الـتي مـا زالـت تقـاوم للحفـاظ عـلى مكانتهـا وطريقـة تحضيرهـا المتوارثـة الـتي تؤهلهـا لتكـون ماركـة خاصـة بالمخـا (مـوكا سـويت) عـلى غـرار (مـوكا كـوفي)؛ وتتكـون الحلـوى (المخاويـة) مـن اللـوز أو (حـب العزيـز) بشـكل أسـاسي، إذ يتـم طحنـه وعجنـه بزيـت السمسـم، ويضيـف كل حلـواني نكهاتـه الخاصـة وخلطاتـه المبتكرة (سر المهنـة) الـتي تميـزه عـن غـيره.

■ أطفال عائدون من المدرسة

17 BRIEF
27.04.2020

دور الشباب في بناء السلام في اليمن (1)

ماجد الخليدي، يزيد الجداوي، كايت نيفينز

ملخص

يوجد في اليمن ما يقارب 30 مليون نسمة يعانون من أزمات كثيرة بما في ذلك الصراع المسلح، والاقتصاد المنهار، والمجاعة التي تلوح في الأفق، والنزوح، وفقدان مصادر الدخل، وانهيار الخدمات العامة، عقب خمس سنوات من الحرب الأهلية المدمرة. غير أن هذه الظروف المزرية التي تعصف بالبلد لم تقف عائقاً أمام الشباب في أن يسهموا في استعادة وبناء السلام في بلد مزقته الحرب؛ فالشباب يؤدون دوراً حيوياً وإيجابياً في قطاعات مختلفة. ولا ينحصر دورهم في التعبير عن طموحات الناس وآمالهم في أنْ يعيشوا في بلد آمن ومستقر، بل يتخطى ذلك إلى بناء أرضية صلبة وأساس متين لسلام دائم.

وبالرغم من الإمكانية الكبيرة التي تتوفر لدى الشباب في إحداث التغيير على المستوى المحلي، فغالباً ما يتم تجاهل ذلك في خطاب الفاعلين الدوليين بخصوص عمليات السلام والصراع المسلح التي تحدث في المستوى الوطني المحلي.* ونحنُ في هذا الموجز نسلط الضوء على نشاط الشباب خلال فترة ما قبل الحرب وأثناءها، ونحاول الكشف عن التحديات التي يواجهونها في الوقت الراهن، وكذلك رؤاهم وتصوراتهم بخصوص مستقبل اليمن، والدعم الذي يحتاجونه. إنَّ إسهامات الشباب والشابات في الاقتصاد والسياسة والمجتمع والثقافة والتعليم والأمن والعدالة والبيئة تظهر لنا كيفية اضطلاعهم بوضع الأسس اللازمة للسلام والتلاحم الاجتماعي في مجتمعاتهم المحلية.

* انظر
Kate Nevens, Marwa Baabbad and Jatinder Padda (December 2019): *"The Situation Needs Us to Be Active": Youth Contributions to Peacebuilding in Yemen*, Saferworld. Available at *https://www.saferworld.org.uk/resources/publications/1241-athe-situation-needs-us-to-be-activea-youth-contributions-to-peacebuilding-in-yemen* (21.01.2020).

المقدمة

تركز هذه الورقة على إسهامات الشباب في اليمن في ستة مجالات أساسية لدعم السلام المستدام، وهي: الاقتصاد، والمجتمع، والثقافة، والسياسة، والتعليم، والأمن والعدالة، والبيئة. يعد هذا الموجز جزءا من مشروع "التعاون البحثي في مجال بناء السلام في اليمن"، وهو مشروع أوسع يشجع التعاون البحثي اليمني/ الدولي حول متطلبات السلام في اليمن، وينفّذه مركز الدراسات التطبيقية بالشراكة مع الشرق (CARPO) نيابة عن الوكالة الألمانية للتعاون الدولي

(GIZ)، وبتفويض من الوزارة الاتحادية الألمانية للتعاون الاقتصادي والتنمية (BMZ).[1]

يواجه الناشطون الشباب[2] تحديات كبيرة لا يبدو، في المنظور القريب، أن تخطيها في حيز الممكن؛ وذلك بدءاً باقتصاد فاشل، ومروراً بانعدام فرص التعليم، ووصولاً إلى التهديدات الأمنية المباشرة وإلى القيود التي تفرض على تحركاتهم وحرية التعبير لديهم. وعلى الرغم من هذا، فقد سعى الكثير من الشباب في أنحاء مختلفة من البلد إلى إيجاد طرق للإسهام بشكل إيجابي، وبالأخص على المستوى الاجتماعي وإيجاد طرق وفضاءات جديدة للعمل.[3]

لقد أجبرت قيود السفر النشاطين الشباب على التحول نحو المستوى المحلي والاجتماعي، كما حوّل الوضع الأمني تركيز الشباب نحو دعم القضايا الإنسانية والصحية والبيئية والاجتماعية بعيداً عن العمل السياسي.[4] وفي ظل شحة المشاريع التنموية الدولية تعمل المبادرات الشبابية على توفير الخدمات العامة التي انهارت، ويتنوع العمل الذي ينخرط فيه الشباب من محافظة إلى أخرى بصورة ملفتة، متأثراً بمستوى العنف المباشر في المنطقة وبتوجهات وسلوكيات سلطات الأمر الواقع ومقدار الدعم الذي يتلقونه من المجتمع الدولي.

ويرى الشباب والشابات في المناطق الريفية والحضرية أن بإمكانهم بناء السلام من خلال ستة مجالات محددة: الاقتصاد، والسياسية، والمجتمع والثقافة، والأمن والعدالة، والتعليم، والبيئة. ويؤمن الكثير من الشباب أن إسهاماتهم الصغيرة على المستوى المحلي تعد ذات أهمية بالغة في حد ذاتها كونهم يسهمون في بناء العلاقات والتماسك الاجتماعي في مجتمعاتهم المحلية. وهم بذلك يضعون المرتكزات اللازمة لبناء سلام مستدام على المدى البعيد، ويخفضون من وتيرة العنف من خلال توفير فرص إنتاجية للشباب والشابات بعيداً عن العنف.

النشاط الشبابي قبل وأثناء الحرب

قبل العام 2011م كان القليل من الشباب يشعرون بالقدرة على مواجهة نظام القمع للرئيس السابق علي عبدالله صالح بعيداً عن المعارضة السياسية الرسمية والتحالفات فقد كان النشاط الشبابي وبشكل أساسي مقتصراً على أنشطة اجتماعية وثقافية لم ترقَ إلى الوصول إلى أنشطة سياسية وأمنية واقتصادية. ومع ذلك، فحينما أخذت الانتفاضات الشعبية في الانتشار في بعض بلدان الشرق الأوسط وشمال أفريقيا مطلع العام 2011 سرعان ما بدأ الشباب اليمني

1 للاطلاع على مناقشة أشمل للمجالات الستة وأهميتها لبناء السلام المستدام في اليمن، انظر تقرير CARPO 06: فهم متطلبات السلام في اليمن: احتياجات وأدوار المجتمع المدني والمرأة والشباب والإعلام والقطاع الخاص، و الذي حددت فيه مارايكه ترانسفيلد وماري كريستين هاينزه الإطار المفاهيمي لهذه الورقة. التقرير، الذي نُشر في مارس 2019، متاح على https://carpo-bonn.org/wp-content/uploads/2019/05/carpo_policy_report_06_2019.pdf (22.10.2019).

2 مصطلح 'شباب' في هذه الورقة ليس مقتصرا على التعريف الشائع للأشخاص الذين تتراوح أعمارهم من 18 إلى 35 سنة ولكنه يشمل أيضاً أولئك اليافعين بوجه التحديد (الذين قد تقل أعمارهم عن 18عاما) الذين يعرفون على نطاق واسع بوصفهم جزءا من 'حركة الشباب' اليمنية والذين لعبوا أدواراً ايجابية في مجتمعاتهم مسبقاً.

3 ورقة البحث مرتكزة على بيانات نوعية تم جمعها من خلال 8 مجموعات نقاش بؤرية في حضرموت وإب (في مواقع ريفية وحضرية، ومجموعات نقاش بؤرية للشباب منفصلة عن الشابات) وأيضا من خلال مجموعتين من الشباب من المتخصصين في بناء السلام في تعز ، علاوة على مقابلات إضافية في صنعاء وعدن وحضرموت وشبوه ولحج وتعز.

4 انظر
Youth Without Borders Organization for Development (May 2017): *Youth Political Participation in Taiz: Challenges and Opportunities.* Available at http://ywbod.org/english/images/doc/pub12.pdf (21.01.2020).

بالتركيز على السياسية. إن حالة الاقصاء السياسي والاقتصادي قد دفعت الشباب إلى الخروج إلى الشارع للقيام باحتجاجات سلمية مطالبة بتغيير النظام السياسي، وتغيير الحكومة، وإزاحة الرئيس الذي ظل 33 عاماً يتربع هرم السلطة.[5] وخلقت هذه الثورة الشبابية التاريخية صورة عن الشباب بوصفهم محركا للتغيير الديمقراطي. وهرع جميع اللاعبين السياسيين بما فيهم الأحزاب السياسية العتيدة لاستخدام الشباب كرافعة في المشهد السياسي. كما عمد اللاعبون الدوليون والمنظمات الدولية على حد سواء إلى تصميم برامج كبيرة تركز على الشباب وتهدف إلى زيادة المشاركة الشبابية محلياً ودولياً.

وتفاوضت النخب السياسية التقليدية في اليمن حول الصيغة النهائية لمبادرة مجلس التعاون الخليجي التي كان من شأنها إزاحة الرئيس السابق، غير أنها عمدت إلى إقصاء الناشطين الشباب وتجاهلت مطالبهم بالعدالة الاجتماعية. ورغم ذلك، فقد لعب الشباب دوراً مهماً في الفترة الانتقالية التي أعقبت التوقيع على المبادرة، كالمشاركة في مؤتمر الحوار الوطني؛ إذ تمثّلت حصتهم في المؤتمر بـ 20٪ (حصة مخصصة للشباب بالإلزام).[6] وفضلا عن ذلك، فقد شكّل الناشطون من الشباب منظمات مدنية جديدة، وكوّنوا شبكات مناصرة وكسب تأييد تمتد على نطاق الوطن اليمني، وعمد بعضهم إلى تأسيس أحزاب سياسيةً، بينما قَبِل البعض منهم تولي مناصب حكومية كوزراء ونواب وإداريين حكوميين.

وفي مارس/آذار من العام 2015، تسبب اندلاع الحرب وانهيار عملية الانتقال السياسي في فقدان المكاسب السياسية و الاجتماعية على حد سواء. كما تسببت الحرب في اضمحلال مفاجئ في النشاط الشبابي. ووضعت التحديات الأمنية والاقتصادية المترتبة على الصراع عبئاً كبيراً على قدرة الشباب على التعاون وعقد اللقاءات. وبعبارة واحدة، فقد أعاق التوقف في العملية السياسية الانتقالية كل السبل السلمية الرسمية لمشاركة الشباب سياساً. وعلقت الكثير من المنظمات المدنية الدولية، التي كانت قد وضعت برامج تركز على الشباب، عملها وغادرت البلد.

دور الشباب أثناء الصراع

نتائج عامة

تأثرت قدرة الشباب في مواصلة النشاط والعمل الطوعي[7] بسبب فقدان الأمن في أنحاء مختلفة من البلد، إلى جانب الاقتصاد المنهار بشكل متسارع، مع ما صاحب ذلك من فقدان الفرص والتمويل من المانحين، بالإضافة إلى عدم القدرة على التحرك والقيود المفروضة بشكل مفاجئ على حرية التعبير، إلى جانب الانهيار شبه التام في الخدمات التي تقدمها الدولة. وقد عبّر المشاركون في مجموعات النقاش البؤرية من الشباب في مدينتي إب وحضرموت عن قلقهم جراء ضعف قدرات منظمات المجتمع المدني ومؤسسات الدولة في دعم عمل الشباب، كما أشاروا إلى فقدان الشراكات مع منظمات المجتمع المدني العاملة

5 انظر
Lydia Funck and Mareike Transfeld (November 2013): *Supporting Youth Activism in Yemen: Challenges, Priorities and Needs*, Yemen Polling Center. Available at *http://www.yemenpolling.org/advocacy/upfiles/YPCPublications_Policy-Brief---Supporting-Youth-Activism-in-Yemen-Challenges-Priorities-and-Needs--November-2013.pdf* (21.01.2020).

6 انظر
Rafat Al-Akhali (April 2014): *What Yemen's Youth Got Out of the National Dialogue Conference*, Atlantic Council MENA Source. Available at: *https://www.atlanticcouncil.org/blogs/menasource/what-yemen-s-youth-got-out-of-the-national-dialogue-conference/* (21.01.2020).

7 Kate Nevens, Marwa Baabbad and Jatinder Padda (2019).

على المستوى الوطني، ومع الدوائر الحكومية؛ بل حتى مع الشبكات الشبابية.

في كل المواقع التي أجرينا البحث فيها سلط الشباب الضوء على التحدي الاقتصادي والأمني بوصفهما العائقين المهمين في طريق مساهماتهم الإيجابية. فانعدام فرص العمل، وعدم دفع الرواتب، وارتفاع أسعار الغذاء والوقود، والنقص في المياه، وانعدام الخدمات الأساسية كلها أمور مجتمعة كان من شأنها إجبار الشباب على ترك النشاط والانشغال باحتياجاتهم اليومية. وعلى الرغم من أن هذه التحديات قد جعلت من بقاء الشباب نشطين أمرا بالغ الصعوبة، فإنها، من جهة مقابلة، قد حفزت الناشطين والناشطات من الشباب على مساعدة غيرهم من أترابهم الآخرين على الحصول على فرص تساعدهم في تحسين دخلهم بدلاً من الانخراط في أعمال قتالية. ففي محافظة إب، حيث يتمثل الشغل الشاغل للشباب في تأمين أعمال لهم ومصادر دخل لهم ولمن يعولون، أبدى الكثير من المشاركين قلقهم؛ لأن كثيرين من الشباب، من وجهة نظرهم، "أصبحوا يميلون إلى الإجرام أو يلتحقون بعصابات خارجة على القانون من أجل تحسين دخلهم".

وبالرغم من أن التواصل المباشر وجهاً لوجه يظل مهما بالنسبة إلى الشباب، فإن عمل الترتيبات للتواصل خارج مجتمعاتهم صار أصعب بصورة متزايدة.[8] فقد أصبح الانتقال من محافظة إلى أخرى صعباً بفعل نقاط التفتيش وخطر الاعتقال والعداء المتزايد للشماليين في المحافظات الجنوبية والعكس. كما أصبح السفر خارج البلد غير ممكن بشكل كبير بالنسبة للكثير من السكان نظراً لإغلاق المطارات وإغلاق السفارات العاملة، إلى جانب تكاليف الرحلات، وصعوبة الحصول على التأشيرات.

لقد أصبحت التهديدات الأمنية المباشرة بالنسبة للناشطين الشباب أكثر خطورة وانتشاراً بشكل متزايد. حيث يشعر الشباب بالقلق من مخاطر الاعتقال من قبل العديد من أطراف الصراع أو أن يتم تلفيق التهم لهم "كالقيام بتنفيذ أجندة لطرف سياسي معين". ويتردد الكثير من الشباب في الحديث عن هذه المخاطر بالتفصيل، ولكنهم يتحدثون عن الحاجة لحرية التعبير عوضاً عن ذلك وبالأخص في محافظة إب الخاضعة لسيطرة الحوثيين (أنصار الله). يقول أحدهم: "إن منشوراً في الفيس بوك قد يكلفك حياتك". وعبرت النساء في سيئون عن مخاوفهن من زيادة التحرشات الجنسية والشعور بأن النساء مستهدفات بشكل واضح.

إن الصدمات النفسية الناجمة عن الحرب تمثل أيضا تحدياً خطيراً. قال أحد الشباب في إب "بدأ الكثير من الشباب بالتفكير في الانتحار"، وفي الوقت نفسه تحدث آخرون بأنهم أصبحوا يعانون من الاكتئاب وصعوبة النوم. وتكشف هذه التعليقات أنهم يعانون من الصدمة، وفقدان الأمل، وعدم الشعور بالأمان والقلق.[9] وأضف الى ذلك أن نتائج بحثنا تذهب أيضاً إلى أن هناك تقبلا وعدم تحفظ لدى الشباب في الحديث عن هذه القضايا.

الشباب الذين تحدثنا معهم يمتلكون رؤى واضحة نحو مستقبل اليمن وبناء بلد آمن ومستقر للأجيال القادمة، فقد ذكروا، بالحرف الواحد، الحاجة إلى إنهاء الحرب بوصفها أمرا طارئا وملحا. وباختلاف المواقع التي أجرينا فيها البحث واختلاف الجنس (ذكور، إناث) رأى غالبية الشباب أن السلام المستدام في اليمن صيغة تجمع التالي: أ- التماسك الاجتماعي الذي من خلاله يتم التعاون والتآزر بين المجتمعات المحلية أو المجموعات المختلفة

8 المرجع السابق.
9 انظر
Mareike Transfeld (February 2019): *Youth Activism in the Yemeni Civil War. Internet Mitigates Effects of Violence as Local Factors Shape Activism Scene*, Yemen Polling Center. Available at *https://www.yemenpolling.org/2664-2/* (21.01.2020).

من أجل نشر التعايش والتسامح; ب- الحصول بشكل متساوٍ على الموارد والتوظيف والخدمات ;جـ- حكومة تشمل الجميع وتتسم بالمسؤولية والشفافية وتطبيق القانون بشكل فعّال لحماية ونشر حقوق الانسان وحرية التعبير. مما يعني وجود "مجتمع مزدهر ومتساوٍ وآمن يعيش فيه الناس في ظل العدالة واحترام حقوق الانسان ويُمّكن الجميع من المشاركة لتحقيق التنمية والسلام الدائم"، وهذا حرفيا ما أخبرنا به الشباب في مدينة إب. وتحدث الشباب في المكلا حول أهمية وجود "ثقافة للسلام والتي ينبغي أن تتمثل في المواقف والأفعال والأفكار والممارسات لكل شخص في المجتمع".

ومن خلال هذه الرؤية الأوسع لليمن، يتوق الشباب إلى أن يصبحوا جزءاً في صناعة القرار واتخاذ السياسات، ابتداءً من حكومة على المستوى المحلي والقطاع الخاص، ووصولاً إلى القضايا الوطنية والدولية، معبرين عن الحاجة إلى وجوه جديدة للأخذ بزمام الأمور في هياكل الحوكمة. كما رأى الشباب أنهم يلعبون دوراً محورياً في قطاعات مختلفة لبناء الروابط بين المجتمعات المحلية، ورفع مستوى الوعي العام حول السلام، وكذلك في عملية بناء السلام، وتوفير مصادر للدخل، علاوة على توفير فرص تطوعية تهب الشباب معنى في الحياة وتكون بديلا عن الانخراط في العنف.

الاختلافات المناطقية في نشاط الشباب

هناك العديد من القواسم المشتركة التي يتشاطرها الشباب في الأماكن المختلفة التي شملها بحثنا. ومن ذلك تلك العوائق التي تمنعهم من المشاركة، وكذلك رؤيتهم طويلة الأمد ليمن آمن ومستقر. ومع ذلك، فإن الأنماط والوسائل المتوفرة للشباب للعمل في بناء السلام تتنوع من محافظة إلى أخرى بصورة ظاهرة، وبالأخص فيما يتعلق بالسلطات التي تسيطر على المنطقة ومستوى العنف المباشر الذي تعرضت له، أو ما تزال تتعرض له، المنطقة منذ اندلاع الحرب.

بخلاف محافظتي تعز وعدن لم تشهد محافظتا حضرموت وإب صراعات مسلحة بدرجة عالية ومباشرة، وهو ما جعل النشاط الشبابي محدودا. وقد انحصر هذا النشاط بصورة خاصة في مجال الأنشطة الإنسانية ودعم الأسر النازحة من محافظة إلى أخرى. ومع ذلك يروي الكثير من الشباب تجارب مختلفة تماماً تتنوع بتنوع السلطات المحلية التي تدير المحافظة. فعلى سبيل المثال بما أن محافظة إب[10] يحكمها الحوثيون فقد أثر ذلك، بشكل كبير، على مفاهيم الشباب وأفعالهم. فكل نشاط يتطلب الموافقة الرسمية من عدد من الهيئات؛ والحصول على الموافقة للأنشطة السياسية أو بناء السلام يعد أمراً صعب المنال. و نجد أن الشباب في ريف إب وحضرها يرددون دائماً هذه الكلمات "رغم المخاطر والتهديدات... فقد..." عندما يتحدثون عن الأنشطة التي تمكنوا من تنفيذها. وكانت الخطورة التي تمثل الهم الأبرز لأي شباب يقومون بالتجمع أو المبادرة هي إلصاق التهم ضدهم من قبل السلطات بوصفهم مثيرين للشغب أو أنهم يصطفون مع جماعات متطرفة أو إرهابية. ولأسباب أمنية يقوم الكثير من الشباب والشابات بالنشاط عبر الانترنت ووسائل التواصل الاجتماعي.

أما محافظة حضرموت، فإنها واقعة تحت سيطرة الحكومة المعترف بها دولياً وفقا لتقسيم نفوذ ثنائي القطب (الوادي تحت سيطرة الحكومة المعترف بها دولياً وبدعم من المملكة العربية السعودية والساحل تحت سيطرة قوات النخبة الحضرمية الموالية

10 سيطر الحوثيون على محافظة إب في أغسطس/آب 2015م. و لم يواجهوا إلا مقاومة بسيطة، وعينوا الموالي لهم في المناصب السياسية والعسكرية العليا.

للإمارات العربية المتحدة).[11] والملاحظ أن هذه السلطات لا تضع الكثير من القيود على أنشطة الشباب المتعلقة ببناء السلام، والتماسك الاجتماعي، والسياسة أو الأمن. وقد وجدنا أن معظم المشاركين في مجموعة النقاش البؤرية في حضرموت يشعرون أن نشاط الشباب في بناء السلام قد أصبح يتنامى في السنوات الأخيرة. كما أن حضرموت تُعد موطنا للكثير من شركات النفط والأعمال التجارية مما ساعد في الحفاظ على مستوى التوظيف ودعم مبادرات الشباب. وبينما تُعد عائدات النفط مصدر دخل للسلطات واللاعبين في الصراع يراه الشباب منبعا للفساد، ولكنه أيضاً يعطي حافزاً للسلطات للحفاظ على الأمن والاستقرار. ولذلك تذهب نتائج بحثنا إلى أن عامل الاختلاف بين المحافظات والسلطات التي تسيطر عليها يؤثر على نطاق ونوعية جهود الشباب في بناء السلام أكثر من عامل التنوع بين المناطق الريفية و الحضرية.

النوع الاجتماعي: الإناث والذكور

إن الكثير من الأبحاث المتوفرة بخصوص النوع الاجتماعي في اليمن خلال فترة الصراع، بما فيها بحثنا هذا، تتضمن تحليلات متضاربة في كيفية وطريقة تأثير الحرب على النشاط الشبابي على كل من الذكور والإناث. وتظهر بعض الأبحاث دلائل بأن بعض النساء تواصل لعب أدوار مهمة في النشاط بينما تظهر بعض الأبحاث الأخرى أن النساء أصبحن أقل نشاطا. وقد غدا واضحا تعزيز الصراع للفجوات الموجودة مسبقا بين الجنسين في مجالات معينة كقضية حصول النساء على الانترنت، والقدرة على التحرك والسفر بحرية،[12] والوصول لصناع القرار في المجتمع. و من المعلوم أن الحرب قد أثرت على الأمن و السلامة فيما يخص قضية النوع الاجتماعي، ويأتي ذلك في وقت تتعرض فيه النساء للتحرش بصورة غدت أكثر انتشارا سواء كان ذلك في الواقع أو على فضاء الانترنت، إلى جانب العنف الأسري الذي يطالهن، والزواج القسري الذي يفرض عليهن.[13]

غير أن الصراع، من جهة مقابلة، قد كان عاملا في إيجاد مساحات للاعتراض على بعض المنظومات القيمية التقليدية المتعلقة بالاختلاف بين الجنسين. فقد قامت الشابات ببعض الأنشطة التي كانت تعد غير مقبولة في وقت سابق في مجتمعاتهن المحلية. والمعلوم أن منظومة القيم الدينية في اليمن كانت تُسْتَخدم بشكل متكرر من أجل الحد من نشاط الشابات وتحركاتهن وتواصلهن. بيد أن الحاجة الاقتصادية المتزايدة في زمن الصراع قد جعلت بعض الأسر تخفف من وطأة وفاعلية هذه القيم؛ فقد مالت إلى السماح للنساء من أفرادها بالعمل. وفي حالة بعض الأسر، غدت النساء هن المعيل الوحيد لأسرهن، و إنْ كان نوع العمل الذي يسمح لهن بمزاولته قد ظل في نطاق تلك الأعمال ذات الطبيعة النسوية، وفقا للتصورات الاجتماعية.

ويشير البحث الذي أجريناه إلى أن النشاط النسوي قد تأثر بحسب المكان أو المنطقة. ففي المناطق التي يسيطر عليها الحوثيون تواجه النساء قيوداً أكثر شدة. وعلى نفس المنوال تأثر النشاط النسوي في المناطق الأكثر عنفاً والمليئة بنقاط التفتيش؛ فعلى سبيل المثال في محافظة إب تُعد القيود المفروضة على تحركات النساء والشابات هي القاعدة السائدة. قالت إحدى الشابات في

11 في (2015م) كانت عناصر القاعدة تسيطر على الساحل في حضرموت قبل طردها بدعم من دولة الإمارات العربية المتحدة في (2016م).

12 يمكن الرجوع إلى مناقشة "فريق النساء" في هذا المسؤوع لهذه القضية ضمن الورقة التي كتبتها كل من
Iman al-Gawfi, Bilkis Zabara and Stacey Philbrick Yadav (27.02.2017): *The Role of Women in Peacebuilding in Yemen*, CARPO/GDRSC Brief 14. Available at *https://carpo-bonn.org/wp-content/uploads/2020/02/carpo_brief_14.pdf* (20.03.2020).

13 أنظر
Brigitte Rohwerder (March 2017): *Conflict and Gender Dynamics in Yemen*, K4D Helpdesk Report, Institute of Development Studies. Available at: *https://www.ids.ac.uk/publications/conflict-and-gender-dynamics-in-yemen/* (21.01.2020).

إب: "يستطيع الرجال السفر و البقاء في أي مكان ولكن النساء لا يستطعن فعل ذلك". وعلى العكس من ذلك في ريف سيئون، مثلا، حيث أخبرتنا النساء المشاركات أن العكس صحيح؛ فقد أفدْنَ "أ ن النساء غدون أكثر شجاعة في الوقوف ضد التهديدات الأمنية؛ ويتّأتى لهن ذلك من خلال الاحتجاجات". يعتمد ما يمكن اعتباره نشاطا مما لا يعد كذلك على منظورات وفرضيات فردية، فقد يقوم الشاب أو الشابة بنفس النشاط ولكنّ هناك اختلافا في اعتباره نشاطا أم غير نشاط وفقا لتقييمات الآخرين؛ فالذكور من الشباب يعتبرون أن النشاط الذي تقوم به النساء محدود، في حين ترى النساء أنفسهن نشطات إلى حد جدير بالاعتبار.

(*) يتبع، بقية الدراسة في العدد الثالث من مجلة الناصية.

اصـدارات

حَرِصـتْ هيئـة تحريـر المجلـة منـذ البدايـة أن يكـون ضمـن الأبـواب الثابتـة للمجلـة بـاب خـاص يهتـمُّ "بعـرض قـراءة مختـصرة لأهـم الكتـب، ومتابعـة آخـر الإصـدارات" إلا إننـا لـم نتمكـن في العـدد الأول الوفـاء بهـذا الالـتزام نتيجـة لمـا وجدنـا مـن صعوبـاتٍ في متابعـة مسـتجدات النـشر وآخـر الإصـدارات، خاصـة في مثـل الظـروف والاوضـاع الراهنـة.

كمـا إننـا لـم نتمكـن في هـذا العـدد (الثـاني) أيضـا مـن نـشر قـراءة لكتـاب "الهويـات القاتلـة" للأسـتاذ أمـين معلـوف كمـا كنـا نأمـل. ولكـن مـشروع الدراسـة سـيظلُّ قائمـا في الأعـداد القادمـة مـن المجلـة بـإذن اللـه.

ولأننـا نـرى أن _ مـا لا يُـدرك جُلَّـه، لا يُـتركْ كلَّـه _؛ فإننـا سنسـتعرض في هـذا العـدد بعـض الاصـدارات الـتي قـد تحظـى باهتمـام القـارئ _ بحسـب رأينـا _، وفقـاً لـلآتي:

(1)

_ عنـوان الكتـاب: الجمهوريـة بـين السـلطنة والقبيلـة في اليمـن الشـمالي.

_ المؤلف: الدكتور أبوبكر السقاف.

_ الطبعـة: الثانيـة، يوليـو 2020، صنعـاء.

_ عـدد الصفحـات: (206) صفحـة. حجـم متوسـط.

* وصف الكتاب:

بدايـةً نـودُّ الإشـارة إلى إن الطبعـة الأولى مـن الكتـاب قـد نُـشرتْ سـنة 1988م، نَسـبه الدكتـور السـقاف إلى الكاتـب اليمني الدكتـور محمـد عبدالسـلام، وهـو اسـم مسـتعار رأى المؤلـف اسـتخدامه نتيجـة للظـروف السياسـية والامنيـة التي اتسـمت

بالقمـع والاسـتبداد ومصـادرة الحريـات.

وهـذه الطبعـة تقـع في (203) صفحـة مـن القطـع المتوسـط ويحتـوي عـلى أربعـة فصـول:

الفصـل الأول: مـن الإمامـة إلى جمهورية سبتمبر.

الفصـل الثـاني: الجمهوريـة بـين السـلطنة والقبيلـة.

الفصل الثالث: التبعية المزدوجة.

الفصـل الرابـع: النفـط في مـأرب وآفـاق المسـتقبل السـياسي.

يُجيـبُ الكتـاب عـن اسـئلة محوريـة عديـدة ظلـت منـذ أمـد دون معالجـة ومـن بينهـا سـؤال ينتـشر بـين عامـة الشـعب وإن تجاهلـه بعـض مدعـي الفكـر ومعظـم رجـال السياسـة، ونقصـد هنـا: لمـاذا لا يتمتـع جميـع أبنـاء اليمـن الشـمالي حـتى الآن بحقـوق مواطنـة متسـاوية لا تفـرِّق بـين أبنـاء الوطـن الواحـد؟ وبكلمـات أخـرى لمـاذا لـم يسـتقر مفهـوم المواطنـة بـدلاً مـن مفهـوم الانتمـاء القبـلي عـلى الرغـم مـن سـقوط الإمامـة منـذ أكـثر مـن 25 عـام.

رابط تحميل الكتاب.

[٨: https://yemenarchive.com/qa-bilasltna.html

(2)

_ عنـوان الكتـاب: وقـش ... هجـرة الشـمس "روايـة أدبيـة".

_ المؤلـف: الأديـب والـروائي الاسـتاذ وليـد أحمـد دمـاج.

_ عدد الصفحات: (438) صفحة.

_ النـاشر: مؤسسـة أورقـة للدراسـات والترجمـة والنـشر.

_ الطبعة الأولى 2019م.

"مما قيل عن الرواية."

روايـة «وقـش» للـروائي وليـد دمـاج مـن الروايـات الـتي تـترك لـدى القـارئ أثـراً عميقـاً لمادتهـا التاريخيـة وموضوعهـا الدراماتيـكي المتمثـل في تاريـخ (الفرقـة المطرّفيَّـة) الـتي تـم إبادتهـا في القـرن

الســادس الهجــري عــلى يــد ســفاح ذلــك الزمــن (الإمــام عبداللــه بــن حمــزة)، لكــن الروايــة لا تحــكي تاريخــاً فقــط، بــل هــي تاريــخ مــوازٍ أيضــاً نراهــا تســتحضر التاريخ إلى الحــاضر، وتحيــل الحــاضر إلى التاريــخ في فعــل دائــري لا ينتهــي، وكمــا قــال عنهــا كاتبهــا دمــاج "الروايــة تكشــف جملــة مــن الأســباب الموضوعيــة لتكــرار الحــروب، خصوصــاً الأهليــة في اليمــن، ومنهــا عــلى ســبيل المثــال: الظلــم والتمايــز الاجتماعــي، والفقــر وشــحة المــوارد والاســترزاق مــن الحــروب، والتجهيــل".

وروايــة وقــش في مجملهــا "تحــاول تتبــع قصــة فرقــة المطرفيــة الــتي ظهــرت في القــرون الثالــث والرابــع والخامــس الهجريــة، كمــا تظهــر انتعــاش الحيــاة الفكريــة والعلميــة في اليمــن آنــذاك، وتنوعهــا.

رابــط تحميــل الروايــة. -https://imag-es.app.goo.gl/5bHVaEtT2m2c6maw6

(3)

_ عنــوان الكتــاب: الثــورة والهجــرة والهويــة في مجتمــع متشــظٍّ.

_ المؤلــف: أ. د. ســمير عبــد الرحمــن هائــل الشــميري.

_ الطبعة: الأولى، مايو 2020.

_ الحجمَ: (263) صفحة.

_ النــاشر: دار ثقافــة للنــشر والتوزيــع، أبــو ظــبي، الإمــارات العربيــة المتحــدة.

تضمــن الكتــاب - إضافــة إلى التوطئــة، ثمانيــة مباحــث تناولــت: (-الــذكاء العاطفــي وثقافــة الحــوار، - الثــورة اليمنيــة: ســؤال المســتقبل، - تصــدع القبيلــة في الشــمال وانتعاشــها في الجنــوب، - حــرب عبثيــة وقبائــل تبحــث عــن الغنائــم، - سوســيولوجيا الهجــرة والمداخــل المنهجيــة، - الهويــة وعوامــل تصدعهــا، - الرحالــة والمجتمــع الفسيســفائي العــدني، - المجتمــع المــدني مــن منظــور سوســيولوجي).

الكتاب متوفر في مكتبات عدن.

(4)

_ عنـوان الكتـاب: في حـضرت جنـاب الحـب "نصـوص".

_ المؤلف: فاطمة العولقي.

_ الطبعة: الأولى، 2022م.

_ الحجم: (223) صفحة.

_ الناشر، دار بوك تايم.

تضمـن الكتـاب (64) نصَّـاً أدبيًّـاً وقـد عرَّفـت الكاتبـة بنفسـها في هـذا الكتـاب بالقـول: (أنـا هُنـا في هـذا الكتـاب، أكتـب لنفسـي أدوسُ هواجـسي مخـاوفي هزائمـي ضحـكاتي لأنجـو مـن الغـرق وأجـدني أطـير بـلا أجنحـة).

_ فاطمـة العولقـي: أديبـة يمنيـة شـابة، تـدرس في جامعـة عـدن، وقـد صـدرت

لهـا راويـة بعنـوان: (أني ويَاتُـه). وتعـني: (أنـا وهـو) في اللهجـة العدنيـة.

الناصية
مجلة "فكرية ثقافية"

تهدف إلى الاسهام في: نشر فكر وثقافة المواطنة والمدنية والديمقراطية وحقوق الإنسان، والتأصيل الفكري لهذه القضايا، وتعزيز الخدمة المعرفية بها.

قواعد ومحددات النشر في المجلة

*تنشر المجلة "الناصية" الدراسات والأبحاث، والمقالات، والموضوعات المختلفة.. التي:

_تتسم بالعمق والدقة والموضوعية، وتضيف جديداً للمعرفة.

_تتوائم مع قضايا ومجالات أهتمام المجلة وتوجهاتها وسياساتها العامة.

جحم المواد والموضوعات التي تنشر في المجلة:

_ يشترط في البحث ألا يزيد حجمه عن"6000/5000،كلمة، وألا يكون منشوراً من قبل.

_ يشترط في الدراسة ألا يزيد حجمها عن: 4500/3500،كلمة.والا تكون قد نشرت من قبل.

_ الموضوعات المترجمة" بحث، دراسة، تقارير "عن لغات حية.. ينطبق عليها من حيث الحجم الشرطان المحددان أعلاه.

_يشترط في المقال.. ألايزيد حجمه عن: 2500/2000 كلمة

_موضوعات عرض الكتب، يشترط ألا تزيد حجمها عن:1500/2500،كلمة،وإن لايكون قد قضى على صدورها أكثر من عامين.، بإستثناء الكتب التراثية، وذات الأهمية والقيمة المعرفية العالية والهامة.

ترسل الدراسات والبحوث والموضوعات والخ إلى المجلة عبر بريدها الإلكتروني أو خدمة الواتس اب، مطبوعة في قرص إلكتروني "pdf" أو ملف "word" (مرفقة بأسم وعنوان الكاتب و عمله ومؤهله العلمي..)

*تحتفظ المجلة لنفسها بحق إجراء بعض التغيرات في النص بما يتلاءم مع أسلوبها في النشر بالتنسيق مع الكاتب وموافقته.

*الدراسات والأبحاث والمقالات والموضوعات، التي ترسل إلى المجلة لا تعاد إلى صاحبها، نشرت أو لم تنشر..

*البحث أو الدراسة التي نشرت في المجلة. يحق للكاتب إعادة نشرها في كتاب فقط، مع الإشارة إلى المصدر الأصلي للنشر.

مؤسسة أمجد الثقافية والحقوقية

عنواننا: اليمن. _المقر الرئيسي، عدن.
_هاتف02_260082.
_جوال 00967713807501
00967733171039
البريد الإلكتروني: a.gadfchv@yahoo.com

ـــــ رابط صفحة "مدونة" المؤسسة في الانترنت.
https://www.facebook.com/ مؤسسة-أمجد-الثقافية-والحقوقية465100990208428-/

_ الرئيس الدوري للمؤسسة/ أ. محمد عبد الرحمن.
هاتف +واتس، 00967777808724
واتس.00967714367122.
إيميل.abdm8626@gmail.com

•من نحن؟

_ مؤسسة أمجد الثقافية والحقوقية: هيئة مدنية_ أهلية_ نوعية_ ثقافية_ فكرية_ بحثية_ انسانية، غير حكومية، وغير ربحية، مستقلة وليست لها أية ارتباطات حزبية أو سياسية.

_ تعمل في مجال التنوير، والتنمية الثقافية، ومناصرة الحق في التعليم والثقافة، ونشر ثقافة المواطنة والمدنية وحقوق الإنسان.

_ تأسست بتاريخ 21/يونيو /2018م، وتم إشهارها وبدء ممارسة أنشطتها في 24/اغسطس/ 2020م

_ حاصل على تصريح التأسيس تحت رقم(297) بتاريخ 11/1/ 2021م صادر عن وزارة الشؤون الاجتماعية، وتصريح مزاولة النشاط صادر عن وزارة الثقافة.

• مرجعيتنا:

_الإعلان العالمي لحقوق الإنسان.
_العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.
_ المواثيق الدولية الأخرى ذات الصلة.
_التشريعات اليمنية النافذة.

•أهدافنا ومجالات عملنا:

تهدف المؤسسة للاسهام في:

1.تعزيز التنمية الثقافية الشاملة، والمشاركة المجتمعية في التنمية الثقافية.

2.نشر وتنمية ثقافة المواطنة والمدينة وحقوق الإنسان.

3.تنمية وتعزيز حقوق الإنسان الثقافية، وتعزيز أعمال وانشطة المناصرة للحق في التعليم، والحقوق والحريات الثقافية، وحرية الفكر والابداع.

•تركـز المؤسسـة عملهـا في القضايـا التاليـة:

1.قضايا التنوير والثقافة المدنية.

2.قضايا الحق في التعليم والثقافة.

3.قضايـا الثقافـة العامـة، وتنميـة المواهـب الإبداعيـة الأدبيـة والفنيـة.

•برامجنـا الأساسـية: تؤطـر المؤسسـة انشـطتها في برامـج رئيسـة منهـا حاليـاً:

1.برنامـج التربيـة المدنيـة والمواطنـة للشـباب والطـلاب.

2.برنامـج نـشر ثقافـة السـلام وحقـوق الإنسـان.

3.برنامج الأنشطة الثقافية العامة.

كمـا تـولي المؤسسـة اهتمامـاً كبـيراً للمطبوعـات لمـا لهـا مـن أهميـة في نـشر وتنميـة الفكـر والثقافـة، ولذلـك فهـي:

_ تصـدر مجلـة الناصيـة، وهـي مجلـة فكريـة ثقافـة فصليـة "تصـدر مؤقتـاً كل سـتة أشـهر".

_ تسـعى لنـشر وإصـدار مجموعـة مـن الإصـدارات تحـت عنـوان "الكتـاب غـير الـدوري" تتصـل بقضايـا (التنويـر، المواطنـة، الدولـة المدنيـة، التعليـم والثقافـة).

_ تعمـل مسـتقبلاً عـلى إصـدار مطبوعة "مجلـة" دوريـة خاصـة بثقافـة الطفل.

•البناء المؤسسي والهيكلي للمؤسسة:

_ مجلـس الأمنـاء "الهيئـة الاستشـارية _الإدارة التنفيذيـة. وتتكـون مـن: "الرئيـس الـدوري للمؤسسـة، ونائبـه، والوحـدات التنفيذيـة المتخصصـة "مثـل: الدراسـات والبحـوث، البرامـج والمشـاريع، الإعـلام والاصـدار، التوثيـق والمعلومـات والمكتبـة، الوحـدة الماليـة والاداريـة، السـكرتارية، الاتصـال والتنسـيق.

*منتدى الحوار الفكري.

*منتـدى التربيـة المدنيـة للشـباب والطـلاب.

وحدات وتكوينات اخرى مستقبلا.

”الوطن الحلم“ لوحة للفنانة التشكيلية والأكاديمية د. أمنه النصيري، ٢٠٢٢م